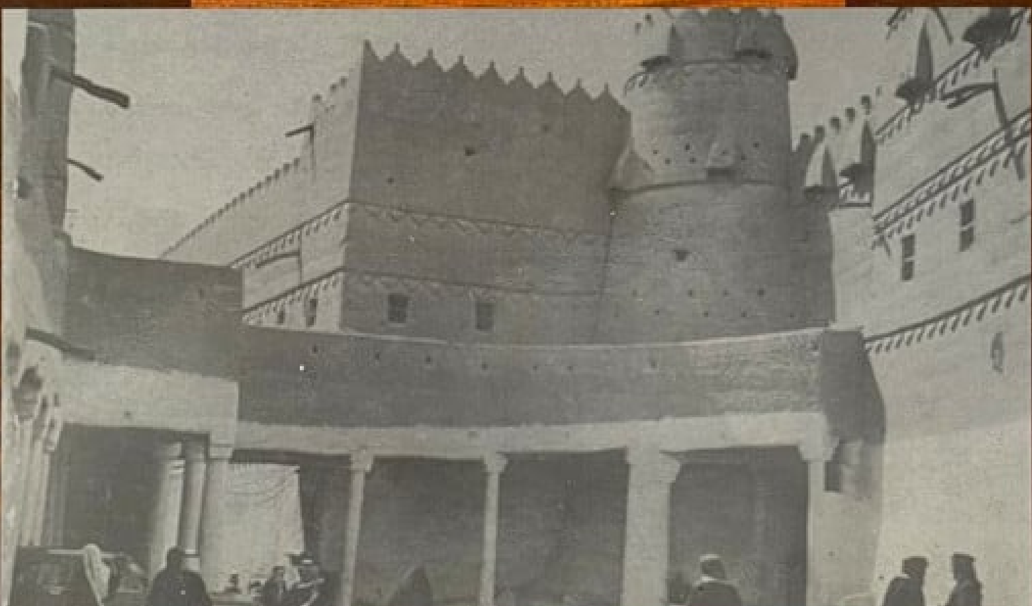
تاريخ المملكة العربية السعودية
في دليل الخليج

لـ (ج. ج لوريمر)

صنفه وصوبه وعلق عليه
الدكتور سعيد بن عمر آل عمر



تاريخ المملكة العربية السعودية
في
دليل الخليج

لـ (ج. ج لوريمر)

صنفه وصوبه وعلق عليه
الدكتور سعيد بن عمر آل عمر

كلية التربية
جامعة الملك فيصل
الأحساء

ح سعيد بن عمر آل عمر، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

لوريمر، ج. ج

تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج/ صنفه وعلق عليه سعيد ابن عمر آل عمر. ـ الرياض

٢٨٧ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك ٦ ـ ٦٠٧ ـ ٣١ ـ ٩٩٦٠.

١ ـ السعودية ـ تاريخ ـ الدولة الأولى ٢ ـ السعودية ـ تاريخ ـ الدولة الثانية

٣ ـ السعودية ـ تاريخ ـ الملك عبد العزيز ٤ ـ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان

أ ـ آل عمر، سعيد بن عمر (محقق) ب ـ العنوان

ديوي ٩٥٣،١ ١٧/١٤٤٨

ردمك ٦ ـ ٦٠٧ ـ ٣١ ـ ٩٩٦٠. رقم الإيداع : ١٧/١٤٤٨

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ/١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:-

هذا الكتاب (تاريخ المملكة العربية السعودية) عبارة عن مواضيع منتقاه من القسم التاريخي من كتاب لا أحسب سوى أن الأكاديميين والمهتمين بدراسة شئون الخليج العربي التاريخيه والسياسيه والإجتماعيه على درايه بهذا العمل الكبير ومؤلفه وهو كتاب "Gazzetter of the Persion Gulf" أو (دليل الخليج) لمؤلفه البريطاني J.G.Lorimer (ج.ج لوريمر) ولاريب أن هذا الكتاب يعد من أغنى المصادر الأوليه عن تاريخ وجغرافية الخليج العربي في تاريخه الحديث والمعاصر، ومع أنه كتب من وجهة نظر بريطانيه إلا أنه يمتاز بدقة المعلومات المبنيه على تقارير رسميه يعول عليها في إتخاذ القرارات من قبل السلطات البريطانيه ممثله في حكومة الهند البريطانيه المسؤوله عن الخليج العربي في حينه. ولعل زخم المعلومات التاريخيه عن الأقاليم السعوديه في هذا المعجم الكبير كان عاملاً مؤثراً جعلني أقدم على جمع هذه المعلومات وأصنفها وأرد في الهامش على الكاتب لتصحيح بعض المعلومات التي دونت من وجهة نظر بريطانيه أو غربيه سواء كانت هذه المعلومات شخصيه من الكاتب نفسه أو أعتمد على مصدر آخر في تدوينها.

وقد كتب هذه الكتاب " دليل الخليج " باللغه الأنكليزيه للإستخدام الرسمي من قبل السلطات البريطانيه في الخليج العربي وقام بكتابته أحد رجال حكومة الهند البريطانيه من عدة أجزاء ومن قسمين، قسم تاريخي وقسم جغرافي .

وقد ظهرت طبعته الأولى في مدينة كلكتا الهنديه سنة ١٩١٥م ولكنها كانت محجوبه عن أيدي الجمهور ولم يسمح بالإطلاع عليها إلا مع منتصف القرن العشرين تقريباً . وقد أعتمد هذا الكاتب على مصادر مختلفة معظمها غربيه مثل كتب الرحاله أو تقارير رسميه كتبها رجال حكومة الهند البريطانيه . ومن هذه

المصادر كتاب كورانزس تاريخ(الوهابيين) سنة ١٨١٠م ، ويوميات رحله عبر الجزيره العربية عام ١٨١٩م لسادلر وكتاب بيركهاردت توطئه لدراسة تاريخ (الوهابيين)١٨٣٤م ، ترجم الدكتور / عبدالله العثيمين جزءاً منه بعنوان مواد لتاريخ (الوهابيين) .

ومن المصادر المهمه التي رجع إليها هذا الكاتب " مختارات بومباي " المجلد ٢٤ سنة ١٨٥٦م ويعتبر هذا من أهم المصادر الأوليه عن الخليج العربي وقد كتب أجزاءه في تقارير رسميه عدد من رجالات حكومة الهند البريطانيه المعاصرين لتلك الأحداث خاصة ماكان منها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، ومن المصادر الأخرى المهمه التي أعتمد عليها لوريمر فيما يخص التاريخ السعودي تقارير الرائد ل.بيلى عن رحلته إلى الرياض سنة ١٨٦٥م/١٢٨٢هـ حيث قابل الإمام فيصل بن تركي قبيل وفاته يرحمه الله . ونظراُ للمعلومات القيمة التي يحويها هذا الكتاب سواء ما كان منه تاريخي أم جغرافي فقد قام مكتب سمو أمير دولة قطر السابق الشيخ خليفه بن حمد آل ثاني بترجمة هذا الكتاب القيم إلى العربية في أربعة عشر مجلداً ، سبع مجلدات منها للقسم التاريخي وآخرى مثلها للقسم الجغرافي وذلك سنة ١٩٧٥م ، ومؤلف هذا الكتاب هو ج . ج لوريمر بريطاني من أسكتلندا من نواحي ستراثمارتن التابعة لمدينة دندي ومن مواليد منتصف القرن التاسع عشر على وجه التقريب . ألتحق بالعمل في سن مبكره بحكومة الهند البريطانيه وخدم في الخليج سنوات عده وقد أنجز القسم الجغرافي من كتابه سنة ١٩٠٨م ، أما القسم التاريخي الذي توقف فيه عند آحداث ١٩٠٧م فقد عاجلته المنيه في أوائل سنة ١٩١٤م حينما لم يكن يتبقى عليه من الكتاب سوى المقدمة والفهرس حيث قام ل - بيرد وود بإنجازهما .

ونظراُ لقيمة هذا الكتاب العلميه فقد قررت أن أساهم بإبراز هذا العمل فيما يخص تاريخ المملكه بخاصه وقد أعتمدت على الترجمه الثانيه التي نقحت بعض الأخطاء فيها . وما قمت به هنا هو أنني رجعت إلى النص الأنجليزي للتأكد وذلك

تحرياً للدقه عن بعض المعلومات وكذلك قمت بالرد في الهامش دون التدخل في النص الأساسي للترجمه إلا ما يخص تصحيح الأسماء وقد أعتمدت في الرد على المصادر المحليه الموثوقه والمعاصره لتلك الأحداث . وعرفت ببعض الشخصيات والمواقع والبلدان وقمت بتثبيت التاريخ الهجري مقابل التاريخ الميلادي الذي أعتمده الكاتب في مؤلفه . ولعله من المفيد ان أشير إلى أن ما أوردته في هذا الكتاب هو فقط ما أرخه الكاتب لوريمربشكل مباشر عن تاريخ الدولة السعودية الأولى والثانيه وكذلك قيام الدوله السعوديه الثالثه على يد المغفور له الملك عبد العزيز طيب الله ثراه وعلاقة هذه الدولة بالقوى السياسية المحلية والدولية بالخليج العربي .

وقد أهملت بعض المعلومات الأخرى التي لها علاقة بالتاريخ السعودي ولكنها وردت أثناء كتابته لتاريخ بعض الإمارات والدول الأخرى بالخليج وعلاقتها بالدولة السعودية الأولى أو الثانية منعاً للتكرار ولاأدعي أنني قد أوفيت هذا العمل حقه من التعليق وبعض الإضافات التي قد تكون ضرورية من وجهة نظر الأخرين ، ولكن حسبي أنني تدخلت بالتصويب والرد والتصحيح بما أقتضته الضروره من وجهة نظري وآمل أن أوفق قريباً في الإسهام بإبراز الجزء الجغرافي السعودي من هذا الكتاب .

والله الموفق ،،

د . سعيد بن عمر آل عمر

تنبيـــه هــام

لتميـيز مـا أوردتـه مـن رد علـى الكــاتب تصـويبــاً أو تعليقــاً / أســتخدمت الحـروف الأبجدية بدلاً من الترقيم مسبوقة بنجمة وذلك ليميز القارئ الكريم بين ما أوردته من تعليق وما ورد من الكاتب نفسه في الهامش .

الفصل الأول

تاريخ نجد ووسط الجزيرة العربية

من

١١٥٧ إلى ١٣٢٥هـ

١٧٤٤ إلى ١٩٠٧م

العبيكان
Obeikan
(٠١) ٤٩٨٣٣٩٢

تاريخ نجد ووسط الجزيرة العربية (١)

الحركة (الوهابية)

يبدأ التاريخ الحديث لوسط الجزيرة العربية بقيام (الوهابين) الذين أصبحوا هم يحددون سير الأحداث فيها إلى حد كبير . ولهذا فمن الضروري ونحن نهتم بتناول هذه الحقبة التاريخية أن نشير إلى أصل الحركه (الوهابية) (أ) .

مؤسس (الوهابية) :

إن المعلومات التي تتوفر عن مؤسس جماعة (الوهابيين) رغم أنه عاش منذ قرن ونصف قرن ، ورغم أن الاهتمام كان منصباً منذ البداية إلى النتائج السياسية لأعمال (الوهابيين) – نقول إن المعلومات المتوفرة المتفق عليها قليلة والباقي نهب الروايات المتضاربة . فمن المتفق عليه أنه خرج من بني تميم وهي قبيلة زراعية قوية في نجد ، وتحدد سنة ١٦٩١ كسنة ميلاده(ب) . أما شرف المكان

---

(١) هذه هي أهم المصادرالرئيسية لتاريخ نجد : كتاب كورانزس " تاريخ الوهابين " سنة ١٨١٠ ، وكتاب سادلر : " يوميات رحلة عبر جزيرة العرب ... سنة ١٨١٩ " المنشور سنة١٨٦٦، وكتاب مينجن " تاريخ مصر في ظل حكم محمد علي ..." سنة ١٨٢٣ (لم أتمكن من الحصول على هذا الكتاب..) وكتاب بيركهارت : " توطئة لدراسة تاريخ(الوهابين) .." سنة ١٨٣٤م، " مختارات بومباي " المجلد (٢٤) ، : " الخليج .." ١٨٥٦، كذلك كتاب باجريف : " حكاية رحلة أستمرت سنة في وسط وشرق جزيرة العرب ..سنة ١٨٦٢ – ١٨٦٣ ..) المنشور في سنة ١٨٦٥م ، وتقرير الرائد ل . بيلي " تقرير عن رحلة إلى الرياض عاصمة (الوهابين) " سنة ١٨٦٦ ، وكتاب الرائد أ . روس " ذكريات في نجد .." الموجود في التقرير الإداري للخليج عن سنة ١٨٧٩ – ١٨٨٠ ، وكتاب مستر س . م . دوتي : "أسفار في صحاري الجزيرة .. " سنة ١٨٨٨، وكتاب البارون أ . نولد : " رحلة في جزيرة العرب – بالالمانية .." سنة ١٨٩٥، وتلخيص مستراً . ج . سالدنها : " ملخص أحوال نجد ..." سنة ١٨٠٤ – ١٩٠٥ ، وفي كتاب مستر س . هيوبر بعض المعلومات التاريخية المتعلقة بنجد .

*(أ) الحركة الوهابية حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية وسميت بالوهابية نسبة إلى والد الشيخ وقد أطلق هذه التسمية أعداء الدعوة السلفيه حتى أنها أصبحت تطلق على الدولة السعودية الأولى والثانية في المؤلفات الغربية وبعض المصادر العربية .

*(ب) تجمع المصادر المحلية على أن ولاده الشيخ هي ١١١٥هـ/ ١٧٠٣م في العيينة .
أنظر مثلاً حسين بن غنام – تاريخ نجد ص : ٨١ .

الذي ولد فيه فمتنازع عليه بين مدينة الحوطه في الجنوب وقرية عيينه في وادي حنيفه بل حتى اسمه مختلف عليه . فيقول البعض إنه عبد الوهاب ويؤكد البعض الآخر أن عبد الوهاب هو اسم أبيه . وأنه هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان . وقد تلقى العلم في الخارج في البصرة ودمشق وربما غيرهما لكنه عاد اخيراً إلى بلده حيث بدأ في سنة ١٧٦٢ يدعو إلى التعاليم التي اعتنقها خلال دراسته [أ] . وتقول الرواية التي تحدد مسقط رأسه بقرية عيينه إنه بدأ في دعوته العامة يواجه معارضة اضطرته لنقل نشاطه إلى مدينة الدرعية المجاورة . لكن كل المصادر تجمع على أن السنوات الأخيرة التي قضاها بالدرعية كانت السنوات التي بلغ فيها نفوذه أقصاه . وقيل إنه تزوج عشرين مرة وكان له ثمانية عشر ابناً . ويحدد يوم ١٤ يونيو سنة ١٧٨٧م يوماً لوفاته [ب] .

الدعوة (الوهابية) في جانبها الديني الأصلي :

وكانت حركة (الوهابيين) في بدايتها حركة دينية خالصة . لكنها اكتسبت بعد ذلك بفعل الظروف من حولها طابعاً دنيوياً وسياسياً . وفي البداية كانت هذه الدعوة دعوة إصلاحية بالنسبة للدين الإسلامي وممارستة ودعوة للعودة إلى الحياة الإسلامية الأولى في مهدها وبساطتها واتخذت الحركة في جوهرها طابع الاحتجاج على الخرافة والترف في العالم الإسلامي . ومن المتفق عليه بشكل عام أن الدعوة (الوهابية) ملتزمة تمام الالتزام بما جاء بالقرآن الكريم والتراث الإسلامي المعترف به ، والاختلاف بين (الوهابي) المخلص والمسلم العادي إنما يرجع لأن هذا الأخير بعيد عن التمسك بروح الدين الإسلامي أكثر مما يرجع لانحراف الأول عن هذا الدين .

---

*[أ] كانت بداية دعوة الشيخ بعد عودته من رحلاته فى طلب العلم فى الأربعينيات من القرن الثانى عشر الهجرى فى حريملا حيث كان والده قاضى تلك البلدة وبعد وفاته أنتقل إلى العيينة بترحيب من أميرها إبن معمر لكن الأنطلاقة الموفقة كانت من الدرعية ١١٥٧ هـ / ١٧٤٥م .

*[ب] كانت وفاه الشيخ في آخر شهر شوال ١٢٠٦هـ/ ١٧٩٢م ، بن غنام - تاريخ ، ص: ٩٠.

(الوهابية) في جانبها السياسي فيما بعد :

وكان تزايد المؤمنين بهذه الدعوة في وسط الجزيرة من جراء فشلها في أن تلقى القبول في مكان غيرها قد جعل لها في نجد أهمية سياسية وقومية[أ] ، بل وأهمية عسكرية أيضاً . وأدت العقيدة المشتركة إلى تهيئة الناس للخضوع لسلطة إدارية واحدة وهي سلطة أخضعت الأفراد للشريعة وجمعتهم من المدن والأقاليم في إمارة واحدة متماسكة ومنظمة . ولما تحققت هذه الوحدة الداخلية دفعت الحماسة العسكرية هؤلاء الأفراد إلى التفكير في نشر عقيدتهم خارج حدود إمارتهم ، وربما داعب طموحهم أيضاً انتشار عقيدتهم حتى أقاليم البحر الأحمر والحجاز واليمن ، أما الصراعات العنيفة التي سرعان ما بدأت بين (الوهابيين) والقوى المختلفة من جيرانهم ، والتي استمرت باستمرار دعوتهم إلى عقيدتهم هذه فلا نستطيع أن نعتبر أياً من الجانبين المتصارعين مسئولاً عنها مسئولية كاملة . (فالوهابيين) من جانبهم كانوا متعصبين أشد التعصب خاصة ضد الأتراك الذين كانوا يعتبرونهم غير مسلمين من حيث أخلاقهم ومظاهر حياتهم ، في حين أن خصومهم الذين كانو يعرفون ما في الدعوة (الوهابية) من صدق منطقي كانوا يسخطون على تمسك (الوهابيين) بأهداف الدين والفضيلة ويلجأون إلى مختلف اساليب سوء التفسير والتصوير، والنتيجة هي أن كلا من الجانبين كان يخرج الآخر عن الإسلام وكان (الوهابيون) يعلنون بروح أكثر ميلا إلى الحرب أن أرواح أعدائهم وممتلكاتهم حلال لهم بحكم خروجهم على الدين ، وسيضطلعون هم (أي الوهابيون) بتنفيذ هذا الحكم .

ومن ناحية أخرى يجب أن نعترف بأن معظم الذين تزعموا معارضة الحركة (الوهابية) كانوا أشخاصاً مثل أشراف مكة ، تهدد هذه الحركة مصالحهم

---

* [أ] الواقع أن مكان نشأة الحركة بعيداً عن القوى المتنفذه في ذلك الزمان قد ساعدها على النجاح والبروز... وقد كانت أول صرخة في العالم الإسلامي على الجهل والتخلف والجمود، تأثر بها الكثير من رواد النهضة في عالمنا العربي الإسلامي .

المادية ، وتهاجم مصادر هيبتهم باعتبارهم قيمين على أضرحة الاولياء [أ] ، ومن ناحية أخرى يجب القول بأن معظم (الوهابيين) ممن لم يتفهموا الامور في مبادئها العامة والشاملة كانوا يتصرفون بشكل يتسم دائماً بضيق الافق والجمود ، من ذلك تدخلهم في التفاصيل الثانوية مثل تحريم لبس ثياب الحرير والتحلي بالذهب وحمل المسابح وتحريم التدخين ، كذلك كانوا يعتبرون أعمال النهب والسلب ضد من لا يؤمنون بدعوتهم لامجرد إجراء مشروع ، بل فرضاً لازماً ، ولم يتصل (الوهابيون) الأوائل بالمسيحيين واليهود كثيراً في بداية حركتهم ولكن يبدو أن مشاعرهم نحو هؤلاء كانت أقل حدة ومرارة مما كانت عليه بالنسبة لهؤلاء الذين يعتبرونهم مسلمين كذبة .

وسوف تتضح هذه الملاحظات التمهيدية في استعراضنا المقبل لتاريخ الدولة (الوهابية) في نجد.

محمد بن سعود قبل سنة ١٧٦٥م / ١١٧٩ هـ

كان محمد بن سعود شيخ الدرعية أول رئيس زمني يقبل تعاليم (الوهابيين) ويحاول أن يصلح من نظام حكمه لتحقيقها [ب] . وفي مدينته وتحت حمايته عاش محمد بن عبدالوهاب آخر مراحل حياته وأحفلها بالنشاط . ومحمد بن سعود ينتمي إلى عائلة معروفة باسم آل مقرن من فرع المساليخ من قسم ولد علي من قبيلة عنزه، ومن اسم ابيه اشتق الاسم البديل للعائلة فأصبحت العائلة السعودية ، وقد أطلق اسم ابن سعود - الذي مايزال قائماً حتى اليوم - تمييزاً لأمير (الوهابيين) من " ابن رشيد " أمير جبل شمر آنذاك. وكان محمد بن سعود وقت اعتناقه

* [أ] المعنى هنا قبر الرسول ﷺ والأماكن المقدسة وكذلك قبور بعض الصحابة بالحجاز .

* [ب] لم يكن الإمام محمدبن سعود أول من ناصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقد ناصره إبن معمر في العيينه لكنه تخلى فيما بعد على أثر ضغوط مارسها عليه سليمان بن محمد آل حميد شيخ بني خالد وحاكم الأحساء فأنتقل الشيخ إلى الدرعيه ١١٥٧هـ/١٧٤٥م ورحب به الإمام محمد بن سعود وكان الإتفاق بين الإمام والشيخ.

المذهب [أ] (الوهابي) على خلاف مع دهام بن دواس شيخ مدينة الرياض المجاورة. ومكنته القوة التي امده بها (الوهابيون) من التغلب على خصمه الذي اضطر إلى أن يخضع ويدفع الجزية [ب] . ثم انتقل ابن سعود بقواته إلى إقليم الأحساء شرقاً ليهاجم بني خالد[ج] الذين كانوا يحكمون هذا الأقليم منذ حوالي مائة سنة - لكنه لم يفلح[١] .

عبدالعزيز بن محمد ١٧٦٥-١٨٠٣م /١١٧٩-١٢١٨هـ

وخلف محمد بعد موته ابنه عبدالعزيز الذي كان كثيراً ما يتولى قيادة جنود (الوهابيين) والذي كان قد تزوج من ابنة المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

الاحوال في نجد ١٧٦٥-١٨٠٣م/١١٧٩-١٢١٨هـ

حين تولى عبدالعزيز حكم (الوهابيين) عهد بقيادة الجنود وتوجيه العمليات العسكرية إلى ابنه سعود الذي تولى هذا العمل وحقق فيه نجاحاً كبيراً.

* [أ] لم يأتي الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمذهب جديد ولكن هذه المعلومات أستقاها الكتاب الغربيين من أعداء الحركة الاصلاحيه بالعراق وبقية البلدان الخاضعه للعثمانيين في ذلك الزمن.

* [ب] المراد هنا الزكاة لأنه لا جزية على المسلم .

* [ج] سلمت الرياض للدوله السعوديه الأولى ١١٨٧هـ بينما كان ، أول تسلم لحكومة الدرعيه لمنطقه الأحساء ١٢٠٧هـ / ١٧٩٣م بعد هزيمة جموع بني خالد بقياده براك بموقعة الشيط ؛

[١] تقول احدى الروايات - ان محمدا - بعد أن استطاع توحيد جزء كبير من وسط الجزيرة - بما في ذلك جبل شمر أيضاً - لم يشأ أن " يهدم الجبل على رأسه .. " أو بتعبير آخر أن يثير حفيظة القوى المجاورة التي تمثل خطرا . وإذا كان الأمر كذلك ، فلا شك في أن سياسة الحذر والانكماش هذه قد استبدلها ابنه بسياسة أخرى عدائية .

إخضاع الرياض ١٧٧٢/١١٨٧هـ :

فالرياض – بعد أن كانت تدفع الجزية – تم إخضاعها نهائياً في ١٧٧٢ ، ولجأ الشيخ دهام بن دواس إلى الأحساء ، وضمت الرياض إلى أملاك (الوهابيين).

إغتيال الأمير عبدالعزيز ١٨٠٣/١٢١٨هـ :

ولا تشير التواريخ التي بين أيدينا لهذه الفترة من تاريخ نجد حتى تذكر اغتيال عبدالعزيز التي حدث في الدرعية في يوم يختلف في تحديده ما بين ٤ أكتوبر و ١٢ نوفمبر ١٨٠٣/١٢١٨هـ[أ] . وقد اغتيل في المسجد وقت صلاة العشاء على يد أحد السادة الإيرانيين الذي كان (الوهابيون) قد قتلوا بعض أقاربه ، وقد أعدم القاتل فوراً ، وكان عمر عبدالعزيز وقت مصرعه حسبما يروى ٨٢ عاماً[١] .

عمليات (الوهابيين) العسكرية في غرب الجزيرة

١٧٦٥-١٨٠٣م /١١٧٩هـ-١٢١٨هـ

ثم ابتدأت حركة (الوهابيين) المتحمسين القوية لنشر دعوتهم، وكان اتجاه تحركهم غرباً أكثر من اتجاهها نحو الأقاليم التركية على شاطئ البحر الأحمر.

* [أ] كانت وفاة الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود في العشر الأواخر من شهر رجب ١٢١٨هـ. أنظر إبن بشر – عنوان المجد ص١٦٧.

[١] كورانسيز في كتابه " تاريخ الوهابيين " أكثر وضوحاً ، فهو يذكر أن القاتل – الذي استخدم الخنجر في تنفيذ جريمته – كان درويشاً كردياً التحق بالخدمة العسكرية مع الأمير عبدالعزيز يهدف قتله ، لان الوهابيين ذبحوا ثلاثة من أبنائه في مذبحة كربلاء سنة ١٨٠١.

الحرب مع شريف مكة ١٧٩٢-١٨٠٢م / ١٢٠٨ - ١٢١٧هـ :

وفي سنة ١٧٩٢م أو ١٧٩٣م بدأت الأعمال العدائية بين الأمير (الوهابي) وغالب شريف مكة الذى كانت آراوه السياسية والدينية لا تتفق وآراءهم بطبيعة الحال . واستمرت الحرب بين الجانبين زمناً طويلا ، وتمثلت في شكل إغارات متفرقة وإغارات مضادة تقوم بها القبائل الموالية لكل من الجانبيين على القبائل الموالية للجانب الآخر . وفي وقت من الأوقات رجحت كفة الشريف غالب ، فقد ظل سنة كاملة مسيطراً على القرية الصحراوية "لعلها شقرا" في نجد ، غير أنه استطاع الإفلات مرة أخرى من قبضة (الوهابيين) وهرب مع عدد قليل من أنصاره فقط إلى بيشه . وفي سنة ١٧٩٩م استطاع سعود-ابن-امير(الوهابيين) أن يأتي إلى مكة ومعه عدد كبير من أنصاره المسلحين ، وكرر هذا العمل في السنة التالية ، وتلك أعمال معناها بالمصطلح الحديث استعراضات عسكرية . وفي سنة ١٨٠١م خضعت القبائل المستقرة في إقليم الطائف لنفوذ (الوهابيين) ، وولى الأمير عليها شيخ البدو عثمان المضايفى[أ] الذي كان صهر الشريف غالب لكنه كان على عداء له منذ سنوات عديدة.

استيلاء (الوهابيين) على الطائف والقنفده ١٨٠٢-١٨٠٣م/١٢١٧-١٢١٨هـ :

وفي سنة ١٨٠٢م/١٢١٧هـ استسلمت للشيخ عثمان مدينة الطائف المسماه " بستان مكة المكرمة " وهي التي تقع على مسيرة يومين فقط شرقي الاماكن المقدسة، وأعمل (الوهابيون) السيف في أهل المدينة حتى الأطفال والنساء[ب] ، وقبل نهاية السنة نفسها استطاع (الوهابيون) أن ينتزعوا ميناء قنفذه على البحر الأحمر من قبضة الشريف غالب .

---

* (أ) المضايفي زعيم قبيله عدوان كان أحد رجال الدولـه السعوديه الأولى المخلصين حتى أسر وقتل عند وصول جيوش محمد علي باشا إلى الطائف.

*(ب) هذه إحدى مغالطات هذا المؤلف الذي قد يكون أستقاها من مصادر أعداء الدوله إذ كيف يمكن لجيش يقاتل من أجل مبادئ وعقيده إسلاميه أن يرتكب مثل هذه الأعمال .

استيلاء (الوهابيين) على مكة ١٨٠٣م/١٢١٨هـ :

وفي إبريل أو أول مايو سنة ١٨٠٣م/١٢١٨هـ وبعد دفاع استمر شهرين أو ثلاثة أشهر سقطت مكة في أيدي (الوهابيين) بعد أن حاصروها حتى لم يعد أهلها يجدون طعاماً أو شراباً وهكذا استولى سعود على المدينة المقدسة . وخلال إقامة (الوهابيين) القصيرة فيها كان مسلكهم معتدلاً إلى حد كبير، لكن القبور التي كان المسلمون يتبركون بها سويت بالأرض ، ودعا (الوهابيون) إلى إصلاح الأخلاق وتعديل القيم ، وقبل أن يغادروا مكة جعلوا عليها أميراً باسمهم هو عبد المعين شقيق الشريف غالب . أما الشريف غالب نفسه فقد فر حين سقطت مكة في أيدي (الوهابيين) إلى جده على شاطئ البحر الأحمر واعتصم بها ، وإلى هناك سارت وراءه بعض قوات (الوهابيين) لكنها لم تستطع أن تقهر استحكاماته فاضطرت إلى وقف المحاولة والعودة بعد ١١يوماً . وقد خضعت الآن (للوهابيين) أكثرية قبيلة حرب التي كانت تقاومهم ، كذلك خضعت لهم أيضاً ينبع وهي ميناء على البحر الأحمر ، أما المدينة فلم تستسلم بعد رغم حصارها ، وبدأ مرض الدوسنتاريا يسري في معسكر الغزاة .

الصلح ودعوة الشريف إلى مكة ١٨٠٣م/ ١٢١٨هـ :

وفي يوليو سنة ١٨٠٣م/١٢١٨هـ حين عادت معظم قوات (الوهابيين) إلى نجد رجع الشريف غالب من جده ، وأخضع حاميتين صغيرتين كان (الوهابيون) تركوهما وراءهما في مكة واستعاد حكم المدينة ، لكنه بعدها أعلن خضوعه لأمير (الوهابيين) بشروط أفضل . فقد أعترف له الأمير بأن يظل مسئولاً عن العوائد والنفوذ السياسي في المدينة ، كما استثناه هو وأهلها من دفع الجزية له . وفي مقابل ذلك تعهد الشريف بألا يأخذ رسوماً جمركية في جدة من (الوهابيين) .

عمليات (الوهابيين) العسكرية في شرقي الجزيرة

١٧٦٥ - ١٨٠٣م/ ١١٧٩ - ١٢١٨ هـ

ورغم إنشغال (الوهابيين) واهتمامهم البالغ بالأقاليم الساحلية الممتدة على البحر الأحمر ، كانت طاقاتهم ومصادرهم تسمح لهم أيضاً بأن يستعرضوا نشاطهم على طول الساحل العربي من الخليج حيث حققت دعوتهم إنتصاراً واضحاً .

هجوم (الوهابيين) على الكويت ١٧٩٣ - ١٧٩٥م/ ١٢٠٧ - ١٢٠٩هـ :

وخلال الفترة من ١٧٩٣م إلى ١٧٩٥م وفي الوقت الذي انتقلت فيه الوكالة البريطانية مؤقتاً من البصرة إلى الكويت شن (الوهابيون) عدة غارات وهجمات على مدينة الكويت ، لكنهم لم يحققوا أي نجاح .

وقد أشرنا إلى بعض تفاصيل هذه الأعمال العدوانية في تاريخ إمارة الكويت[أ] . أما طبيعة العلاقات القائمة بين ممثل الحكومة البريطانية في الكويت وأمير (الوهابيين) فتكتنفها الشكوك . فمن ناحية تردد أن الهدايا كانت تحمل بانتظام إلى أمير (الوهابيين) الذي كان من جانبة يقوم بتوفير الحماية لخط البريد الصحراوي البريطاني إلى أوربا [١] .

وقد قيل من الناحية الأخرى إن الوكالة البريطانية في الكويت قد ساعدت أهل الكويت في صد هجمات (الوهابيين) وأبدى الأمير عبد العزيز بعدها دلائل

---

* (أ) عن علاقة حكومة الدرعية بالكويت أنظر كتاب الدكتور / عبد الله الصالح العثيمين بعنوان العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت .

(١) حسب ما يذكره كورانزس (ص : ٥٠) فقد تعهد الأمير بحماية البريد البريطاني طالما ظل الصلح قائماً بينه وبين باشا بغداد . لكنه أمر بقتل رجل - على أي حال - لأنه حاول التعرض لهذا البريد .

سخطه واضحة وفي سنة ١٧٩٨-١٧٩٩م كذلك في سنة ١٨٠٢م/١٢١٧هـ سارت حملات الأتراك على (الوهابيين) عبر الكويت كما سنرى .

فتح (الوهابيين) للإحساء :

وتم (للوهابيين) فتح إقليم الإحساء تماماً في سنة ١٧٩٥م/ ١٢٠٩هـ بعد أن خضع معظمة في سنة ١٧٩٣م/١٢٠٧هـ . ووضع الإقليم تحت حكم أفراد من (الوهابيين) وغيرهم من الدعاه . وهكذا أصبحت الأحساء قاعدة لمنطلق(الوهابيين) نحو التوسع في شرق الجزيرة . وبعدها بعدة سنين كما سنرى أصبحت الأحساء أرض المعركة الأولى بين (الوهابيين) والأتراك .

تدخل (الوهابيين) في شئون البحرين سنة ١٨٠٢- ١٨٠٣م/ ١٢١٧- ١٢١٨هـ :

وبمجرد أن تدعم مركز (الوهابيين) في الأحساء . بدأوا يحاولون مد نفوذهم إلى البحرين ومن خلال مساعداتهم كما هو مذكور في تاريخ البحرين استطاع العتوب حكام البحرين أن يصدوا السيد سلطان مسقط عن اتخاذ قواعد دائمة له في الجزر . وفي ١٨٠٣م يبدو أن شيخ البحرين سلمان بن أحمد قام بزيارة أمير (الوهابيين) ومعه مبلغ من المال لدفعه كجزية . غير أنه اعفى من هذا الدفع .

ومن الأحساء أيضاً خرجت قوات (الوهابيين) يقودها حريق وهو عبد نوبي إلى واحة البريمي وتمت له السيطرة عليها واحتلالها بهدف مواصلة العمل مستقبلاً ضد إمارات عمان المتصالحة وسلطنة عمان[أ] ، وتفاصيل عملياتهم في هذا الأتجاه مذكورة ضمن تواريخ مختلف الإمارات المعنية . وفي منتصف ١٨٠٢ أمتد النفوذ (الوهابي) على طول الساحل من جوار الكويت إلى دبي .

---

* [أ] القائد السعودي هو أحد موالي الإمام عبد العزيز ويدعى بلال الحرق وكان والياً من قبل الدولة السعودية الأولى على واحة البريمي سنة ١٨٠٠م.

إحتلال (الوهابيين) للبريمي وعلاقتهم بعمان ١٨٠٠– ١٨٠٣م/ ١٢١٥– ١٢١٨هـ :

وفي سنة ١٨٠٣م وفي أعقاب العون الذي قدمه السيد سلطان مسقط لعدوهم الشريف غالب شريف مكة ، قام (الوهابيون) باعلان الحرب على السلطان . واستطاعوا بإرغام العتوب في الكويت والبحرين والقواسم في رأس الخيمة على مهاجمته في البحر أن يضعوا سلطان عمان في مأزق خطير . ولكن تم الصلح بعد ذلك مباشرة على أن يدفع السلطان جزية سنوية قدرها ١٢ألف روبية لأمير (الوهابيين) ويسمح بوجود ممثل سياسي لهم عنده . لكن هذا الصلح سرعان ما خرقه (الوهابيون) الذين يبدو أن هدفهم كان إخضاع عمان إخضاعاً تاماً بطريق الغزو ، لكن أخبار اغتيال الأمير عبد العزيز التي وصلت في نهاية هذه السنة ، أرغمتهم على أن يوقفوا نشاطهم هذا زمناً . وفى نفس الوقت كان السيد بدر الذي خلف السيد سلطان على مسقط فيما بعد قد ترك عمان ولحق (بالوهابيين).

عدوان (الوهابيين) على العراق التركي

١٧٦٥– ١٨٠٣م/ ١١٧٩ – ١٢١٨هـ

اغارات (الوهابيين) على حدود العراق ١٧٨٤– ١٧٩٨م/ ١١٩٩– ١٢١٤هـ :

منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٧٨٤م بدأ (الوهابيون) يثيرون الفزع في قلوب حكام العراق الأتراك . وخلال السنوات العشر التالية تزايد خطرهم تزايداً مطرداً ، وكانت هجماتهم التي يشنونها على أماكن بعيدة كل البعد عن الموقعة تحقق النجاح في معظم الأوقات . وكانت السرعة التي يستطيع بها (الوهابيون) حشد قوة ما ، ثم السرعة التي تنطلق بها هذه القوة في سبيلها إلى هدفها ، أمراً يندهش له دائماً العثمانيون الذين تميزت عملياتهم بالبطء ، وأصبح الريف والقرى والمدن الصغيرة على الحدود الغربية للعراق هدفاً سهلاً لغارات (الوهابيين) لاسيما

منطقة النهاية السفلى لإقليم البصرة ، وفي بعض الأحيان ونظراً لان باشوية بغداد لم تكن تستطيع أن تقدم الحماية اللازمة كان الأهالي يدفعون (للوهابيين) الأتاوات التي يطلبونها منهم .

وقد قضى (الوهابيون) على قوة قبيلة بني خالد التي كان يمكن أن تصدهم عن هذا الزحف أثناء فتحهم للأحساء سنتي ١٧٩٢م و ١٧٩٥م . ومن ذلك الوقت فصاعداً راح الباب العالي يتخذ من الإجراءات ما يكفل سيادته على ممتلكاته . خصوصاً أن تآمر شريف مكة وشكاوي الحجاج الإيرانيين وغيرهم من الحجاج قد دفعت الباب العالي إلى الإسراع بالعمل .

الحملة التركية الأولى على (الوهابيين) ١٧٩٨- ١٧٩٩م/ ١٢١٣- ١٢١٤هـ :

ولمدة سنتين أو ثلاث سنوات ظل الباب العالي عاجزاً عن إقناع ممثله في بغداد الذي لم يكن آنذاك سوى الرجل القوي والنشيط سليمان باشا بإعداد حملة على (الوهابيين). ولكن أخيراً في سنة ١٧٩٨م وبعد أن أصبحت غارات (الوهابيين) تهدد حتى مدينة الحلة تخلى سليمان باشا عن معارضته التي كانت قائمة على اعتبارات شخصية ومالية . وأعد الوالي قوة قوامها حوالي خمسة آلاف جندي يصحبهم طابور من المدفعية لم يكن على درجة كبيرة من الكفاءة . ثم أضيفت إليها قوة أخرى تعادل ضعف عددها تقريباً من قبائل شمر والظفير والمنتفق . ويبدو أن الجزء النظامي من هذه الحملة الذي كان معسكراً في سبتمبر سنة ١٧٩٨م على الضفة اليمنى لدجلة في بغداد وصل إلى البصرة في أواخر ديسمبر . وكانت الحملة كلها تحت قيادة علي باشا وكان هذا ياوراً شخصياً لسليمان باشا وهو أصلا عبد رقيق من جورجيا لكنه تزوج بابنة سيده وقد وصفه أحد الذين عرفوه[١] بأنه " رجل جاهل مغرور عنيد خائن وسيئ الخلق " ونظراً لجهله بالشئون العسكرية ومعاملته السيئة لزعماء قبائل البدو الذين كان عليه أن يعتمد عليهم فقد تنبأ الكثيرون بفشل

---

(١) هذا كما وصفه سير هـ . ج . بريدجس لكن مستر مانستى من الناحية الأخرى وصفه بأنه " شاب شجاع ومتحمس".

الحملة وانهيارها حتى قبل ان تتحرك. وكان هدف الحملة هو عاصمة (الوهابيين) في الدرعية ، وكان مقرراً أن تسلك اليها الطريق الطويل الأكثر أمناً الأحساء . وقد أخضعت الحملة هذه الواحة في طريقها .

ومن البصرة سار علي باشا براً إلى الأحساء ، حيث استطاعت قواته احتلال مواقع (الوهابيين) فيها كافة باستثناء كوت الهفوف وقصر صاهود في المبرز، فقد استطاع هذان الموقعان الصمود لهجمات غير مركزة وإطلاق نيران مدفعيه دون مهارة أكثر من شهرين . وأخيراً رضخ علي باشا لنصيحة معاونيه العرب ومن أشهرهم محمد بك الذي كان يظن أنه يراسل (الوهابيين) فرفع الحصار عنهما ورجع أدراجه إلى البصرة[أ] .

لكن سعوداً ابن امير (الوهابيين) سد عليه طريق العودة عند ثاج في وادي المياه ، وظل الجيشان يواجهان أحدهما الآخر لمدة ثلاثة أيام ولا يستطيع أيهما أن يغامر بالهجوم على الآخر ثم عقدت هدنة مدتها ست سنوات بين (الوهابيين) وباشوية بغداد في مايو ١٧٩٩م، وللتصديق على هذه الهدنة عاد مبعوث عن (الوهابيين) مع علي باشا لبغداد . وفي نفس الوقت قام سعود بزيارة الأحساء فكافأ الحاميات الموجودة في كوت الهفوف وقصر صاهود لثباتها وعاقب أفراد تلك التي استسلمت للأتراك ، على طريقة (الوهابيين) المشهورة أي بمصادرة جميع أملاكهم . وتمت تسوية الأمور أخيراً بين الباشا وامير (الوهابيين) في بغداد بعد تعاظم وصلف واضحين من ممثل (الوهابيين) [١] .

---

* [أ] هذه كانت الحمله الثانيه ١٢١٣هـ/١٧٩٩م كما تشير المصادر المحليه المعول عليها أما الحمله الأولى فهي حملة ثويني بن عبدالله شيخ قبائل المنتفق حيث أخرجه سليمان باشا من السجن وكلفه بقيادة الجيوش إلى الأحساء ١٢١١هـ/١٧٩٧م لكن ثويني قتل على يد أحد مماليك بني خالد على ماء الشباك . أنظر ابن بشر عنوان المجد ص ١٤١-١٤٣.

[١] يصف لنا سير هـ . ج . بريدجس – الذي كان شاهد عيان – المشهد الهزلي الذي جرى لدى استقبال الباشا لممثل (الوهابيين).

وكانت النتيجة الرئيسية لهذه الحملة الفاشلة هي استهتار (الوهابيين) التالي بالقوات التركية ، فلا عجب أن رأينا (الوهابيين) لايلتزمون بشروط هذه الهدنة التزاماً كاملاً . لكن كان لديهم شيئ من العذر على أية حال ، فقد قام بعض الأعراب بمهاجمة قافلة للحجاج الإيرانيين يحرسها (الوهابيون) في المنطقة الواقعة بين الحلة والنجف ونهبوها . وبدأت عصابات السلب والنهب الآن تمارس نشاطها في إقليم البصرة ، وبلغت الأمور ذروتها عندما مني سليمان باشا بهزيمة ساحقة على يد (الوهابيين) ، فعجلت بموته "وسادت العالم الاسلامي سحابة من الأسى ، بينما تعززت مكانة هذه الطائفة "الوهابيين" وتزايدت ثقتهم بأنفسهم" .

مذبحة كربلاء ٢٠ابريل ١٨٠١م/١٢١٦ هـ :

وفي صباح ١٨ من ذي الحجة الموافق الاربعاء ٢٠إبرايل سنة ١٨٠١ على الأرجح ظهرت حشود (الوهابيين) فجأة في كربلاء وكان كثير من أهلها قد هجروها في ذلك الوقت للحج إلى النجف وهي فرصة لابد أن العدو بني خطته عليها ، وقد قدرت قوة الغزاة هذه المرة حسبما تقول عدة مصادر بما لايقل عن ستة آلاف . وقد جعل على كل جمل رجلان . وبعد أن توقف (الوهابيون) قليلا وأقاموا معسكراً صغيراً في الحدائق الواقعة غربي المدينة ، وبعد أن ارسلوا فرقتين اتخذتا مواقعهما في الشمال والجنوب ، بدأوا بمهاجمة بوابة المدينة المواجهة للخانقاه عن طريق مربط القوافل هناك ، ولم يمض وقت طويل حتى استطاعت مدفعيتهم[١] إحداث ثغرات في سور المدينة . واستطاع النقيب، السيدمرتضى ، والحاكم المدني في كربلاء الهرب عن طريق بوابة أخرى ، وساد المدينة ذعر شامل ، واندفع (الوهابيون) مباشرة إلى مقام الإمام الحسين لان التقديس الذي كان يحظى به يتنافى مع عقائدهم . وخلال هذا اليوم نهب (الوهابيون) القبر والمقام بقدر ماستطاعوا حتى السياج النحاسي المضروب حوله استطاعوا أن ينتزعوا نصفه ، ثم اكتسحوا شوارع المدينة كلها عدا الجزء الذي يقع فيه قبر عباس ينهبون

(١) هكذا تقول احدى الروايات .. لكن (الوهابيين) لم تكن لديهم مدفعية .

المنازل ويقتلون كل رجل يلتقون به في هذه المنازل ، وبعد الظهر ، انسحبت قوات (الوهابيين) من المدينة واختفت في الصحراء وحملوا معهم كما قيل حمولة أكثر من مائتي جمل ومما نهبوه من الأماكن المقدسة وغيرها عدا عن الأسرى . وحدثت كل هذه المأساة في زمن لم يتجاوز ثماني ساعات .

وقد قدر عدد القتلى من أهل كربلاء في هذا اليوم المريع بحوالي ثلاثة آلاف، لكن البحث التالي أثبت أن العدد أكثر من هذا بكثير وربما بلغ أكثر من خمسة آلاف رجل ذبح منهم حوالي ٥٠٠ حول قبر الحسين فقط . ولم يقتل من (الوهابيين) حسبما قيل سوى رجل واحد [أ] . وساد الحزن السنة التالية كلها بين من تبقى في المدينة الحزينة ، ولم يخفف منه إلا ماقدمه مستر هارفورد جونز " سير هـ . ج . بريدجس فيما بعد " المقيم في بغداد باسم شركة الهند الشرقية المعظمة[ب]، والمعونة التي اكتتب بها الإيرانيون لافتداء الأسرى . وتولى المقيم في بغداد هذا الامر أيضاً وأثمرت جهوده .. فأطلق سراح حوالي ٢٠٠ رجل منهم ونقلوا إلى إيران كما ارادوا . وبعد انسحاب (الوهابيين) من كربلاء هاجموا النجف لكنهم صدوا عنها ، فاغاروا على بعض المستعمرات الصغيرة على شط العرب وصدهم عنها أهل مدينة الزبير .

الحملة التركية الثانية على (الوهابيين) سنة ١٨٠٢م / ١٢١٧ هـ على الارجح :

وأصبح موقف سليمان باشا بعد هذه المذبحة حرجاً . فرغم أن الباب العالي لم يكن ينوي عزله عن وظيفته إلا أنه كان محتملا أن يقوم شاه إيران الذي كان معظم الضحايا من رعاياه بعمل حاسم ضده كأن يطالبه بتعويض عن كل الخسائر التي لحقت بأثر الشيعة الثمينة الموجودة في مقام الإمام علي مؤقتاً إلى قبر الإمام

---

* [أ] قدر ابن بشر عدد القتلى من أهالي كربلاء بالفين رجل تقريباً وذكر أن ذلك تم في ذي القعده ١٢١٦هـ أنظر إبن بشر – عنوان المجد ص ١٦١.

* [ب] لعل هذا التعظيم لشركة الهند البريطانيه ناهيك عن حكومتها من خير الشواهد التي يستدل بها على تعظيم المؤلف لكل ماهو بريطاني .

موسى حسبما روى في الكاظمية بالقرب من بغداد . ولاستعادة هيبة تركيا وإيران مرة أخرى شرع سليمان باشا في إعداد حملة ضخمة معظمها من قوات البدو هذه المرة للسير إلى الدرعية . وكان يقود هذه الحملة ثويني شيخ المنتفق وتضم قوات من قبائل الظفير وشمر وكعب ومن المنتفق أيضاً ، لكنها انتهت كحملة علي باشا السابقة إلى كارثة . فأثناء توقف الحملة عند آبار الصبيحة على بعد ثلاثين ميلا جنوب الكويت قام عبد باغتيال ثويني واقترب سعود أمير (الوهابيين) بقواته فوقعت الحملة كلها في الفوضى والاضطراب أما القسم النظامي غير البدو من الحملة فلم يستطع أن يجد طريقه في الصحراء وتهدده العطش بالموت ، فاستسلم معظمهم (للوهابيين) . أما من كان مصيره الاستسلام لقبائل جنوب نجد الأكثر تعصباً مثل قحطان وعتيبه فقد قتل[أ] . وأدت الكوارث المتتابعة هذه إلى القضاء على سليمان باشا فمات في ٧ أغسطس ١٨٠٢ م . أما استسلام الأتراك عموماً لهذه الاستفزازات الخطيرة من جانب (الوهابيين) فلا يمكن فهمه إلا من حيث ارتباطه بوضعهم في اوروبا الذي كان خلال الفترة من ١٧٦٨ إلى ١٨٠٨م في تدهور مستمر نتيجة أسباب خارجية في البداية ثم داخلية بعد ذلك [١] .

---

* [أ] سبقت الاشاره إلى أن ثويني قائد الحملة الأولى وأما الحملة الثانية فكانت بقيادة علي كخيا باشا ولهذا فإن هذه الحملة التي كانت بقيادة ثويني تعتبر الحملة الأولى .

[١] في سنة ١٧٦٨ أعلن السلطان مصطفى الثالث الحرب براً وبحراً على كاترين امبراطورة روسيا . واستطاع الروس احتلال القرم وتوالت خسائر الاتراك ولم يوقفها الا عقد الهدنة التي تم بموجبها تقسيم بولندا . وفي سنة ١٧٧٣ نشبت الحرب مرة أخرى وظلت دائرة حتى صلح كوتشك - كينارجي في سنة ١٧٧٤ وأصبحت القرم بمقتضى هذا الصلح مستقلة عن تركيا ، وأصبحت أزوف وكيرتش وكنبورن تابعة لروسيا . وفي سنة ١٧٨٣ ضمت الامبراطورة كاترين القرم نهائياً إلى روسيا ، وفي سنة ١٧٨٨ قامت النمسا وروسيا بهجوم مشترك على تركيا بهدف السلب والاتلاف . وفي سنة ١٧٩١ عبرت الجيوش الروسية نهر الدانوب وفي ١٧٩٢ عقدت معاهدة جاسي التي انتقل بمقتضاها اقليم تفليس والأقليم الممتد بين القرم والدنياستر من تركيا إلى روسيا . وبعد تولي الامبراطور بول في روسيا ظلت تركيا وروسيا كما هما في مواجهة قوات نابليون التي احتلت مصر التابعة لتركيا في سنة ١٧٩٨ . غير أن الانكشارية المتمردين ، وحكام الاقاليم غير المخلصين ، والرعايا المسيحيين الساخطين ... سرعان ما ساروا جميعاً بالامبراطورية التركية في سبيل التدهور ، وفي سنة ١٨٠١ تمردت الصرب على تسلط الانكشارية أولاً ثم على السلطة التركية كلها فيما بعد ، وفي سنة ١٨٠٥ حدث هجوم جديد غير ناجح من قبل=

سعود بن عبد العزيز

١٨٠٣ – ١٨١٤م/ ١٢١٨– ١٢٢٩هـ

تولى سعود إمارة (الوهابيين) بعد أبيه بغير معارضة لأن اباه عبدالعزيز كان قد عينه أميراً قبل موته . وكان سعود يمثل الحاكم (الوهابي) أصدق تمثيل من حيث إدارته ومن حيث حياته اليومية أيضاً ومن هنا اعتقد أن الحديث عنه وعن شخصيته – لهذه الأسباب–ليس خارج الموضوع [١] .

شخصية سعود :

كان سعود رجلا وسيماً ، لحيته أطول من المألوف ، وكان شعر شاربه كثيفاً جداً حتى أطلق عليه لقب " أبو الشوارب " ، وكان صوته عميقاً هادئاً ونفاذاً . وكان ضليعاً في التشريع الإسلامي ، ومن حيث قدرته على تطبيق هذه الشرائع لم يتفوق عليه واحد من الأمراء (الوهابيين) ، وكان الناس يطمعون في عدله بقدر ما يرهبون قسوته . أما مشاعره العائليه وقوتها ، وصفاء عقله وإخلاصه لأصدقائه وتمسكه بكلمته فقد كانت كلها فوق مستوى الريب ، لكنه كان ضيق الصدر دائماً . ولايستطيع أن يتحمل الخديعة وذا طبع متقلب كثيراً جداً . وكان يلبس أبسط اللباس ومسلكه متواضع وقد أبطل كل الاحتفالات والمظاهر واستبدل ذلك بكرم ضيافة اشتهر عنه . وكان سعود في شئونه الشخصية العائلية معتدلا ومقتصداً إلى أبعد الحدود ، وان كان البعض يتهمه بالجشع وحب الثراء خاصة بعد نهب كربلاء

=روسيا على تركيا التي أصبحت الأن حليفة لفرنسا ، ثم قامت قوات بحرية بريطانية بعملياتها على القسطنطينية ، وفي سنة ١٨٠٧ عزل الانكشارية السلطان سليم الثالث ، وخلال مدة حكم السلطان محمود الثاني الذي خلفه (١٨٠٨– ١٨٣٩) توقف بعض الشئ انحلال الامبراطورية التركية .

[١] المصدر الرئيسي هنا هو بيركهارت بطبيعة الحال ، وكتابه القيم : " توطئه لتاريخ الوهابيين .. " وهو كنز حقيقي للدارسين المهتمين بالموضوع .

ومدن الحجاز ، وبأن دوافعه لمصادرة الأموال والممتلكات كانت تختلط فيها الحماسة لتطبيق الشريعة بالمصالح الشخصية [أ] . وتمثل مظهر إسرافه الوحيد في الخيول التي كان يملك أجمل مجموعة عربية أصيلة منها . فقد كان يحتفظ في الدرعية بأكثر من ثلاثمائه أو أربعمائه منها غير الموجود في الأحساء ، كما كان لديه أيضاً مجموعة من أحسن الجمال الصالحة للركوب . وقد قيل إن سعود اشترك في معركة أيام أبيه وهو في الثانيه عشرة ، وكان في شبابه يقوم دائماً بأدوار هامة في القوات (الوهابية) وكان كثيراً ما يقودها . لكنه بعد أن تولى الإمارة لم يعد يعرض شجاعته فقد ظل بعد اغتيال أبيه يرتدي سراً درعاً حديدية تحت ثيابه ، وأثناء زيارته لمكة كان يحيط نفسه بإجراءات أمن غير عادية ، وفي الدرعية نادراً ما كان يخرج من بيته إلا في يوم الجمعة ، وطوال مدة حكمه كانت مقابلته شخصياً أمراً بالغ الصعوبة كما كشف أيضاً عن شيئ من عدم الثقة بأخوته، ولم يول أياً من أبنائه سلطة ما إلا ابنه عبدالله لكنه استعان بهم كثيراً في عملياته العسكرية.

الادارة العامة للامير (الوهابي) :

ولم يكن وضع سعود أبداً وضع الحاكم أو الملك المطلق .. لكنه كان أقرب لأن يكون شيخاً كبيراً من شيوخ العرب يحكم مستمداً مبررات حكمه من نفوذه الذي يدع للأفراد قدراً كبيراً من الحرية بمعنى أنه لم يكن يستطيع أن يتجاهل آراءهم ورغباتهم ، وكانت سلطة الامير تتجاوز سلطات الباقين لا لشيئ إلا لأنه كان يعتبر تجسيداً لمذهب (الوهابيين) وكان الناس لهذا السبب يخضعون له بارادتهم . وكان الامير حريصاً قدر الطاقة على توفير السلطة الوراثية للعائلات المخلصة في ولائها للدعوة (الوهابية) ، أما غير المخلصين فقد كان يقضي على نفوذهم بأن ينقل كبارهم إلى الدرعية ويجعل مكانهم الأغراب . وفي معظم الأحيان كان المعينون في وظائف السلطة يتم انتخابهم محلياً ويصدق الأمير على هذا

*[أ] لم يعرف عن الإمام سعود الجشع أو العمل لمصلحته ، كما أن الغنائم التي تكسبها الدولة تدخل لبيت المال لإنفاقها في مصارفها الشرعية ، وقد شهد الكاتب نفسه بأعتدال الإمام وأقتصاده في مصروفاته .

الانتخاب فقط [أ] . وكانت منطقة نفوذ (الوهابيين) مقسمة إلى أقاليم أهمها خلال عهد سعود الأحساء والقصيم وجبل شمر والحرمين (مكة والمدينة والحجاز باستثناء الأماكن المقدسة وحتى جنوبي الطائف) واليمن[ب] ، والبحرين ، وقطر . وربما عمان أيضاً . وكان المسئولون في هذه الأقاليم باستثناء الأحساء التي اتخذها سعود قاعدة له وعاصمةوجعل حكمها في يده كانوا يقومون بمهام الحكومة المحلية . وكانوا كلهم بمن فيهم الشريف غالب في مكة من الرؤساء ذوي النفوذ المنحدر إليهم بالوراثة ، وتنحصر أعمالهم بالاضافة لمسئوليتهم في الرقابة السياسية في جمع الضرائب وتجهيز قوات عسكريه بالقدر الذي تطلبه الحكومه المركزيه أما القانون وتطبيق العدالة فلم يكونا من عمل هؤلاء بل عمل القضاة الذين يتم اختيارهم اختياراً دقيقاً في الدرعية وارسالهم إلى حيث يمارسون عملهم في الأقاليم . وبالنسبة للتعيين لهؤلاء كما هو بالنسبة للحكام أيضاً كان لابد دائماً من موافقة الأمير . وفي أوقات السلم كان سعود يلتزم بنصيحة أسرة مؤسس (المذهب الوهابي) المعروفين باسم " اولاد الشيخ " التي كانت في الحقيقة بمثابة مجلس غير رسمي للدولة .

ميل الحكومة (الوهابية) إلى الاصلاح في الداخل :

وكان اتجاه حكومة نجد ونظامها يعتبران بالنسبة للحكومات قبلها متحضرين كثيراً. فقد كان تطبيق الشرع وسيادة النظام من بين أهداف الحكومة فضلا عن القضاء على الحروب المحلية والنزاعات الشخصية ، وابدال هذه بعقوبات توقعها الدولة أو بتعويضات تدفعها ، وقد استخدم منتهى القسوة في تنفيذ هذه الأهداف حتى يمكننا القول بأن الحرية المطلقة التي كان يمارسها العرب في

---

*[أ] لم يكن هناك إنتخاب بالمفهوم المعاصر وإنما إذا قبل أي شيخ قبيلة أو أي بلدة ما بالدخول في طاعة الدولة السعودية الأولى طواعية فإن الحاكم يبقية على سلطته إذا كان مرضي عنه من قبل أهل بلده .

*[ب] لم يكن اليمن بحدوده السياسيه المعروفه حالياً ضمن الأقاليم التي أنضمت للدوله السعوديه الأولى وإنما كان هناك نفوذ سعودي لحكومة الدرعيه في الأجزاء الساحليه من تهامة اليمن مثل الحديده وبيت الفقيه ووصلت الغارات إلى حضرموت وكادت أن تستولى على عدن أنظر العثيمين – تاريخ المملكه ص ١٤٧.

تسوية خلافاتهم ونزاعاتهم انتهت ووضعت حولها قيود شديدة . وكانت مسئولية القضاء على الجرائم لاسيما النهب والسرقات ملقاة على عاتق الحكام المحليين ويحاسبون عنها حساباً عسيراً . فكثيراً ماكان يوقع العقاب بكل من فشل في منع ارتكاب الجرائم قبل وقوعها وحاول أمير (الوهابيين) أيضاً بالترغيب عن الطلاق رفع المستوى الخلقي بين رجاله . وكان جانب كبير من هذا النظام منفراً للبدو الذين اعتادوا أن يعيشوا على النهب والسلب ، ولابد أنهم سخطوا أشد السخط على هذه البدعة الجديدة التي تقضي بنبذ الاعراف القديمة الخاصة بالجماعة القبلية وما اليها (١) . وكان هذا الأمن الذي بسطه الحكم (الوهابي) خيراً على أهل المدن ، رغم أن هؤلاء أيضاً كانت لهم شكاواهم . وعلى أي حال ، فيبدو أن معظم الرأي العام كان يؤيد الأمير في إصلاحاته . كانت العقوبات قاسية ، لكنها كانت في معظمها مفيدة للخزانة العامة لأنها كانت تأخذ شكل الغرامات المالية وكانت عقوبة الإعدام موجودة لكنها كانت نادرة ولاتطبق إلا في حالة القتل عمداً باستخدام السلاح. أما بالنسبة للرجال ذوي المكانة فقد كانت اقسى العقوبات هي حلاقة اللحية، وكانت تدفع غرامات مالية ضخمه لتلافي هذه العقوبة المهينة .

الجوانب الدينية في الإدارة :

وتميزت الإدارة على وجه العموم بدرجة أقل من التعصب الديني الذي كان متوقعاً من القائمين بالإدارة ، فبعد السنوات القليلة الأولى لم يعد أحد يحرم تدخين التبغ في الخلوه حتى في نجد ، وبعد ١٨١٠م حين فشلت الجهود لمنع الاتصال " بالكفرة " انتظمت مرة أخرى خطوط التجارة مع العراق والشام . لكن إقامة الصلوات الخمس كانت أمراً يحرص على الالتزام به وتنفيذه حتى لو استدعى الامر الضرب بالعصي . وكانت سياسة سعود التجارية سياسة متحررة ، ورغم

---

(١) بالنسبة لقوانين الحماية القبلية انظر: بيللى : " رحلة الى عاصمة (الوهابيين) في الرياض .."الملحق (١٣) .

منعه الربا إلا أنه لم يكن يتدخل في شئون من كانوا يجلبون بضاعتهم رخيصة ويبيعونها بأغلى الأثمان حتى في أوقات القحط والندرة .

النظام المالي في الحكومة (الوهابية) :

وكانت الادارة المالية في حكومة (الوهابيين) بسيطة الاجراءات وفعالة . وكانت أملاك الدولة هي المصدر الرئيسي للعوائد وهي تتكون أساساً من أراضي المتمردين وسواهم من المجرمين التي كانت تصادرها الدولة ، وكثيراً ما كانت تعاد لاصحابها الأصليين يستأجرونها في مقابل نصف أو ثلث المحصول . وكانت هذه الأملاك كثيرة ممتدة فهي تشمل في القصيم على سبيل المثال معظم الأرض الصالحة للزراعة . وكان المصدر الثاني للعوائد هو الزكاة أو الجزية وكانت تجبى من مختلف الناس حسب النصوص التي حددها القرآن فكانت الارض غير المستصلحة تدفع عشر محصولها والأرض المستصلحة تدفع جزء من اثنى عشر منه من غلتها ، ويدفع[١] التجار نسبة ٢,٥٪ من رأسمالهم ، ويقسمون على قيمة رأس مالهم الذي تقدر عليه الزكاة – وكان خمس الغنائم التي يحصل عليها من الحروب مع " الكفرة " تخصص للأعمال العامة ، والباقي يوزع على أفراد القوة التي اشتركت في الحرب . وفي السنوات الأولى (للوهابيين) حين كانت حروبهم ناشبة في الحجاز واليمن والعراق وساحل الخليج في وقت واحد كانت هذه الغنائم مصدراً هاماً لخزانة الدولة لاشك فيه . كما أن مختلف الغرامات التي كانت تفرض كانت تعود بدخل لابأس به على الخزينة العامة ، وكانت تحصل من البدو عيناً في صورة خيول ومواش وأغنام .

وكل هذه العوائد باستثناء زكاة البدو التي كانت تدفع لأمير (الوهابيين) مباشرة ويبقيها لنفقاته الشخصية كانت تجمع مع الاحتياطات الكثيرة ضد الرشوة

---

(١) هكذا وردت في الاصل الانجليزى وهكذا لم يوفق المؤلف في تظاهره بمعرفة الاسلام .

والاختلاس[أ] ، وتحمل إلى بيت المال أو الخزانة العامة – الموجودة في كل إقليم ، ومن هذه الأموال التي تدخل إلى بيوت المال المختلفة كان يحمل الربع من كل منها لبيت المال العام في الدرعية وينفق الباقي على الأغراض العامة المحلية . ولم يكن المبلغ الإجمالي الذي يصل الخزانة العامة من هذا الريع يتجاوز مليون روبية كل سنة ، لكنها وصلت في إحدى سنوات حكم سعود كما يقال إلى مليوني دولار . ومن هذه الخزانة العامة كانت تدفع التعويضات (للوهابيين) الذي لحقت بهم الخسارة على أيدي العدو ولمن بحاجة إلى العون بسبب فقدان ماشيتهم بفعل الحوادث أو المرض ، ولكن في عهد سعود كانت هذه النفقات تعادل جزءاً قليلا من الدخل ، فلا جرم كان هناك وفر مدخر في الدرعية . وكانت زكاة البدو التي كانت تجمع منهم في ربيع كل سنة حول أماكن المياه تقدم للامير مباشرة وتتكفل بنفقات سخائه ومرتبات حرسه، ونفقات الأقارب والضيوف الذين ينالون الطعام على موائده والذي كان يقدر عددهم بين ٤٠٠ و ٥٠٠ نسمه كل يوم ، وبلغت نفقات الحرس الخاص مبلغاً لايقل عن ١٠ آلاف جنيه استرليني .

وكان من أبرز مظاهر نظام (الوهابيين) منع اغتصاب المال او قبول الهدايا الإجبارية بأي شكل حتى إن أسوأ اتهام وجه للأمير سعود هو أنه كان يتحايل ليصادر املاكاً هو شخصياً طامع فيها . ولم تكن لحاكم (الوهابيين) عملة خاصة بل كان الريال هو العملة المستخدمة في نجد أما العمله التركية فكان يرفض تداولها دائماً بزعم أنها مزيفة .

نظام (الوهابيين) العسكري :

كانت الحرب تدار وفق التقاليد البدوية المعروفة ، فباستثناء حرس الأمير الذي يتقاضى رواتب ، وكان عددهم يبلغ حوالي ٣٠٠ رجل ، عدا أبنائه وأتباعهم فلم يكن ثمة جيش نظامي ثابت ، لكن كل الذكور من ١٨ إلى ٦٠ سنة كانوا

* (أ) المعروف أن موارد الدخل كانت تنفق كمرتبات لرجال الدوله مثل القضاه والولاه ومكافآت للمعلمين ومساعدة الفقراء وذوي النكبات والكوارث انظر العثيمين – تاريخ المملكة ص ١٧٨.

يعتبرون جنوداً في الدولة عليهم أن يؤدوا الخدمة العسكرية حينما يطلب إليهم ذلك، وأحياناً كان يستدعى بعض جنود الإقليم فقط ، وأحياناً أخرى كان يستدعى الجنود جميعاً، وكانت الغرامات الباهظة تفرض على هؤلاء الذين يهربون أو يختفون بعد استدعائهم . وربما كانت هذه الخدمة العسكرية الإلزامية في الميدان هي السمة المنفرة من حكومة (الوهابيين) وعلى الأقل لدى سكان المدن المستقرين ، وكان الأمر شديد الوطأة على أصحاب الخيول فباعوها حتى أصبح عددها في نجد أقل مما كان عليه كثيراً ، وكان حملة البنادق من أهل المدن والقرى هم الذين قاموا بدور رئيسي في مذبحة كربلاء ، وكان يطلب من الجندي (الوهابي) المتجه إلى ميدان القتال أن يقدم إضافة لسلاحه وفرسه أو جمله مساهمة في الحملة حددت بمائة رطل من الدقيق و ٥٠ أو ٦٠ رطلاً من التمر ، ٢٠ رطلاً من الزبد ، وغرارة من القمح أو الشعير لدابته وقربة ماء . وكان النظام العسكري (الوهابي) ملائماً للغزوات والغارات ودوريات الاستطلاع ، لكنه لم يكن يسمح باحتلال دائم في أرض أجنبية ، وفي الحقيقة إن (الوهابيين) لم تكن لهم حامية من الجنود ترابط لمدة طويلة في مكان خارجي إلا في المدينة . وكان (الوهابيون) متفوقين في القيام بالغارات السريعة المدمرة على أعدائهم ويعتمدون عليها لتحطيم معنوياتهم . وكان هذا يتم دائماً بسرية وحرص شديدين ، فلم يكن القائد يخبر رجاله بوجهة الحملة ، بل إنه كان يتعمد السير في اتجاه خاطئ . وفي الغزوة (الوهابية) التي اجتاحت حوران في الشام سارت قوات (الوهابيين) مدة ٣٣ يوماً متواصلة قبل أن تصل هدفها ، ودمرت في طريقها قرى كثيرة، ولم يكن أمام باشا دمشق غير مهلة يومين لاتخاذ الترتيبات الدفاعية ضدهم . وكانت شجاعة (الوهابيين) في القتال مستمدة من إيمانهم بأن من يقتل منهم فهو شهيد في الجنة ، وكان من المشين لاي منهم أن يتراجع عن القتال .

وفي العمليات العدائية التي تمت في الحجاز خلال الفترة الأخيرة من حكم سعود لم يحدث مرة واحدة أن انقذ رجل (وهابي) حياة جندي تركي واحد . ومن الناحية الاخرى فاذا قدم للرجل " الامان " سواء كان أماناً عاماً يشمل الروح والمال

أو كان يشمل الروح فقط فقد كان يتم الالتزام به التزاماً دقيقاً . كما كانوا يحترمون دائماً أعراض النساء .

وقد ذكرت هذه التفاصيل كلها لأنها هي التي تضع تاريخ (الوهابيين) في سياق معقول. ومن المحتمل ان هذا النظام (الوهابي) الذي كان مطبقاً على عهد سعود يعتبر حتى اليوم النظام النموذجي للحكم (الوهابي) .

التاريخ الداخلي لنجد ١٨٠٣-١٨١٤م/١٢١٨ - ١٢٢٩هـ

يبدو أن نشاط (الوهابيين) العظيم خارج حدودهم على عهد أميرهم سعود قد حجب احداثاً كثيرة وقعت في نجد ، ثم إن العداء والانغلاق المتبادلين بين أهل نجد وجيرانهم ساهما في القاء مزيد من الغموض على الشئون الداخلية في وسط الجزيرة . وقيل إن تمرداً داخلياً لانعرف زمانه أو مداه على وجه التحديد قد حدث في إقليم الحريق لكنه قمع بسرعة . وفي سنة ١٨٠٨م ضرب نطاق من السرية على مايدور بالداخل لمدة سنتين أو ثلاث . وفي ١٨٠٩م أضاف (الوهابيون) إلى أملاكهم واحة الجوف – لأمير الشمالية لأن باشا دمشق كان قد قام بمحاولة لم يقدر لها النجاح لإعداد حملة على هذا المكان. ومات سعود بالحمى في الدمام في ربيع سنة ١٨١٤م وتاريخ موته على وجه التحديد مختلف عليه لكنه بين ١٠ و ١٧ إبريل[أ] ، ويقدر عمره وقت وفاته بثمانية وستين عاماً[١] .

* [أ] كانت وفاة الإمام سعود بن عبدالعزيز يرحمه الله ليلة الأثنين ٢١ جمادى الأولى ١٢٢٩م ، ولم اقف على مرجع آخر يشير إلى وفاته بالدمام بل لم تذكر المصادر المحليه مكان وفاته مما يعني أن وفاته بعاصمته الدرعيه (إبن بشر – عنوان المجد، ص: ٢٣٩.

[١] يحدد بيركهارت عمره بين الخامسة والاربعين والخمسين ، لكن هذا لايتفق مع قوله أن أحد أبناء أصغر أبناء الأمير قدم عليه أثناء احدى زيارته لمكه .

أعمال (الوهابيين) في غربي جزيرة العرب

١٨٠٣-١٨١٤م/١٢١٨-١٢٢٩هـ

(الوهابيون) يسيطرون على المدينة ١٨٠٤م/١٢١٩ :

أكمل (الوهابيون) فتح الأقاليم التركية على البحر الأحمر بقيادة سعود بن عبدالعزيز ، فاستسلمت المدينة بعد حصارها في ربيع سنة ١٨٠٤م/١٢١٩هـ وعومل أهلها بقسوة شديدة لميلهم إلى الأتراك ، فرغم احترام ملكيات الناس الخاصة إلا أن الجزية [أ] فرضت عليهم - كما فرضت من قبل على أهل مكة يدفعونها لأمير (الوهابيين) . وطرد ممثل تركيا من المكان ، ووضع أحد شيوخ قبيلة حرب حاكماً بدله ، واستولى (الوهابيون) على الكنوز الموجودة في قبر النبي محمد [صلى الله عليه وسلم][ب] أو على تلك التي لم يقتسمها أهل المدينة قبل استسلامهم ، بل وقاموا بمحاولة لهدم قباب القبر نفسه أيضاً[١] وقد كان نهب قبر النبي محمد [صلى الله عليه وسلم] عملا خاطئاً وقصير النظر [ج] ، لأنه ملأ العالم الإسلامي كله بالفزع .. ولأنه أيضاً قد باعد بين السنيين وبين تبني قضية (الوهابيين) تماماً كما باعدت مذبحة كربلاء بينهم وبين الشيعة .

وفي نفس السنة قام ابو نقطة أكبر شيوخ عسير باجتياح منطقة اليمن باسم (الوهابيين) من قنفده إلى بيت الفقيه ، ونهب مواني اللحيه والحديدة وأعاد عمله هذا وبنفس الطريقة غير مرة واحدة خلال السنوات الثلاث أو الأربع التالية . ولكن لم

---

* [أ] لعل المراد بالجزيه هنا الزكاة الشرعيه .

* [ب] زياده من المعلق.

[١] حسب مايذكره الرائد روس فان محاولة هدم قباب القبر لم تحدث الا في سنة ١٨١٠ حين قام الامير نفسه بزيارة المدينة.

* [ج] لعل المراد بنهب قبر النبي صلى الله عليه وسلم ماكان يوضع بالحجره النبويه من نقد ومجوهرات من بعض الحجاج الجهله تقرباً وقد أمر قادة الدوله بتوزيع ذلك على فقراء المدينه .

تبذل أية محاولة للاستيلاء على صنعاء وربما كان ذلك لأن أمير (الوهابيين) كان يتلهف على تأجيل هذا العمل كي يشارك بنفسه في غنائمه وأسلابه .

الوضع العام على الساحل الغربي للجزيرة ١٨٠٤-١٨٠٨م/١٢١٩-١٢٢٣هـ :

وتحت حكم (الوهابيين) ساد الهدوء الأقاليم التي فتحوها على البحر الأحمر، ولما كان الاتصال بينها وبين نجد لا قيد عليه ، واتصالها بمصر أيضاً غير مقطوع، فقد كانت السلع متوفرة بها بأسعار رخيصة . لكن التجارة الخارجية بقيت عموماً على ماهي عليه نتيجة التعرض للحجاج وتقلص تجارة الأجانب بالتالي . وقد بدأ نفوذ الشريف غالب شريف مكة الذي كان يحول دائماً بين (الوهابيين) وممارسة السلطة ممارسة كاملة يتقلص لكنه ظل قوياً في كل مكان خاصة في جده ، وكانت سمعته من القوة بحيث لم تتح (للوهابيين) أية فرصة ينتهزونها للتعرض له . وبنجاح الشريف غالب في إقناع سعود بأن يوقف الدعاء لسلطان تركيا في المساجد في صلاة الجمعة تفاقمت الخلافات العميقة القائمة بالفعل بين الباب العالي (والوهابيين) وقد كان (الوهابيون) ينظرون بامتعاض شديد إلى مواكب الحجاج المنظمة الكبيرة التي كان يشرف عليها المسئولون الأتراك في دمشق والقاهرة ، فضلاً عما يأتي من اليمن وإيران [أ] .

معاملة (الوهابيين) للحجاج ١٨٠٢-١٨١٠م/١٢١٧-١٢٢٥هـ :

وكان (الوهابيون) أنفسهم يؤدون فريضة الحج بخشوع ، وكان أميرهم يؤديها في معظم السنوات ، ولم يكن لديهم اعتراض على الحج نفسه بطبيعة الحال، ولاحتى اعتراض على زيارة المدينة لكنهم كانوا يسخطون وتتأذى مشاعرهم لكثير من الأعمال والبدع التي يقوم بها كثير من الحجاج ، كما أنهم كانوا يعترضون قطعاً على تدخل الحكومة التركية "الكافرة" في شئون الحج . وفي سنة ١٨٠٢م/١٢١٧هـ اصبح حجاج دمشق يجدون صعوبة كبيرة في الوصول إلى مكة،

---

*[أ] كان إمتعاض قادة الدولة السعودية والعلماء من تلك الطريقة التي تمارس من قبل حجاج الشام ومصر بشكل خاص حيث كان المحمل المصري والشامي مصحوبين بالأغاني والطبول .

وأرغموا في سنة ١٨٠٣ على أن يرجعوا قبل الوصول إلى المدينة[١] ، وتوقف حجاج مصر وإيران أيضاً في سنة ١٨٠٢-١٨٠٣م/١٢١٧-١٢١٨هـ . وفي هذه السنة الأخيرة لم يسمح (الوهابيون) بتقدم "المحمل" القادم من مصر عن طريق البحر إلى أكثر من جدة حيث أنزل هناك . وفي سنة ١٨١٠م سمح سعود لموكب حجاج من المغرب وشمال إفريقيا بزيارة مكة نظراً لما هو معروف عن المغاربة من تدين . لكن السلطات (الوهابية) في الحجاز لم تكن أبداً تمنع الأفراد الذين يريدون تأدية مناسك الحج كما يؤديها (الوهابيون) .

لأوفي سنة ١٨٠٥م/١٢٢٠هـ أصبح محمد علي باشا والياً لمصر[٢] ، فاتخذ إجراءات لاسترجاع الحجاز باسم سلطان تركيا ، وفي نفس السنة ارسل حوالي ٤٠٠ أو ٥٠٠ جندي يقودهم شريف باشا إلى جده ، حيث أقام هناك حاكماً لها غير أنه مات هناك ، وظلت وظيفته شاغرة .

وسقطت السويس في يد محمد علي سنة ١٨٠٥م/١٢٢٠هـ ، والقصير في سنة ١٨٠٨م/١٢٢٣هـ . وحين أعلن محمد علي إغلاق هذه المواني في وجه تجارة الحجاز ، وكان أهل هذا الإقليم يعتمدون في غذائهم على مايأتيهم من مصر ، فقد

---

(١) يحدد كورانسيز في كتابه " تاريخ الوهابيين .." سنة ١٨٠٦ (لا ١٨٠٣) على أنها هي اتي أرجعت فيها قافلة الحجاج .

(٢) كان محمد علي جندياً البانياً عصامياً حالفه الحظ. وقد بدأ ابنه ابراهيم باشا – الذي تعتبر بعض الروايات أنه ليس ابنه حقيقة بل ابنه بالتبني فقط بسلسلة ناجحة من الحروب في أوربا بعد حملته على نجد، وفي سنة ١٨٤٨ أصبح ابراهيم حاكما لمصر بدل أبيه لمدة شهرين ، وقد مات قبله . والخديوي عباس حلمي الثاني خديوي مصر هو حفيد ابراهيم باشا الأكبر من ناحية الأب . أما طوسون–ابن محمد علي الثالث (أو الثاني) فقد مات بالطاعون في روزيتا سنة ١٨١٦ قبل أن تنقضى سنة واحدة على عودته من نجد ، وكان عباس الأول – الذي حكم مصر من سنة ١٨٤٨ إلى ١٨٥٤ ابنه ، لكننا لانستطيع أن نجد في هذا الرجل الشهواني الضيق الافق أي شبه بطوسون في جنديته وعسكريته . ومنذ تولي محمد علي حتى سنة ١٨٤١ كانت مصر عمليا مستقلة عن الباب العالي ، وكانت بالفعل أقوى–سواء في البر أو في البحر من الأجزاء الباقية من الامبراطورية التي كان مفروضا أن تتبع لها ، ولهذا فضروري أن نؤكد أن الحملات على وسط الجزيرة والاحتلال في ١٨١٥-١٨١٨ و ١٨٣٥-١٨٤١ كانت مصرية وليست تركية . ويجب أن نذكر أيضاً أن ماكان يسمى بالقوات المصرية انما كان يضم خليطا من الالبان والليبيين والبدو..الخ مع عدد من الترك بطبيعة الحال.

قام أهل الإقليم أنفسهم على الأرجح بطرد (الوهابيين) من ارضهم . ربما احتراماً للأماكن المقدسة . وربما لكراهيتهم الإضرار بتجارة الصادرات المصرية . فتجاهل محمد علي هذه الفرصة وأجل استعادة الحجاز حتى يكون في مركز ييسر له استعادته بقوة السلاح . ولم تبدأ استعدادات الباشا لهذا العمل إلا في نهاية سنة ١٨٠٩م/١٢٢٤هـ ، ومن الناحية الأخرى لم تكن المشاكل في الداخل قد انتهت إلا حين قضي على تمرد المماليك وانتهي من امرهم نهائياً في سنة ١٨١١م/١٢٢٦هـ وحين بدأ ، كانت استعداداته شاملة ومنظمة ودقيقة ، فقيل إنه بعد الحملة أعد اسطولا كبيراً لنقلها من السويس ، وأعد لها سلسلة من المواقع مجهزة بالحاميات على طول البحر الأحمر نزولاً حتى ميناء الوجه ولم تكد تترامى إلى اسماع الشريف غالب نوايا محمد علي حتى بادر إلى الاتصال به .

احتلال القوات المصرية ينبع وصدها عن المدينة .

١٨١١-١٨١٢م /١٢٢٦-١٢٢٨هـ:

وعهد محمد علي بقيادة الحملة إلى إبنه طوسون بك الذي كان ما يزال شاباً في الثامنة عشرة لكنه أثبت شجاعته وكفاءاته في حروب المماليك . ووصل طابور المشاة الذي كان يضم عدداً يتراوح بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ جندي الباني إلى ينبع عن طريق البحر في أكتوبر سنة ١٨١١م ، واستسلم هذا الموقع - الذي كان فيه حامية للشريف غالب باسم (الوهابيين) لايزيد عددها عن مائة جندي-بعد مقاومة ضعيفة دامت يومين فقط . وبعدها باسبوعين وصل طوسون بك وطابور الفرسان الذي كان يضم حوالي ٨٠٠ فارس بعضهم من الأتراك وبعضهم من البدو ولم يجد أية مقاومة في طريقه براً . وحين كان الشريف غالب يبحث عن الاعذار التي يستطيع بها أن يؤيد أحد الطرفين تقدمت القوات المصرية من ينبع عن طريق التلال إلى المدينة .. لكنها حين كانت تعبر مضيقاً بالقرب من قرية جديده فاجأتها قوات ضخمة من (الوهابيين) كانت قد وصلت لتوها من نجد ، ولا تعرف القوات المصرية عن امرها شيئاً . واستطاعت أن تحتل الجبال المشرفة على هذا المضيق

بهمة وسرعة . وكانت النتيجة كارثة محققة للقوات الغازية التي خسرت ٤ مدافع و ١٢٠٠ رجل و ٢٠٠ فرس ، وكل أمتعتها المحمولة على ظهور الجمال . لكن شجاعة طوسون بك شخصياً هو والأغا ابراهيم وهو الاسم الجديد لتوماس كيث[١] استطاعت أن توقف (الوهابيين) عن مطاردة فلول القوات المهزومة حين تصدت لهم بفرقة من الفرسان المصريين . وحين عرف الشريف غالب بما حدث سار بنفسه لينضم إلى (الوهابيين) لكن هؤلاء كانوا قد عادوا إلى الداخل وتركوا قبيلة حرب مسئولة عن مراقبة ينبع .

القوات المصرية تستولي على المدينة ١٨١٢م /١٢٢٧هـ :

وفي أكتوبر سنة ١٨١٢م /١٢٢٧هـ ، وبعد أن وصلت إلى طوسون بك إمدادات ضخمة من مصر وبعد أن استطاع أن يضم إليه بعض قبيلة حرب ، وبعد أن اتصل به الشريف غالب ليعرض عليه ماسبق أن عرضه من استعداده لأن يسلم مكة وحده للقوات المصرية إذا تم استيلاؤها على المدينة قد تقدم طوسون بك مرة ثانية نحو المدينة ، ولم يلق هذه المرة أية مقاومة في طريقه لكن المدينة نفسها التي أخلاها (الوهابيون) من أهلها ليحتلوها استطاعت أن تقاومه مدة أربعة عشرة أو خمسة عشرة يوماً ، وأخيراً استطاع المحاصرون إحداث ثغرة في سور المدينة بواسطة زرع الالغام لأن مدفعيتهم كانت خفيفة لا تيسر مثل هذا العمل . واندفعوا يتقدمهم توماس كيث إلى الداخل حيث استطاعوا أن يقتلوا أكثر من الف رجل من (الوهابيين) الذين بوغتوا بهذه المفاجأة [أ] . ونهب الغزاة المدينة وظل بالقلعة التي حوصرت لمدة ثلاثة أسابيع حوالي ١٥٠٠ (وهابي) أضطروا أخيراً بعد نفاذ المؤونة والذخيرة للاستسلام بموجب شروط مناسبة . لكن القوات المصرية خرقت هذا الاتفاق فقتلت منهم أكبر عدد أستطاعت أن تقتله وأثارت بذلك موجة من

---

[١] توماس كيث كان في الاصل مواطنا من أدنبرة وجنديا في الفرقة ٢٧ هاي لاندرز ، لكنه أسر في مصر ، فأسلم واستطاع بعد مغامرات طويلة غريبة أن يصبح كبير أغوات طوسون بك .

* [أ] لقد جبل هذا الكاتب على تمجيد كل ماهو بريطاني ومنها شجاعة الحاج إبراهيم (توماس كيث سابقاً).

العطف بين البدو على (الوهابيين) ، وجمعت القوات المصرية جماجم (الوهابيين) وأقامت منها برجاً على طريق ينبع كان مايزال جزء منه باقياً سنة ١٨١٥م ورآه الرحالة بيركهارت [أ] .

القوات المصرية تحتل مكة وجدة والطائف ١٨١٣م/١٢٢٨هـ :

وبعد سقوط المدينة تقدمت قوة من ١٥٠٠ رجل يقودها مصطفى بك صهر محمد علي من ينبع إلى مكة ، وكان الشريف غالب يؤيد هذا التقدم ، وكان القائد (الوهابي) المحلي وهو صهر الشريف غالب ، عثمان المضايفي أضعف من أن يعارضه . وفي يناير سنة ١٨١٣م دخلت القوات المصرية مكة واحتلت فرقة أخرى جدة في نفس الوقت ، وبعدها بأسبوعين سقطت الطائف التي تبعد حوالي ٢٦ ميلا شرقي مكة – بين أيدي مصطفى بك يعاونه الشريف غالب بعد مناوشات خفيفة مع عثمان . ومن الطائف تقدم مصطفى بك إلى " تربه " شرقي الطائف لكنه هزم في الهضاب القريبة منها واضطر للرجوع بعد أن فقد ٤٠٠ أو ٥٠٠ من رجاله . ووصل طوسون بك الذي أصبح الآن باشا جده إلى مكة حاجاً في شتاء هذه السنة ، وفي سبتمبر ١٨١٣م أسر عثمان المضايفي بالقرب من الطائف وأرسل إلى القسطنطينية حيث ضرب عنقه .

وصول محمد علي إلى الحجاز وعزل الشريف غالب ١٨١٣م/١٢٢٨هـ :

وفي ٢٨ أغسطس سنة ١٨١٣م/١٢٢٨هـ وصل لجده محمد علي بعد أن صدرت اليه أوامر صريحة من الباب العالي بالسير شخصياً إلى الحجاز فخشي أن يفقد باشوية مصر إن لم ينفذ هذا الأمر . وكانت تصحبه قوات قوامها ٢٠٠٠

---

* [أ] بناء هذا البرج من الجماجم وتقطيع الأنوف والأذان أسلوب همجي . تقشعر منه الأبدان مارسه محمد علي باشا وجيشه أثناء حروبه بالجزيرة العربية .

جندي من المشاة ، ولحق به عن طريق البر طابور فرسان أيضاً يضم ٢٠٠٠ فارس و ٨٠٠٠ جمل للنقل . وكان أول ما فكر فيه محمد علي هو مشكلة توفير الإمدادات والتموين لقواته وكانت هذه أصبحت مشكله حاده فقد كانت الحاميات التركية، الموجودة في مكة والطائف تعتمد على ميناء جدة لإمدادها بحاجياتها ، وكان النقل قليلاً وبطيئاً لايستطيع إمدادها بما تريد بسرعة . ولكي يضع محمد علي حلاً لهذه المشكلة استولى على كل السفن الموجودة في جدة وينبع واتخذ اجراءات لاستئجار عشرين سفينة من السيد سعيد سلطان مسقط لمدة سنة . وبسرعة ، ارتاب محمد علي في نوايا الشريف غالب وكان لذلك ***سببان الأول*** : فشله في أن يقدم لمحمد علي الجمال التي طلبها منه لاستخدامها في النقل ، ***والثاني*** أنه كان واضحاً أن العرب ينظرون إلى الشريف غالب على أنه الذي يحميهم من (الوهابيين) والمصريين على السواء . وأدت شكوك محمد علي قبل مضي وقت طويل إلى القبض على الشريف غالب بحيلة ذكية فقام بنفيه إلى القسطنطينية حيث مات بالطاعون في سالونيك سنة ١٨١٦م لكن تأثير هذا العمل على المستوى المحلي كان سيئاً فقد أدى إلى إنتقال كثير من الشخصيات العربية . ذات النفوذ إلى معسكر (الوهابيين)، ومن بين هؤلاء راجح قريب الشريف غالب الذي عينه أمير (الوهابيين) ممثلاً له في الحجاز بدل عثمان .

حملة فاشلة لطوسون باشا على تربه ١٨١٣م/ ١٢٢٨هـ :

وكانت هذه هي الصورة العامة للأمور حين قرر محمد علي في أواخر أكتوبر أو أوائل نوفمبر سنة ١٨١٣م إرسال حملة على " تربة " حيث كان راجح قد جعل مقر قيادته وحيث التف كثير من أنصار الشريف غالب حوله . ونجح الباشا في أن يحصل على بعض الإمدادات من الطائف ، وأمر ابنه طوسون باشا بالتقدم من الطائف إلى " تربة " ومعه قوة من ٢٠٠٠ رجل وإمدادات تكفي لثلاثين يوما . لكن هذه القوة تعطلت في طريقها بعد اشتباك مرهق في منطقة جبلية مع قبيلة عتيبه . وكادت امداداتهم أن تنفذ ولم يقتربوا من " تربة " بعد وفي " تربة "

كانت تعيش قبيلة البقوم وتتزعمها امرأة مسنة تدعى غالية كان الأتراك يعتبرونها عرافة ساحرة. وبعد محاولة واحدة فاشلة للهجوم على " تربة " صدرت الأوامر للقوات المصرية بالتراجع ، وخلال مطاردة العدو التي استمرت اربعة أيام في طريق الانسحاب إلى الطائف فقدت القوات المصرية حوالي ٧٠٠رجل ، وفي هذه المرة كالسابق أيضاً انقذت القوات المصرية من الإبادة الكاملة بشجاعة طوسون نفسه ومساعده القائد الاسكتلندي (أ) .

ولما كانت الطائف هي الموقع الوحيد الذي يمكن اتخاذه قاعدة للقيام بعمليات أخرى كان لابد بالتالي من جعلها أيضاً مركز تموين وامداد ، وكان هذا غاية في العسر فمن بين الثمانية آلاف جمل التي ارسلت من مصر لم يبق أكثر من ٥٠٠ في الحجاز بعد ثلاثة أشهرومن كل هذه البلاد الشاسعة لايمكن جمع أكثر من ٥٠٠ جمل مرة واحدة وإلى جانب ذلك فالطريق بين جدة والطائف طريق غير مأمون تتهدده دائماً غارات (الوهابيين) ومباغتاتهم ،والحرس والسائقون الذين يصحبون أية قافلة إمدادت لابد سيستهلكون أكثر من ثلثها في الطريق . وهكذا ظلت القوات المصرية متوقفة تماماً عن عملياتها خلال شتاء ١٨١٣- ١٨١٤م/ ١٢٢٨- ١٢٢٩هـ .

إعادة فتح طريق الحج ١٨١٢- ١٨١٣م/ ١٢٢٧- ١٢٢٨هـ :

ويبدو أن قافلة منظمة من الحجاج المصريين وصلت مكة في نهاية سنة ١٨١٢م ولكن في نوفمبر سنة ١٨١٣م فقط جاءت للمرة الأولى منذ سنة ١٨٠٢م قافلة الحجاج من الشام وتقدمت في أمان إلى الأماكن المقدسة يترأسها سليمان باشا ، وفي الطريق أضطر الباشا أن يرضخ لطلبات البدو الملحة في أن يمنحهم اعطياتهم عن السنوات العشر التي توقف فيها الحج ، وجاء أيضاً حجاج كثيرون

---

* (أ) سبقت الاشارة إلى أن إسم هذا الرجل الأسكتلندي توماس كيث لكنه أسلم وتسمى بالأغا إبراهيم وقد عينه محمد علي باشا فيما بعد والياً على المدينة المنورة .

من آسيا الصغرى وتركيا الاوربية إلى الحجاز عن طريق السويس فجدة ، وفرح أهل مكة بالرخاء الذي عاد إليهم بعد انقطاع .

أعمال (الوهابيين) في شرق الجزيرة

١٨٠٣ - ١٨١٤م/ ١٢١٨ - ١٢٢٩هـ

ترد تفاصيل أعمال (الوهابيين) في شرق الجزيرة على عهد الأمير سعود ضمن التواريخ المستقلة الخاصة بتلك الامارات وبشكل خاص البحرين وعمان المتصالحة وسلطنة عمان وهنا يكفي أن نشير إشارة عامة إلى أعمالهم هناك .

أعمال (الوهابيين) في الكويت :

في سنة ١٨٠٨م/ ١٢٢٣هـ رفض عتوب الكويت دفع الجزية [أ] وكان موقف أميرهم من (الوهابيين) هو التجاهل والإهمال فسارت اليهم حملة (وهابية) ضخمة لكنها رجعت عن مدينة الكويت وقد تكبدت خسارة كبيرة ورحب باشا بغداد بهذا العمل ولم يخف سروره فأرسل لشيخ الكويت خلعه تكريمية وهدايا أخرى ، وفي العام التالي أصدر أمير (الوهابيين) لتغطية هزيمته السابقة اوامره إلى العتوب ، في البحرين والقواسم في رأس الخيمة وسيد مسقط لإعداد حملة بحرية على الكويت والبصرة ، لكن القواسم فقط هم الذين أبدوا استعدادهم لإطاعة الأوامر ، وحتى هؤلاء لم يعملوا شيئاً .

نشاط (الوهابيين) في الكويت والاحساء وقطر :

وقد حاول سعود كثيراً في أوائل حكمه أن يؤكد السيطرة التي كانت (للوهابيين) في عهد أبيه على البحرين وقطر ، ولم تكن محاولاته في هذه الناحية تفشل مادامت لا تشغله مهام في مناطق أخرى . وفي سنة ١٨٠٣م/ ١٢١٨هـ حدث

* [أ] لاجزية على المسلم ولعل المراد الزكاة الشرعية .

صراع على الحكم في عمان ، فاستطاع أن يرسل اسطولا من العتوب في البحرين إلى عمان ليراقب الأحداث باسم (الوهابيين) ، وفي سنة ١٨٠٩م/١٢٢٤هـ اكتسب الأمير إلى صفه (القرصان) المشهور رحمة بن جابر وبمعونته استطاع أن يؤكد سيطرته على قطر واستطاع في سنة ١٨١٠م أن يعين لها حاكماً (وهابياً) يحكم قطر والبحرين والأحساء ويكون مقره البحرين . وفي سنة ١٨١١م ، وبسبب الأخطار التي كانت تهدد (الوهابيين) من ناحية مصر والحجاز اضطر الأمير لأن يرخي قبضته عن تلك الأقاليم التي سيطر عليها مؤخراً في الشرق ، وقد قام حاكم مسقط بهجوم فاشل على الزبارة في قطر ، وانسحبت الحاميات (الوهابية) أو طردت من هذا المكان ومن البحرين ، كما انسحبت أيضاً من القطيف والهفوف في الأحساء . وفي سنة ١٨١٤م/ ١٢٢٩هـ كان نفوذ (الوهابيين) على شئون البحرين قد تقلص تماماً لكنه ظل قوياً في الأحساء حيث كانت تؤيدهم عناصر محلية ذات قوة .

نشاط (الوهابيين) في عمان المتصالحة :

ولم يكن إنشاء قاعدة (للوهابيين) في واحة البريمي منذ سنة ١٨٠٠م/ ١٢١٥هـ بلا تأثير في تلك المنطقة التي تعرف اليوم بامارات عمان المتصالحة[أ]. وفي سنة ١٨٠٤-١٨٠٥م تعاظم نشاط القواسم في القرصنة [ب] ، سواء كان هذا النشاط بتحريض مباشر من (الوهابيين) أو نتيجة غير مباشرة لتدخلهم في أمور السياسة المحلية ، فتلك قضية لم يقطع في حقيقتها . وفي نهاية سنة ١٨٠٨م عزل (الوهابيين) سلطان بن صقر عن مشيخة القبيلة وفي سنة ١٨٠٩م عينوا حسين بن علي شيخ الرمس الذي كان قد زار الدرعية مؤخراً حاكماً باسمهم على كل ساحل

* (أ) حالياً دولة الإمارات العربية المتحدة .

* (ب) القرصنة مصطلح أطلقة الأنجليز على كل القوى المحلية العربية بالخليج التي رفضت الهيمنة لشركة الهند البريطانية على مواني الخليج وفي مقدمتهم القواسم .

(القراصنة) [أ] . وفي سنة ١٨٠٨- ١٨٠٩م تجددت حوادث (القرصنة) تجدداً وبدت على مظاهرها أعراض التعصب ولكن ظل الدليل ناقصاً على تحريض (الوهابيين). وقد قيل على أي حال إن حسين بن علي تعهد بأن يحمل إلى الأمير في الدرعية خمس الغنائم الني يحصل عليها رجاله من " الكفرة " في البحر . وفي سنة ١٨٠٩م عزز (الوهابيين) قبضتهم على ساحل عمان الجبلي بأن أحتلت حاميتهم قلاع الفجيرة والباطنة وخور فكان في الشميلية ، واستطاعوا في نفس السنة أن يلقوا القبض على الشيخ سلطان بن صقر ونقلوه إلى الدرعية حيث ألقي في السجن لكن الشيخ استطاع الهرب من سجنه قبل مضي وقت طويل . وسار عبر اليمن إلى ميناء مخا ومنها عاد عن طريق البحر إلى مسقط . وفي نهاية السنة حين هاجمت الحملة البحرية البريطانية ميناء (القراصنة) في رأس الخيمة قيل إن مطلق قائد (الوهابيين) في البريمي قد تحرك لنجدة القواسم لكنه وصل متأخراً [ب] . وفي سنة ١٨١٢م تجددت (القرصنة) مرة أخرى على الساحل الخاضع للقواسم ولكن لم يتضح أن لها علاقة (بالوهابيين) .

نشاط (الوهابيين) في سلطنة عمان :

وقد سبق أن أشرنا إلى تدخل (الوهابيين) في الصراع على الحكم في مسقط سنة ١٨٠٥م/ ١٢٢٠هـ ، وكانت نتيجة هذا الصراع في صالح صنيعة (الوهابيين) السيد بدر الذي وصل إلى قمة السلطنة وحكم مسقط من ١٨٠٥م إلى ١٨٠٧م ، ولكنه اغتيل في هذه السنة الأخيرة على يد ابن عمه السيد سعيد . وتلقى نفوذ(الوهابيين) بهذا العمل ضربة قاضية وهربت حامية من جنودهم كانت مقيمة في بركة . وقد أوضح الحاكم الجديد السيد سعيد عن موقفه الودي من ابن سعود

---

* [أ] الصحيح أن المعين كان إبن عم الشيخ سلطان بن صقر ويدعى حسن بن رحمه وأما حسين بن علي فمساعد له

* [ب] مطلق المطيري عينه الإمام سعود بن عبد العزيز قائداً للحاميات السعودية في عمان وقد كان لوجوده على رأس تلك الحاميات آثره الواضح في دعم القواسم ضد إعتدأت الأنجليز حتى توفى ١٢٢٦هـ/ ١٨١٣م في عمان .

الذي ظل يمثله في مسقط وكيل سياسي وبعض معلمي الدين ، لكن (الوهابيين) كانوا يعرفون تماماً كراهية السيد سعيد الخفية لهم ولنفوذهم وفي سنة ١٨٠٩م ، وبعد أن راوغ السيد سعيد في تنفيذ أمر صدر إليه من أمير (الوهابيين) بالتحرك ضد إمارة الكويت أرسل القائد العام (الوهابي) مطلق المطيري إلى واحة البريمي كي يعد حملة على عمان . وهنا بالضبط حدثت العمليات البحرية البريطانية على قواسم رأس الخيمة ، أساساً لإقاع العقاب (بالقراصنة) وايضاً لإبعاد خطر (الوهابيين) عن السيد سعيد ، وانتهت الحملة في أوائل سنة ١٨١٠م ونتج عنها أن أستعاد السيد مدينة شناص من قبضة (الوهابيين) الذين كانوا يسيطرون عليها ، لكن تأثير هذه الحملة كان مؤقتاً ولم يكن في صالح السيد سعيد على المستوى البعيد للأحداث . ففي سنة ١٨١١م/ ١٢٢٦هـ تحرك مطلق حيث لاشيئ الأن يعوقه لينفذ مهمته في إخضاع عمان ، وبعد حصار لم ينجح لبركة ومطرح احتل مطلق حصن السمايل في قلب عمان ، وانسحب إلى البريمي بعد أن جعل فيه حامية (وهابية) قوية . وفي سنة ١٨١٢م استطاع رعايا السيد سعيد بمعونة فرقة إيرانية أن يستعيدوا حصن السمايل لكن هذا النصر أعقبه اشتباك حاسم بالقرب من أزكى هزم فيه العمانيون وحلفاؤهم هزيمة ساحقة . وفي نفس السنة أو ربما في سنة ١٨١٣م أنتقم (الوهابيين) إنتقاماً مروعاً من السيد سعيد ، فقامت قواتهم وعلى رأسها تركي وفيصل ولدا أمير (الوهابيين) باجتياح أقاليم مسقط وشرقي حجر واقاموا عسكرهم وقتاً ما في جعلان وجعلوها قاعدة أنطلاق غاراتهم المدمرة [أ] ، كذلك نجحوا في أن يحولوا أهل قبيلتي بني يو علي وبني راسب القبيلتين القويتين في تلك المنطقة إلى المذهب (الوهابي) . وبعدها انسحبوا دون خسائر إلى قاعدتهم الرئيسية في البريمي .

* [أ] أبناء الإمام سعود الذين خرجوا إلى عمان هم تركي وناصر وسعد وكان ذلك في أول شهر ذي الحجة لعام ١٢٢٥هـ على غير علم من والدهم لكن الإمام أصر على عودتهم عندما علم وأوقف نشاطهم وتشفع فيهم أعيان الدرعيه وقائده في عمان مطلق المطيري فعادوا وتوفى ناصر بعد عودته بالمرض ولم يعده أبوه أنظر إبن البشر – عنوان المجلد ص: ٢٠٤ .

وفي أواخر سنة ١٨١٣م وبعد أن قام السيد سعيد بمراسلة طوسون باشا وتعهد له بأن يعيد شيخ القواسم المعزول ، قام مطلق بغزو الباطنة في قوات كاسحة، وأرغم سيد مسقط على أن يدفع له مبلغ ٤٠ ألف دولار وعاد بعدها إلى نجد. لكن ابن غردقه الذي جعله خليفة له هناك قتل فاضطر مطلق للرجوع ، لكنه رجع كي يلقي مصرعة على أيدي بني هاجر [أ] . وخلفه رجل اسمه ابن مزروع في البريمي .

الأتصال الأول للسياسة البريطانية (بالوهابيين)

أدت الأحداث التي سبق أن وصفناها في كل من عمان المتصالحة وسلطنة عمان إلى أول اتصال بين (الوهابيين) والدولة البريطانية . لكن هذا الأتصال لم يكن ودياً على الأطلاق (فالوهابيون) كانوا متهمين من جانب بريطانيا بتحريض القواسم على ممارسة (القرصنة) فضلاً عن تهديدهم استقلال سيد مسقط الذي كانت الحكومة البريطانية حريصة على المحافظة عليه [ب] .

تسوية بين بريطانيا والقواسم سنة ١٨٠٠م/ ١٢١٥هـ :

وفي نفس الوقت أتخذت السلطات البريطانية جانب الحيطة لكي لاتبدو على علاقة عداء بابن سعود ، وفي سنة ١٨٠٥م/ ١٢٢٠هـ حين أقدمت بريطانيا على العمل لأول مرة متعاونة مع السيد بدر ضد (قراصنة) القواسم أصدرت حكومة بومباي تعليمات صريحة لوكيلها بأن يتجنب ما أمكنه إغضاب أمير(الوهابيين) ، وفي المعاهدة التي عقدت مع القواسم في سنة ١٨٠٦م تجاهلت السلطات البريطانية تماماً أية علاقة لهذه القبيلة (بالوهابيين) .

[أ] الصحيح أن الذي قتل ابن غردقه هم بني ياس في موقعه ذئب وليسو بني هاجر أنظر عبدالله المطوع – عقود الجمان، ص: ٥١

*[ب] سبقت الإشارة إلى أن القرصنة مصطلح أطلقه الأنجليز على كل من قاوم وجودهم في الخليج مثل القواسم .

بداية أتصال أميرالوهابيين بالحكومة البريطانية .

١٨١٠- ١٨١٢م/ ١٢٢٥-١٢٢٨هـ:

وفي سنة ١٨٠٩م حين قامت الحملة البريطانية على رأس الخيمة ألتزمت نفس السياسة ، وصدرت التعليمات الصريحة للمقيم بأن يتجنب أي صدام مع ممثل ابن سعود ، ولكن يبدو أن الفوضى التي كانت ضاربة أطنابها في شناص أدت إلى عدم الالتزام بهذه التعليمات فأراق السلاح البريطاني بعض دماء (الوهابيين) في سبيل الاستيلاء على هذه القاعدة الحصينة [١] . وقد أفلت (قرصان) قطر المشهور رحمة بن جابر من العقاب على أيدي هذه الحملة لأسباب منها علاقته (بالوهابيين).

وفي نهاية الحملة وجهت السلطات البريطانية فيما يبدو خطاباً إلى ابن سعود تطلب منه أن يمنع أفراد القبائل الخاضعة له من ارتكاب عمليات (القرصنة) وتلقت هذه السلطات رداً منه جاء فيه أنه رغم أنه لايرهب هذه العمليات البريطانية في البحر إلا أنه لاعداء بينه وبين المسيحيين ، وسيعمل على منع الأعتداء على السفن البريطانية .

بداية اتصال أمير(الوهابيين) بالحكومة البريطانية .

١٨١٠- ١٨١٢/ ١٢٢٥- ١٢٢٧هـ:

ولكن زيادة المشاكل التي كان يواجهها (الوهابيون) في غربي الجزيرة أدت فيما يبدو إلى تبادل الأتصالات والمراسلات الودية بينهم وبين الحكومة البريطانية . ففي سنة ١٨١١م أو ١٨١٢م وفي حركة مضادة لرحلة السيد سالم من مسقط إلى شيراز التماساً لعون إيران أرسل أمير (الوهابيين) مبعوثاً عنه يدعي إبراهيم بن عبد الكريم إلى حاكم فارس الذي أحسن استقباله ، وبعد أن أنهى مهمته في شيراز التقى بالمقيم البريطاني الملازم بروس - في بوشهر حيث نقل اليه رغبة سيده ابن سعود في قيام علاقات ودية بينه وبين الحكومة البريطانية بحيث لايتعرض أي من

---

(١) بيركارت .. (الجزء ٢، ص: ٢٠٨) ، ويذكر هذا المرجع أن أحد أبناء عمومة سعود كان بين هؤلاء القتلى .

الطرفين لتجارة الطرف الآخر . ورفعت هذه الرغبة بطبيعة الحال إلى حكومة الهند التي قررت في سنة ١٨١٤م على الأرجح أنه من غير الضروري توقيع معاهدة أو أتفاقية مع أمير (الوهابيين) أو الدخول معه في علاقة وثيقة بل يكفي إقامة علاقة ودية معه ، وحمله بقدر الإمكان على أن يسلك الطريق المطلوب .

هجمات (الوهابيين) على العراق التركي

١٨٠٣- ١٨١٤م / ١٢١٨- ١٢٢٩هـ

وفي عهد سعود استمرت غارات (الوهابيين) على أطراف العراق التركي . لكن أهل هذا الإقليم كانوا دائماً على أهبة الأستعداد ، لذلك لم يستطع المغيرون ان يحققوا نجاحاً كبيراً . لكن (الوهابيين) ظلوا يشنون مع ذلك غارات سنوية بل واحياناً كانوا يعبرون الفرات إلى ما بين النهرين .

مظاهرات (وهابية) سلمية ١٨٠٣م/ ١٢١٨هـ :

وفي نهاية سنة ١٨٠٣م وفي محاولات واضحة للثأر لاغتيال الأمير السابق عبد العزيز الذي كانت الشكوك تحوم حول باشا بغداد بأنه حرض عليه قامت قوة من (الوهابيين) بالإغارة على تخوم النجف ونهبها ، ولكن حين تقدم الباشا لملاقاتهم وقد جعل بين مستشاريه شيخاً يدعى فارس من جنوبي نجد ، تراجعت قوة (الوهابيين) إلى اراضيها.

هجمات (وهابية) فاشلة على الزبير والبصرة ١٨٠٤م/ ١٢١٩هـ :

وفي سنة ١٨٠٤م اجتاحت القوات (الوهابية) أكتاف مدينتي الزبير والبصرة لكنهم لم يحدثوا أي تأثير في أي من المدينتين رغم أنهم استطاعوا أسر أحد شيوخ المنتفق وهو شقيق حاكم الزبير . لكن البرج الذي يمد مدينة الزبير بالماء انفجر عرضاً فأدى إلى قتل الحامية الموجودة به بعد بسالتها في مقاومة (الوهابيين) وصدهم عدة أيام .

حملة تركية على (الوهابيين) من الحلة ١٨٠٤- ١٨٠٥م/ ١٢١٩- ١٢٢٠هـ :

وفي نوفمبر سنة ١٨٠٤م قرر علي باشا والي بغداد أن يحاول الاشتباك (بالوهابيين) فتقدم إلى مدينة الحلة في قوات كبيرة ، وكان يصحبه عبدالله باشا الذي قام بقيادة آخر فوج من حجاج الشام إلىالمدينة في سنة ١٨٠٣م كما صحبه أيضاً مستشاره العربي الشيخ فارس . وظلت القوات تنتظر في الحلة حتى أوائل سنة ١٨٠٥ حين انفصلت عنها فرقة مختارة مكونة من ٤٠٠ رجل خرجوا إلى الصحراء يحاولون الاشتباك بالعدو ، ويبدو أن عملياتهم بدأت وانتهت بزيارتهم لعين سيد في السماوه وكان أهلها قد أعلنوا انضمامهم (للوهابيين) ، لكنهم سرعان ما تراجعوا واعترفوا بولائهم للأتراك . وبعد رحيل هذه الفرقة بعدة أيام وصل سعود إلى حيث كانت ، واوقع العقاب بأهل المكان الذي تخلى عن (الوهابية) ، ولكن يبدو أن هؤلاء لم يكونوا مستعدين لممارسة هذا الانتقال من جانب لجانب مرة أخرى فهاجر بعضهم متقدماً نحو بغداد ليتحاشى التعرض (للوهابيين) .

هجوم (وهابي) فاشل على النجف والسماوة والزبير ١٨٠٦م/ ١٢٢١هـ :

وفي إبريل سنة ١٨٠٦م وبعد غارة على قبائل البدو الظفير وعنزه هاجم عبدالله بن سعود انتقاماً من عمل باشا بغداد في العام السابق مدينتي النجف والسماوة لكنه لم ينجح في هجومه هذا . وفي الشهر التالي قرر الاغارة على مدينة الزبير . وفي النجف نجح (الوهابيون) ولم يكن أحد يشك في وجودهم بالقرب من المكان في تسلق أسوار المدينة ليلا لكن أهلها سارعوا إلى السلاح وصدوهم عن المدينة بعد أن كبدوهم خسائر فادحة ، أما السماوة فقد كانت مستعدة للقائهم . وقام عبدالله بن سعود بعدة محاولات متردده للهجوم عليها وأخيراً اضطر إلى الانسحاب بعد أن تكبد خسائر أكبر من خسارته في النجف . وبعد ذلك ظهرت قواته أمام الزبير والبصرة . ورغم أن أهل الريف المجاور هرعوا إلى ما وراء أسوار المدينة نفسها فقد استطاع (الوهابيون) إحداث شيئ من الفزع في البصرة . لكن قوات (الوهابيين) فقدت الكثير من رجالها وخرجت مثخنة بالجراح . وإلى جانب

ذلك استطاع رجال قبائل المنتفق وكعب أن يطردوا جماعاتهم التي انتشرت في القرى المجاورة وكبدوهم مزيداً من الخسائر .

وفي سنة ١٨٠٧م/ ١٢٢٢هـ بات من المتوقع حدوث هجوم (وهابي) جديد ، ومضى باشا بغداد بقواته إلى الحلة ليكون قادراً على الحركة السريعة إلى كربلاء أو النجف إذا ما حدث هجوم على أي منهما . وفي يونيو سنة ١٨٠٧ بدأ المقيم البريطاني في البصرة – عقب حصوله على موافقه باشا بغداد بعد تردد طويل – تشييد مقيمية محصنة في جارديلان على الجانب الشرقي من شط العرب في مواجهة البصرة [١] .

صد (الوهابيين) من شيفاثة وهندية ١٨٠٨/ ١٢٢٣هـ :

وفي سنة ١٨٠٨م ظهرت قوات (الوهابيين) في إقليم كربلاء ، وقيل إن جيشاً كبيراً منهم يتحرك نحو بغداد نفسها التي سادها الفزع فترة طويلة ، فأغلقت الأسواق ، بل وأصدر الأتراك اوامرهم للتجار بتسليح أنفسهم وعززوا حاميات المدينة . لكن الضيف المنتظر لم يصل وقيل بعد ذلك ان اضطرابات داخلية في نجد هي التي أعاقت تقدمهم ، لكنهم أقاموا لأنفسهم قاعدة على أية حال في كربلاء . في واحة شيفاثة غربي المدينة ، وحاصروا كربلاء وهندية وظهروا أيضاً في عين سيذ بالقرب من السماوه لكن سليمان باشا أسرع لملاقاتهم بقوات كبيرة من بغداد واستطاع أن يجبرهم على التراجع من كل هذه المواقع . ثم أعدم زعيم شفاثه لرفضه أن يتخلى عن المذهب (الوهابي) . وعاد منتصراً إلى بغداد فوصلها في ١٥ أغسطس .

غارة (وهابية) أخرى ١٨١٠م/ ١٢٢٥هـ :

وحوالي سنة ١٨١٠م قام عبدالله بن سعود بحملة جديدة للسلب والنهب ووصل بقواته حتى مسافة قصيرة من بغداد .

---

(١) يبدو أن هذا يعتمد على ما ذكره كوزانسيز (ص: ١١١) ، فهو يحدد تاريخاً دقيقاً لهذا العمل .

النفوذ (الوهابي) بالقرب من كربلاء ١٨١٢م/ ١٢٢٧هـ :

وفي سنة ١٨١٢م كان نفوذ (الوهابيين) على حدود العراق ما يزال قوياً بما مكن جامعي الضرائب باسم سعود من جمع الزكاة من البدو حول هندية بالقرب من كربلاء .

نشـاط (الوهابيين) في اتجاه الشام

١٨٠٣ - ١٨١٤م/ ١٢١٨-١٢٢٩هـ

بدء غارات (الوهابيين) على الشام ١٨٠٦م/ ١٢٢١هـ:

استمرت غارات (الوهابيين) خلال هذه الفترة أيضاً على حدود الشام ، ويبدو انها بدأت بجولة قام بها حراك[١] وهو عبد أسود من عبيد الأمير سعود بين سنتي ١٨٠٦ و ١٨٠٨ [أ].

غارة (وهابية) على حوران ١٨١٠م/ ١٢٢٥هـ وتعزيز نفوذ (الوهابيين). ١٨١٢م/ ١٢٢٧هـ:

وفي سنة ١٨١٠م أشاع (الوهابيون) الفزع في قلب الشام حين قامت قواتهم بغارة مفاجئة على إقليم حوران ، واستطاعت في ثلاثة أيام أن تنهب وتدمر ٣٥ قرية في هذا الأقليم، ولو اهتم (الوهابيون) بالهجوم على العاصمة دمشق لسقطت بين أيديهم في غير عناء . وفي سنة ١٨١٠م كانت قبيلة عنزه في الشمال ما تزال ترفض دفع الجزية لسعود ، وكان راغباً عن الدخول في صراع مع شيوخها ولكن يبدو أن نفوذه قد تدعم هناك في سنة ١٨١٢م لأنه تلقى في هذه السنة الزكاة عن مكان كثير المياه لايبعد عن حلب نفسها أكثر من ١٢ ساعة .

---

[١] يبدو أن "حراك" هو نفسه حارق الذي أقام قاعدة (للوهابيين) في البوريمي بعمان سنة ١٨٠٠ .

* [أ] إذا جاز لنا أن نوافق المؤلف على توقعه فإن القائد السعودي الذي أتخذ البريمي قاعدة لـه سنة ١٨٠٠ هو بلال الحرق وهو من موالي الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود .

عبدالله بن سعود ١٨١٤ - ١٨١٨م/ ١٢٢٩ - ١٢٣٣هـ

ولاية عبدالله :

وخلف سعود ابنه عبدالله وهو أكبر أبنائه من أولى زوجاته . وتذكر إحدى الروايات أن سعوداً قد جعل عبدالله ولي عهده منذ سنة ١٨٠٥م/ ١٢٢٠هـ وكانت آخر كلمات سعود نصيحة لابنه عبدالله بألا يشتبك مع القوات المصرية في معركة بسهل مكشوف ، وقد التزم (الوهابيين) بهذه النصيحة التزاماً كاملا . وكان ينازع عبدالله في الإمارة عم له يدعى عبدالله أيضاً ، ورغم أن هذا الرجل كان له أنصار كثيرون بين علماء الدرعية إلا أنه لم يستطع الصمود في معارضته طويلاً

خلق عبدالله وإمكانياته[1] :

وكان عبدالله في طفولته جريئاً مقداماً ، استطاع أن يروض فرسه وهو في الخامسه من عمره ، وأصبح فيما بعد محبوباً من البدو لصراحته وبساطة مسلكه وقد تزوج بفتاة من عائلة بإقليم الاحساء ، وقبل أن يتولى الإمارة كان الجميع يرون فيه تجسيداً لكل الفضائل ، لكن أعماله كحاكم فيما بعد رغم أنها أكدت تلك السمعة القديمة من حيث جرأته ومهارته في فنون الحرب لكنها كشفت عن نقص خطير فيه كسياسي ورجل دولة . وربما كانت أهم أسباب فشله عجزه من التوفيق بين القبائل المختلفة الخاضعة له ، وهكذا كان على (الوهابيين) في الجنوب بعد موت سعود أن يحاربوا القوات المصرية وحدهم بلا عون تقريباً من (الوهابيين) في الشمال [أ] .

---

(١) ثمة صورة لعبدالله بن سعود نشرها بريدجس في كتاب " تاريخ مختصر للوهابيين ..." .

*(أ) المراد بوهابيي الجنوب هنا قبائل الجنوب ومنطقه عسير حيث أدرك محمد علي باشا وقادته أنه لا يمكن الوصول إلى عاصمه الدوله (الدرعيه) قبل تدمير ذراعها الضارب (رجالها المخلصين) بتلك الأقاليم .

أعمال المصريين في الحجاز واليمن

١٨١٤ – ١٨١٥م/ ١٢٢٩ – ١٢٣٠هـ

الحملة على القنفدة مارس – ١٨١٤م/١٢٢٩هـ :

ظلت القوات المصرية لمدة تزيد على سنة بعد وصول محمد علي نفسه إلى الحجاز لا تقوم بنشاط يذكر بسبب قلة عددها وندرة وسائل النقل والإمدادات . واتخذت أول خطوة لفتح اليمن بارسال حملة على قنفدة استولت عليها في مارس سنة ١٨١٤م قبل موت الأمير سعود ، لكن القوات المصرية اضطرت للتراجع عنها في مايو من نفس السنة وقد خسرت كل مدفعيتها و ٤٠٠ حصان وعدداً كبيراً من الجمال . وفي نفس الوقت في ربيع ستة ١٨١٤م عزز محمد علي قواعده في الطائف ، واثناء الصيف أرسل حسان باشا القائد المشهور الذي كان وصل في شهر يونيو وبصحبته ١٥٠٠ من أفضل جنود المشاة في مصر ليحتل موقعاً يبعد ٣٠ ميلاً شرقي الطائف في الطريق إلى تربة .

حالة القوات المصرية :

وكانت قوات الأحتلال التي تتجاوز خمسة آلاف رجل تكفي لحماية الاماكن المقدسة من أي هجوم عليها لكنها لا تكفي للقضاء على (الوهابيين) كما أنها لم تكن في حالة مرضية في ذلك الوقت لذلك بدأت تتململ من طول إقامتها في ظروف مناخية قاسية وغير صحية ، وكانت معنويات الجنود في هبوط للانتصارات التي يحققها العدو ، ولرفض القيادة دائماً منحهم اجازات ، ويقول الرحالة بيركهارت الذي رأى الجنود في ذلك الوقت إنهم كانوا " جنداً ساخطين ، تتفشى بينهم المخاوف " .

علاقاتها بالبدو :

وكان لابد لمحمد علي وهو يعرف يقيناً أن فشله في الحجاز سيؤدي إلى ابعاده عن باشوية مصر ويدمر مصيره كله من أن يتبع سياسة جديدة في التفاهم مع أهل البلاد وقبائل البدو على السواء ، لكنه ظل هو وضباطه جاهلين إلى حد كبير العلاقات المتشابكه والمتبادلة بين القبائل التي كانوا يتعاملون معها . وفي أغسطس ١٨١٣م بدأت بعض قبائل البدو المجاورة تميل إلى باشا مصر نتيجة لمسلكه المتساهل معهم . وفي الشهر التالي وصل اليه الشريف راجح بنفسه، فجعله محمد علي قائداً لفرقة البدو التي كونها في جيشه.

النقل والتموين :

لكن صعوبات التموين ظلت كما هي . فحتى ذلك الوقت بلغ عدد الجمال التي نفقت من قوات الجيش في الحجاز أكثر من ٣٠ ألفاً ، حتى في مصر نفسها ندرت الجمال وما تبقى منها كان ضرورياً لنقل الإمدادات إلى الساحل عن طريق قنا – القصير أو القاهرة – السويس . ورفضت قبيلة حرب التي كانت تقدم الجمال للقوات المصرية أن تتقدم جمالها أبعد من الطائف . وحتى في الطائف لم يكن لدى القوات الموجودة فيها أبداً أكثر من تموين عشرة أيام . كذلك كان الحال في كلاخ وفي المواقع المتقدمة التي أنشئت باتجاه زهران .

هزيمة القوات المصرية في زهران ١٨١٤م/ ١٢٢٩هـ :

وظلت نتائج الأشتباكات أيضاً في غير صالح المصريين . ففي سبتمبر باغت (الوهابيين) بقيادة " بخروش " [أ] زعيم (الوهابيين) في الجنوب مفرزة من خيرة قوات المصريين يقودها واحد من أشهر قوادهم وأوقعت بها هزيمة شديدة في

---

* [أ] بخروش بن علاس الزهراني صاحب حصن العديه بقرية الحسن من قريش بزهران أحد مشايخ زهران بمنطقة الباحة وأحد قادة جيش الدولة السعودية الأولى الذين وقفوا بشجاعة وإقتدار ضد جيش محمد علي باشا . أسر بعد موقعة بسل ١٢٣٠هـ وقتل في القنفذه وهو في طريقة إلى أستانبول ... أنظر على السلوك الزهرني ، الموروثات الشعبية لغامد وزهران ج٢ ، ص: ١٥٩ .

زهران أفقتدها حوالي ٨٠ فارساً و ٨٠٠ من المشاة . لكنهم رجعوا إلى الطائف يحملون رؤوس ٦٠(وهابياً) وفي نفس الوقت ظلت الغارات متبادلة بين قبائل البدو الموالية (للوهابيين) والقبائل الموالية للمصريين ... وكان النصر غالباً في صف القبائل الأولى .

تعزيزات للقوات المصرية وتحسينات في وسائل النقل :

وبعد هذه الهزيمة بقليل بدأت الأمورتتحسن لصالح المصريين فقد وصل إلى الحجاز ٨٠٠ فارس بدوي جاءوا من صحراء ليبيا ، فوضع نصفهم في الطائف ونصفهم في المدينة وبدأوا على التو يشنون الغارات على (الوهابيين) بطريقتهم البدوية . وفي نوفمبر جاءت قوافل الحجاج ، وجاء مع قافلة الشام أربعة ألاف جمل للقوات المصرية جعل الف جمل منها في المدينة . كذلك وصل من مصر مع المحمل الذي لم يصحبه سوى الجنود والرسميون فقط ٢٥٠٠ جمل وإمدادات جديدة قوامها ١٠٠٠ فارس من الأتراك واستخدمت القوات المصرية أيضاً ١٢ الف جملاً كانت مع قافلة الشام لنقل الإمدادات من جدة إلى مكة .

هزيمة (الوهابيين) الكبرى في بسل ١٣ يناير ١٨١٥م/ ١٢٣٠هـ :

وأخيراً ، بدأت الحركة إلى الأمام ففي ١٥ ديسمبر ١٨١٤م تحركت معظم قوات المشاة التي كانت في مكة إلى كلاخ، وفي يوم السبت ٧ يناير لحقت بها بقية القوات وفيها محمد علي وأكثر من ١٢٠٠ فارس بعد أن تأخرت يوماً واحداً لاشتباكها مع قوة (وهابية) بالقرب من قنفدة . ولم يتقدم محمد علي أبعد من ذلك حين جاءت أخبار بأن جيش (الوهابيين) قد أحتل بسل وهي مكان بين الطائف وكلاخ . وفي يوم الثلاثاء ١٢ يناير تقدم محمد علي بمعاونة قوات كبيرة من البدو بقيادة الشريف راجح وبعض عتيبه لملاقاة جيش (الوهابيين) وكانت نتيجة القتال في اليوم الأول غير حاسمة ، وفي اليوم الثاني نجح المصريون في القيام بحركة تراجع خادعة جعلت (الوهابيين) يتخلون عن أماكنهم فوق التلال المحيطة وينزلون وراءهم للسهل المكشوف . وأوقع المصريون بهم هزيمة لم تترك في نفوسهم شيئاً

يطلبونه بعد ذلك . وكان معظم القوات المدحورة التي ذكر أن ٥٠٠٠ رجل منها قد قتلوا في هذه المعركة خاصة في الأودية الضيقة حيث حوصروا أثناء فرارهم.من (الوهابيين) الجنوبيين في اليمن ولكنها كانت تضم أيضاً فرقة من الشماليين يقودها فيصل شقيق أمير (الوهابيين) . وحمل من تبقى منها على قيد الحياة أخبار الهزيمة إلى نجد [أ] .

حملة ناجحة للقوات المصرية في الجنوب :

وكانت معركة بسل هي نقطة التحول في الصراع الدائر بين القوات المصرية (والوهابيين) وقد أنتقل ميدان العمليات الحربية بعدها إلى الشمال . لكن هزيمة الجنوب عززها تقدم القوات المصرية المنتصرة واستيلاؤها على تربة ثم مواصلتها السير واستيلاؤها على رنية وبيشة ومن هذه رجعت إلى الساحل بالقرب من قنفده . لكن هذه الحملة في الجنوب رغم نجاحها تماماً من الوجهة العسكرية إلا أنها كبدت القوات المصرية خسارة كبيرة في الرجال والأموال . فمن ٤٠٠٠ جندي خرجوا في بداية الحملة رجع ١٥٠٠ هدهم الإجهاد ، ومن ١٠ ألاف جمل استولت القوات المصرية على نصفها تقريباً من (الوهابيين) ، لم يبق أكثر من ٣٠٠ جمل على قيد الحياة للوصول إلى مكة . ووجه محمد علي خطاباً إلى ابن سعود يطلب منه الاستسلام .

---

* [أ] أشار بن بشر إلى هذه الهزيمة وأنها كبيره لكن عدد القتلى قدرة بنحو المائة وهذا العدد قليل جداً إذا ما قورن بالمصادر الأخرى أنظر إبن بشر – عنوان المجد، ص: ٢٤٥ .

غزو القوات المصرية الأولى للقصيم والمعاهدة

التالية ١٨١٥ م/ ١٢٣٠هـ

ارسال طوسون باشا إلى المدينة ١٨١٤م/ ١٢٢٩هـ :

نعود الآن إلى الشمال حيث سيقرر مصير الدولة (الوهابية) في النهاية . في يونيو ١٨١٤ م أغلق أفراد قبيلة حرب الذين قتل الحاكم المصري في المدينة أحد شيوخهم الطريق بين المدينة والساحل ، فأرسل محمد علي ابنه طوسون باشا إلى هناك ليسوي الأمور . ونجح طوسون في هذا بعد شيئ من الصعوبة وبعد أن استرضى العرب وصل إلى المدينة في ٥٠٠ فارس و ٣٠٠ جندي مشاة ثم أرسل فرسانه مباشرة إلى الحناكية لمراقبة حركة (الوهابيين) في نجد والإغارة على أراضيهم . وفي خريف سنة ١٨١٤م/ ١٢٢٩هـ وخاصة في موسم الحج تلقى طوسون باشا إمدادات كثيرة كما ذكرنا . وفي بداية ربيع سنة ١٨١٤م وبعد أن بدأت أنباء الهزيمة في بسل تؤتي آثارها في نجد وكان طوسون باشا مستعداً للاستفادة من الفرصة المتاحة في اقتراح لبعض زعماء وسط الجزيرة خاصة شيخ القصيم. وفي يناير ١٨١٥ م كان أمير (الوهابيين) في القصيم مستعداً لمواجهة تحركات طوسون لكنه حين عرف باخبار الهزيمة في بسل تراجع بسرعة إلى الدرعية خشية أن تتقدم القوات المنتصرة نحو عاصمته في الجنوب .

تقدم طوسون باشا إلى القصيم مارس - مايو ١٨١٥م / ١٢٣٠هـ :

وقرب نهاية مارس سنة ١٨١٥ م تقدم طوسون باشا إلى القصيم التي كان قد ارسل إليها حوالي ٤٠٠ فارس من قبل ، واصطحب معه ٢٠٠ أو ٣٠٠ فارس آخر و ٤٠٠ جندي من المشاة وحوالي ٤٠٠ بعير للنقل وكذلك بضع مئات من بدو قبائل حرب ومطير، وتوقف شهراً في طريقة عند الحناكية ، وهناك جاءته الأوامر من محمد علي بالرجوع إلى المدينة لكن طوسون بسبب إعتقاده وقتذاك أنه ليس أقل في المكانة من أبيه رفض أن يطيع الأمر . ويجب أن نلاحظ أن محمد علي

نفسه كان في المدينة إذ جاء إليها على غير توقع في ١٤ إبريل لأن وقته كان مشغولاً تماماً بالمشاكل المحلية . وفي أوائل مايو وصل طوسون باشا إلى القصيم ، وفي الرس لحق به حلفاؤه السياسيون من رجال القصيم ومنهم الفرسان الذين طلبوا منه التقدم. لكن حجيلان أقوى رجل في القصيم كان مخلصاً في ارتباطه بقضية (الوهابيين) فلم يشترك في هذا الأمر ، بل على العكس جمع أنصاره حوله واستعد للحرب في بريدة.

تحرج موقف القوات المصرية في القصيم مايو - يونيو ١٨١٥م/ ١٢٣٠هـ :

وحين وصل الأمير عبدالله إلى شنانه في قوات كبيرة من البدو وغيرهم أصبح طوسون باشا في موقف حرج .(فالوهابيون) يستطيعون منع وصول الإمدادات اليه إلا من عدة قرى قريبة ، وفي نفس الوقت أباد (الوهابيون) قوة من ٢٥٠ فارساً كانت متقدمة في المدينة لنجدة طوسون . وكانت هذه الجماعة سيئة الحظ يقودها إبراهيم أغا أو توماس كيث الذي كان طوسون باشا قد جعله حاكماً للمدينة والذي أثبت شجاعته حتى اللحظة الأخيرة حين قتل أربعة رجال من الأعداء بيديه قبل أن يسقط قتيلاً . وفي نفس الوقت أسرع محمد علي باشا الذي بدأ غير مهتم بنتائج عمليات ابنه في القصيم ، بل حتى داخلته الغيرة من أعماله – أسرع من ينبع عائداً إلى مصر ، وذكر في تبرير هذا الرحيل المباغت أن صحته ساءت كثيراً لطول إقامته في جزيرة العرب وأنه كان يخشى هجوم الأسطول التركي على ميناء الأسكندرية .

المعاهدة ، وعودة طوسون باشا إلى المدينة يونيو ١٨١٥م/ ١٢٣٠هـ :

ويبدو أن ضعف القوات المصرية لم يكن واضحاً تمام الوضوح (للوهابيين)، وكان أميرهم لهذا يعتقد أن موارد مصر الكثيرة لابد ستنتصر في النهاية على مصادرة المحدوده وظن أن من المناسب أنْ يتراجع عن الاستمرار في هذا الصراع ... ومهما كان السبب فقد استجاب الامير عبدالله لعقد تسوية اقترحها طوسون . وتم التوصل إلى اتفاقية تخلى فيها الأمير عن مطالبته بالأماكن المقدسة

في الحجاز واحتفظ بحقه في زيارتها لهدف الحج فقط . كما اعترف أيضاً بسيادة سلطان تركيا عليه . وفي مقابل ذلك تعهد طوسون باشا بالانسحاب من القصيم . وتم الاتفاق على أن تكون منطقة الحناكية هي الحدود الفاصلة بين المناطق التابعة(للوهابيين) والتابعة للمصريين . وهكذا رجع طوسون باشا إلى المدينة في يونيو سنة ١٨١٥م بعد أن ظلت إقامته في القصيم أربعة أسابيع بالضبط[١] .

عدم التصديق على الاتفاقية :

وفي أغسطس وصل مبعوثان من (الوهابيين) إلى القاهرة للتصديق على هذه الاتفاقية لكن محمد علي ردها رداً غير واضح بدا منه أنه كان لا يمانع في الصلح بشرط أن يضم إقليم الأحساء على ساحل الخليج . ورجع طوسون باشا نفسه إلى القاهرة يوم ٧ نوفمبر سنة ١٨١٥ فاستقبله ابوه استقبالاً فاتراً .

القوات المصرية تغزو القصيم للمرة الثانية

١٨١٧- ١٨١٨م / ١٢٣٢- ١٢٣٣هـ

الأستعدادات للحملة ١٨١٦م / ١٢٣١هـ :

وظلت الامور كما هي عدة شهور بعدها . وكان معظم السبب في ذلك اقتناع محمد علي بأن الأنجليز لابد سيحاولون النزول إلى مصر ، وحين تبدد خوفه هذا استأنف مواصله حربه في جزيرة العرب ، وقد حدثت اضطرابات واسعة في جنوب الحجاز وارغمت الحاميات المصرية على التراجع من بيشه ورنيه وتربه . وفي أغسطس ١٨١٦م خرج إبراهيم باشا ابن محمد علي الاكبر (أو ابنه بالتبني) من القاهرة ومعه قوات قوامها ٢٠٠٠ جندي من المشاة و١٥٠٠ فارس من بدو

---

(١) وتذكر رواية آخرى أن عبدالله قد وافق أيضاً على أن يقدم بعض الرهائن ويسلم الدرعية إلى أي حاكم يعينه السلطان ، وان يعيد الكنوز التي نهبت من قبر النبي محمد ﷺ بل وأن يسافر بنفسه إلى القسطنطينية إذا طلب اليه ذلك .

الصحراء الليبية ، وقيل إن الأوامر صدرت اليه بالتقدم من المدينة إلى الدرعية عن طريق القصيم .

عمليات القوات المصرية في الحناكية :

وانقضى وقت طويل على أيه حال قبل أن يستطيع إبراهيم باشا تنفيذ التعليمات التي صدرت اليه ، فلم يصل الحناكية إلا بعد انقضاء وقت طال عدة أشهر من سنة ١٨١٧م وجعلها مركز انطلاق غارات متعدده على القبائل المجاورة .. وكانت قبائل حرب وعتيبه من الذين عانوا من هذه الغارات وكان من نتائجها أن أعلنت قبائل كثيرة ولاءها للمصريين وكان العمل التالي لابراهيم باشا هو حملته على منطقة جبل شمر ، مستعيناً أساساً بقبائل البدو الموالية له ، يتبعها طابور من الفرسان المصريين وراءهم ، وأصيبت هذه القبائل بخسائر فادحة ... ونجا المصريون فلم يفقدوا أكثر من ٢٠ رجلاً .

انتصار القوات المصرية في جبل ماوية ١٨١٧م/ ١٢٣٢هـ :

وبناء على طلب قبائل البدو الموالية للقوات المصرية والتي بدأ (الوهابيون) يلحون في مضايقتها ارسل القائد المصري قوة من جنوده إلى جبل ماوية على الطريق بين الحناكية والرس ... وهناك اشتبكت هذه القوة بقوات العدو بقيادة الأمير عبدالله ، وكانت نتيجة المعركة في صالح المصريين ويستدل على ذلك من الهياكل العظمية البالية التي كانت ماتزال تغطي ساحة القتال عندما تفقدها الكابتن سادلر في سبتمبر ١٨١٩م . واضطر الأمير إلى الهرب عن طريق الرس وعنيزه في القصيم. وفعل إبراهيم باشا الذي وصل إلى ميدان الحرب بعد انتهائها تقريباً كفعل (الوهابيين) في مثل هذه الحالات ، فأمر بإعدام الأسرى جميعاً[أ] وحين تجمعت قواته في ماوية – ووصل عددها إلى ١٢٠٠فارس و٤٠٠٠ من جنود

* [أ] لم أقف على أي مصدر ذكر أن السعوديين قد قاموا بإعدام الأسرى في أي حرب وقعة لهم مع أعدائهم.

المشاه [1] تقدم نحو الرس ، ولحق به شيخ قبيلة مطير علناً فقد كان له ثأر عند (الوهابيين) ، وقام في الطريق بغارة على قبيلة عنزة .

القوات المصرية تضرب حصاراً فاشلاً على الرس ١٨١٧م / ١٢٣٢هـ :

وحين وصل إبراهيم باشا إلى الرس أعد العدة للاستيلاء عليها مرة واحدة، لكن أسوارها استطاعت أن تقاوم نيران مدفعيته لثلاثة أيام ، وحين أحدثت ثغرة في الأسوار وبدأت قواته في الاندفاع منها اضطرت إلى التراجع متكبدة خسائر جسيمة. واستمر الحصار بلا جدوى ثلاثة أشهر ونصفاً ثم رفع نهائياً . وخسرت القوات المصرية ٩٠٠ قتيل و١٠٠٠ جريح في هذه العمليات ، كما استهلكت حمولة ٤٠٠ بعير من ذخيرة الأسلحة الخفيفة إلى جانب ٣٠ ألف دانة للمدفعية . كل هذا في حين لم تتجاوز خسارة المحاصرين داخل المدينة أكثر من ٥٠ قتيلاً و٧٠ جريحاً . وحدث شبه اتفاق مع أهل الرس أصبح مصير هذه المدينة بموجبه مرتبطاً بمصير عنيزه عاصمة القصيم .

القوات المصرية تستولي على عنيزة ١٨١٧م / ١٢٣٢هـ :

وعوض إبراهيم باشا عن فشله هذا الاستيلاء على ضريه التي لم تستطع مقاومة الحصار أكثر من يوم واحد ، وتقدم بعدها إلى عنيزة في نفس الوقت الذي انسحب فيه الأمير عبدالله إلى بريده ، وسقطت عنيزه بعد ضربها بالمدافع مدة ستة أيام ، وانسحب أمير الوهابيين غرباً إلى شقراء حيث قضى فيها الشهرين التاليين ثم احتل إبراهيم باشا بريده بعد أن جلا عنها الأمير عبدالله وأصبح إقليم القصيم كله خاضعاً للمصريين [2] .

---

(١) يقدر كابتن سادلر عدد القوات المصرية بأقل من هذا بكثير .

(٢) يورد سادلر رواية أخرى لهذا الجزء من الحملة .

الاستيلاء على شقراء ٢٢ يناير ١٨١٨م / ربيع أول ١٢٣٣هـ :

وفي ١٣ يناير ١٨١٨ وصلت القوات المصرية قريباً من شقراء المركز الرئيسي في وشم ، وأرسل إبراهيم باشا دورية استطلاعية قوامها ٨٠٠ فارس لما حولها ، وفي اليوم التالي وبعد مسيرة مجهدة في الرمال الناعمة استطاع أن يجعل قواته شرقي المدينة وجنوبها ، وبدأ مهاجمتها مرة واحدة بعد أن وصلت تعزيزات جديدة جعلت قواته تبلغ أكثر من ٤٥٠٠ جندي نظامي .

وفي ١٦ يناير سقطت ضواحي المدينة بعد اشتباك بالسلاح الأبيض وجهاً لوجه خسرت فيه القوات المصرية حوالي ١٥٠ رجلاً ، وترك (الوهابيون) وراءهم ٦٨ جثة في مكان القتال . وأمر إبراهيم باشا بقتل بعض (الوهابيين) اللذين وقعوا في الأسر ، وعاد لمواصلة الحصار . وفي ٢٢ يناير سقطت شقراء بعد أن تم الاتفاق على أن يلقي أفراد الحامية سلاحهم ويغادروا. وفي هذا الجزء الأخير من العمليات خسرت القوات المصرية ١٣٠ قتيلاً ، وقتل من (الوهابيين) ١٧٠ وجرح ٢٤٠ رجلاً .

مذبحة في ضرمة :

وبعد إقامة قصيرة في شقراء هطلت خلالها أمطار غزيرة ترك القائد المصري الجرحى والمرضى فيها وواصل تقدمه إلى الدرعية . ومر في طريقه بضرمه حيث اعترضت قواته بعض المقاومة غير النظامية فأمر بإعمال القتل في عدد كبير من أهلها . أما الحاكم (الوهابي) الذي كان قد تحصن في القلعة لايبرحها فقد أعطى الأمان على أن يخرج إلى الدرعية تاركاً وراءه ممتلكاته وكان من بينها عدد كبير من الخيول الثمينة وألايحمل السلاح مرة أخرى في وجه المصريين [أ] .

* [أ] كان قائد الحامية السعودية المرابطة بضرمه سعود بن عبدالله بن محمد سعود أنظر د/ إبراهيم جمعه – الأطلس التاريخي للدولة السعودية ص: ٨٥ .

الوصول إلى الدرعية والاستعدادات الأولى مارس ١٨١٨م / ١٢٣٣هـ:

وفي ٢٢ مارس ١٨١٨م ومرة أخرى بعد تأخر سببه المناخ السيئ إستطاع إبراهيم باشا بمشقة كبيرة عبور الهضاب الفاصلة بين ضرمة ووادي حنيفة، وقد وصلت قواته الآن إلى خمسة آلاف ما بين راكب وراجل . وكانت مدفعيته تتكون من ١٢ قطعة قطعتي مورتر وقطعتي هويتزر[١] وغيرها وأقيم معسكر في العينين ، وأرسلت دوريات للإستطلاع حتى أسوار الدرعية وفي ٦ إبريل إتخذ إبراهيم باشا مواقعه في مواجهة عاصمة (الوهابيين) التي اندفع أهلها للدفاع عنها ، وفي ١٤ إبريل بدأت القوات المصرية إطلاق النيران على أحد استحكامات (الوهابيين) الأمامية فدمروا مدفعين وأسروا بعض (الوهابيين) ، وقد أعدم هؤلاء مباشرةً . وبعدها بقليل سقط استحكام آخر بعد أن جاهد (الوهابيون) طويلاً للإحتفاظ به ، وبهذا أرغم (الوهابيون) على التخلي عن خطة الدفاع المتقدمه هذه، وكان يقودهم فيصل شقيق الأمير.

خطورة موقف القوات المصرية مايو - يونيو ١٨١٨ م/ ١٢٣٣هـ:

وأدى وصول التعزيزات والإمدادات من مصر من ناحية والعراق التركي من ناحية أخرى إلى أن يتشجع قائد القوات المصرية الذي كان إبطاؤه سيسبب له أوخم العواقب فقام بعمل هجومي على منطقة غصيبة[٢] ، غير أن قواته رفضت أن تتقدم لمواجهة العاصفة بعد أن أحدثت نيران مدفعيتها ثغرة فى السور المحيط بهذه المنطقة . وقد أدى هذا الفشل إلى الإنتقاص من هيبة القوات المحاصرة ، وبدأ (الوهابيون) بسلسة من الهجمات اليومية على معسكر المصريين موقعين بهم خسائر كبيرة . وفي نهاية شهر مايو بلغ موقف القوات المصرية غاية الحرج والخطورة ، وواصل (الوهابيون) مضايقتها بصورة دائمة وكانت نشاطاتهم بهذا

---

(١) يذكر كابتن سادلر عدد الفرسان على أنه ١٩٥٠ فارساً ، والمشاة ٥٦٠٠ لكننا لانعرف مصدره في الحصول على هذه المعلومات .

(٢) لازال اسم غصيبة يطلق على أحد المناطق يسار أو شمال الجانب الشمالى من وادي حنيفة.

الصدد تتزايد يوماً بعد يوم ، علماً بأن المصريين لم يكونوا قادرين على إحكام الحصار حول الدرعية ، فقد كانت الإمدادات تصل إليها عن طريق الإحساء دون أن تستطيع القوات المصرية منعها . وفي يوم ١٢ يونيو حملت الرياح النيران إلى مستودع ذخيرة القوات المصرية ، وحدث إنفجار مروع إلتهم الذخيرة كلها . وقد وقعت هذه الحادثة عقب إشتباك عنيف قتل فيه ١٦٠ رجلاً من القوات المصرية بينهم كثير من الضباط ذوي الرتب الكبيرة . وهكذا أصبح الجيش المحاصر في مواجهة عدو رهيب، وخطوط تموينية طويلة وبعيدة ، ولاذخيرة إلا ماتبقى في بنادق الجنود وفي بطاريات المدافع ، وفي اليوم التالي ، حين ترامى إلى (الوهابيين) نبأ الكارثة التي حلت بالقوات المصرية قاموا بهجوم على القوات المصرية بجيش قوامه ١٥٠٠ رجل[١] ، لكن إبراهيم باشا الذي كانت شجاعته مضرب الأمثال إستطاع أن يلهب حماس قواته وبث فيها روحاً عالية فاستطاعوا أن يصدوا هجوم (الوهابيين) مسببين خسارة فادحة بنيران مدفعيتهم ، وأفقدت هذه النتيجة (الوهابيين) المبادرة وجعلتهم يقتصرون على الدفاع مرة أخرى .

تحسن حالة القوات المصرية وتزايد نشاطها :

وبعد إنقضاء فترة تزيد على الثلاثة أسابيع بدأت الإمدادات تصل من عنيزة وغيرها من المواقع المتقدمة إلى القوات المصرية التي استعادت سيطرتها على الموقف . وفي ١٨ أغسطس وفي أثناء غياب إبراهيم باشا في حملة تأديبية على بعض القرى المجاورة شن (الوهابيين) هجمة كبيرة على معسكر المصريين ولم يرجعوا إلا بعد جهد شديد بذلته القوات المصرية . وأخيراً حين عرف المصريون بأن محمد علي قد أرسل خليل باشا ومعه قوات كبيرة لمساعدتهم بدأوا يواصلون الهجوم . ووقع فيصل شقيق أمير (الوهابيين) الذي قام بدور كبير في الدفاع قتيلاً بإحدى القذائف . وتقدم المصريين بفرقة صغيرة مزودة بثلاثة مدافع وبعض

---

(١) كان إبراهيم في ذلك الوقت ـ في السادسة والعشرين من عمره وثمة تشابه واضح بين موقف القوات المصرية أمام الدرعية ، وموقف القوات البريطانية أمام ريدج في المراحل الأولى من حصار دلهي سنة ١٨٥٧.

الذخيرة إلى جوار منطقة غصيبة ، واستطاعوا من محاصرة قلعة يقودها سعد أحد أبناء الأمير ، وبعد يومين سقطت القلعة لنفاذ الإمدادات والذخيرة . وأسر سعد لكنه عومل معاملة حسنة ، كذلك ضربت قلعتا غصيبة وسهيل[١] بالمدافع وسقطتا في أيدي المصريين وأسر الحاكم السابق في ضرمة الذي سبق أن وعد بعدم رفع السلاح أمام القوات المصرية محارباً وأعدم ، وألقي المدافعون عن قلعة طرفية أسلحتهم ، وبقيت قلعة طريف[٢] فقط التي يتحصن بها الأمير عبد الله نفسه مستمرة في المقاومة .

إستسلام الأمير عبد الله ٩ سبتمبر ١٨١٨ م/ الثامن من ذي القعدة ١٢٣٣هـ :

وأخيراً في يوم ٩ سبتمبر ١٨١٨م إستجاب الأمير لنصيحة مستشاريه جميعا ورفع الراية البيضاء وبدأت المفاوضات ، وتم اللقاء في نفس اليوم بين الأمير عبد الله وإبراهيم باشا ، ولم يستطع الرجل العربي أن يخفي حقيقة مشاعره وإن استطاع تغطيتها بالهدوء والوقار ، كذلك قام الرجل التركي من ناحيته بمنتهى اللياقة فاحترمه كعدو مهزوم بل إنه أمر بإطلاق إبنه سعد[٣] . وعرض إبراهيم الصلح على أن يستسلم الأمير ويرحل إلى القاهرة . وأمهله أربعاً وعشرين ساعة للتفكير في الأمر وكان ثمة خوف من أن ينتحر الأمير خلال هذه المهلة أو يفر إلى الصحراء ولكن أخيراً وافق الأمير بعد أن ضمن له إبراهيم باشا مطالبه وهي تأمين حياته والمحافظة على مدينة الدرعية وعدم إيقاع العقاب بمن كان يحارب ضد القوات المصرية ، وبدأ الأمير يتخذ الترتيبات اللازمة لرحلته . ونمر بسرعة على مابقي من قصة عبد الله بن سعود . فقد صحبه الرجال المقربون إليه وبينهم المقيم على بيت المال ، وأمين سره وعبيده المخلصون وساروا بحراسة ٤٠٠ جندي مصري على طول الساحل . ووصل عبد الله إلى القاهرة في نوفمبر والتقى

---

(١) الدرعية الآن في المكان المسمى بصريحة في وادي حنيفة بالقرب من عصيبة.

(٢) تقع طريف من الجانب الجنوبي أو الأيسر من وادي حنيفة ، ومازالت حتى اليوم موجودة بإسمها هذا.

(٣) مرة أخرى ، تختلف هنا رواية سادلر عن رواية منجن.

بمحمد علي الذي طمأنه ، وأعاد الأمير بعض الكنوز التي كانت في قبر النبي بالمدينة . غير أن المعاملة التي لقيها في القسطنطينية كانت شيئاً يناقض تماماً مالقيه قبلها فبعد أن عرض في شوارع العاصمة ضرب عنقه في ميدان القديسة صوفيا مع عدد من المقربين إليه .

فترة خلو الحكم (الوهابي) من وجود الأمير

١٨١٨ - ١٨١٩ م/ ١٢٣٣هـ - ١٢٣٤هـ

القوات المصرية تحتل نجد والأحساء للمرة الأولى ١٨١٨م/ ١٢٣٣هـ.

تحطمت تماما في ذاك الوقت الدولة (الوهابية) المنظمة في نجد ، وبدأت القوات المصرية تحكم البلاد حكماً مباشراً . وقد تم أسر أربعة من أشقاء الأمير وأرسلوا إلى القاهرة حيث سجنوا فيها وسبب فرار أخ خامس لعله مشاري قلقاً عظيماً للقوات الغازية .

وإرسال أشقاء الأمير عبد الله إلى القاهرة :

تدمير الدرعية وما إلى ذلك :

وقد نهبت مدينة الدرعية في البداية ، واحتفظ إبراهيم باشا لنفسه ببيوت آل سعود التي لم يكن بقي فيها شيء يذكر ، وراح الجنود يضعون أيديهم على مايستطيعون العثور عليه ، وبدأ تعذيب هؤلاء الذين كان يشك في أنهم يخفون ممتلكات أو أشياء ذات قيمة . أما التدمير الكامل لمدينة الدرعية فلم يبدأ إلا بعد صدور الأوامر به من القسطنطينية ، وبعد أن خضع بعض أهل المدينة فدفعوا مبالغ ضخمة لاستثنائهم وبيوتهم من هذه العقوبة وبعدها بدأت عملية هدم وتدمير شاملة للمدينة حتى لم يبق فيها حجر على حجر ، وقطعت أشجار النخيل حتى آخر شجرة لكن القائد المصري لم يأمر بهدم المدينة إلابعد أن أمر بنقل أهلها إلى الأحساء وبعد انتقال بعضهم للإقامة في بساتين النخيل القريبة من منفوحة [أ] .

---

*(أ) الحقيقة أن إبراهيم باشا لم يأمر بنقل السكان إلى الأحساء وإنما أهالي الدرعية وأعيانها هربوا إلى بلدان نجد الأخرى ومنهم من اتجه إلى الأحساء ومنهم من اتجه ليقيم لدى القواسم في رأس الخيمة ، أنظر ابن بشر – عنوان المجد ط١ ، صـ٢٨٥ ومابعدها .

وبعد ذلك قامت القوات المنتصرة بهدم كل التحصينات والقلاع في كل المدن والقرى بنجد وتسويتها بالأرض . وقد أشار الكابتن سادلر إلى دقة تنفيذ هذه العملية في كل من منفوحة والرياض وثرمداء وشقراء وعنيزة وذلك بعد أن زار هذه المناطق سنة ١٨١٩م ، وقد أبقيت المنازل وأشجار النخيل كما هي إلا في أماكن خاصة كالدرعية وعنيزة .

إحتلال الخرج والأحساء :

وجعلت القوات المصرية لها موقعاً في السلمية بالخرج ومنها تقدم إبراهيم باشا إلى إقليم الأحساء[أ]، الذي كان يبدو أن الفاتحين سيجعلون عاصمتهم فيه. وبعد وصول إبراهيم باشا إلى الأحساء لحق به (القرصان) المشهور في قطر رحمة بن جابر وعاونه في الإستيلاء على مدينة القطيف بعد ضربها بالمدافع. في مقابل ذلك سمح له إبراهيم بالإقامة في قلعة الدمام في ساحل الأحساء. وكان إبراهيم باشا يفكر في أن يباشر مزيداً من العمل بإتجاه الأحساء. لكن الصعوبات الطبيعية التي كانت تحيط بموقف القوات المصرية ألزمته بالتخلى عن هذه المشروعات.

عقاب قبائل البدو :

وخرجت الحملات التأديبية في كل إتجاه ضد قبائل البدو التي كانت تساعد (الوهابيين)، وقد لحقت معظم الخسائر ببني سبيع الذين كانوا مستقرين إلى جوار آبار رمة في عرمة .

علاقة الأتراك بالعرب عموماً :

ويبدو أن علاقة القوات المصرية بأهل البلاد أينما كانوا كانت على أسوأ حال ، فقد كان هؤلاء في حالة واضحة من العوز والبؤس وكانت القوات المصرية تنهب مصادرهم القليلة ، وبعد إقامة عامين في نجد ظل بعض كبار المسئولين في القوات المصرية على جهل واضح بجغرافيا البلاد ، كأنهم لم يغادروا القاهرة قط .

---

*[أ] لم تشر المصادر الأخرى إلى وصول إبراهيم باشا شخصياً إلى الأحساء وإنما أرسل أحد رجاله وهو محمد كاشف علي رأس حامية .

إنسحاب القوات المصرية إنسحاباً جزئياً ١٨١٩ م/ ١٢٣٤هـ

وشيئاً فشيئاً بدأ يتضح أن القوات المصرية ليس بوسعها أن تحتل نجداً إحتلالاً كاملاً ، وكذلك أساساً لصعوبة الإتصال بين مواقعها المختلفة بسبب عداء قبائل البدو وتزايد مشاكساتها ولاسيما قبيلتي العجمان وسعدة [١] .

الجلاء عن الأحساء يوليو ١٨١٩ م/ ١٢٣٤هـ :

وفي يونيو سنة ١٨١٩م تقريباً إرتأت قيادة القوات المصرية وضع ممثلين من البدو لها في كل البلاد شرقي وجنوبي القصيم ، وشهد الكابتن سادلر من فرقة صاحب الجلالة ٤٧ عملية الإجلاء كما صحب القوات المنسحبة ، وكابتن سادلر هذا نفسه هو الذي أرسل إلى إبراهيم باشا موفداً من قبل حكومة الهند على نحو ماهو موضح في تاريخ عمان المتصالحة ، ولحق سادلر بكاشف الأحساء وقواته التي كانت تبلغ ٢٥٠ جندياً و ٦٠٠ بعير للنقل ، وقد بدأ الكاشف يعد العدة للرحيل فجمع من أهل الأحساء حوالي مليون قرش وترك وراءه شيخ بني خالد [أ] ممثلاً للحكومة التركية في الأحساء . وكان شيوخ بني خالد هم الأعداء التقليديين (الوهابيين) ، وقد سبق (للوهابيين) أن حطموا قوتهم من قبل . وكان مقرراً أن يحملوا الجزية السنوية من الأحساء إلى القصيم حيث كانت ستقيم حامية مصرية إقامة دائمة .

السير من الأحساء إلى منفوحة - يوليو - أغسطس ١٨١٩ م/ ١٢٣٤هـ :

وكان الطريق الذي يسلكه الأتراك بين الأحساء والقصيم يمر بالسليمية في الخرج ، وقال الكاشف إنه ينوي السير في هذا الطريق ، لكنه في اليوم الثاني من مسيرته خشي أن تهاجمه قوات بني سعدة التي كانت تثير الإضطرابات والقلاقل مؤخراً في السليمية ، فغير طريقه إلى آبار روحة في عرمة ، وهناك كان مفروضاً

---

(١) رغم أن المؤرخين يشيرون إلى قبيلة بني سعدة كقبيلة مستقلة إلا أنها على الأرجح فرع من العجمان.

* (أ) شيوخ بني خالد ماجد ومحمد أبناء عريعر بن دجين.

أن تلحق به حامية السليمانية وكانت تتكون من عدد من الفرسان يتراوح بين ٥٠ و ١٠٠ فارس . لكن هذه الحامية لم تظهر في الطريق[١] بسبب حصار البدو لها في موقعها . واضطر الكاشف للسير إلى منفوحة حيث وصلها عن طريق بنبان في ٣ أغسطس ، وأرسل نصف قواته لفك الحصار عن حامية السليمانية .

السير من منفوحة إلى الرس أغسطس ١٨١٩ م/ ١٢٣٤هـ :

وفي ١٣ أغسطس وصلت حامية السليمانية سالمة إلى منفوحة ، وبدأ السير إلى القصيم ، وكانت كل البلاد المحيطة واقفة بسلاحها على أهبة الإستعداد ، وقد فشل الكاشف في تنفيذ خطة وضعها للقضاء على الشخصيات الهامة من (الوهابيين) في منفوحة قبل رحيله[٢] ومرت القوات المنسحبة في اليوم نفسه بخرائب الدرعية التي لم يكن بها كائن حي واحد ، وعسكرت القوات لقضاء ليلتها في العيينة . وفي اليوم التالي عبرت القوات مضيق الحيسية الذي كان كمايزال يحمل آثار إبراهيم باشا [٣]، واجتازت القوات المنسحبة مراة التى وجدت مهجورة تماماً فى ١٥ أغسطس ، ووصلت ترمدا فى ١٦أغسطس وشقرا فى ١٧ منة ، وكان وصولها لشقرا فى الوقت المناسب لمطاردة جماعة من عتيبة كانوا قد وصلوا إلى تلك المدينة ونهبوا ماشيتها ، واستطاعت الفرقة المصرية التى طاردتهم أن تقتل عشرين رجلاً منهم وتأسر خمسة قطعت رؤوسهم مباشرة . وكان مفروضاً أن تستبدل جمال النقل التى قدمها بنوخالد للقوات المصرية فى ذللك الحين بجمال أخرى لبنى مطير . لكن مشكلة حدثت فى ذللك الوقت أدت إلى مصادرة القوات المصرية هذه الجمال وطرد بنى خالد دون أن يقبضوا أجوراً أو تعويضات .

---

[١] وكان السبب في هذا تأديبياً . وقد جاء في أوامر إبراهيم باشا بالإنسحاب من الأحساء أن تقضي القوات المصرية على مقاومة ٤ من الشيوخ المعاندين كانت القوات المصرية مازالت تعاملهم معاملة طيبة . وحين فشل قائد الحامية في تحقيق ذلك بالقوة ، دعى المشايخ إلى وليمة ، ثم أمر بهم فقتلوا ، وحوصرت الحامية بسبب هذا العمل.

[٢] ترك لنا كابتن سادلر وصفاً تفصيلياً للدرعية كما رآها.

[٣] في معظم العمليات .. كانت الجمال هي التي تسحب مدافع إبراهيم باشا.

وطوال المسيرة لم تسمح القوات المصرية للعرب بأن يأخذوا جمالهم لترعى في أي مكان خارج حدود المعسكر ، وقد كانت تخشى هروبهم ، ووصلت القوات إلى مذنب في ٢٣ أغسطس وعنيزة في ٢٤ ثم الرس في ٢٦ وكان إبراهيم باشا قد رحل من الرس إلى المدينة في ٢٤ أغسطس ، لكنه ترك معسكراً وراءه ، فيه خليط غريب من الجند الأتراك والألبان والفرسان الليبيين ، إنضم إليهم كابتن سادلر ومن معه من الإيرانيين والهنود والبرتغاليين والأرمن .

السير من الرس إلى الحناكية أغسطس - سبتمير ١٨١٩ م/ ١٢٣٤هـ :

ورفضت السلطات المصرية في الرس أن تسهل له العودة إلى الهند عن طريق البصرة ، فاضطر الكابتن سادلر أن يواصل رحلته مع القوات المنسحبة إلى البحر الأحمر . ووصل في ٣١ أغسطس إلى وادي المياه ، واجتاز في ٢ سبتمبر المكان الذي دارت فيه معركة جبل ماوية ، وفي ٤ سبتمبر وصل إلى موقع القوات المصرية في الحناكية بعد سير مرهق مستمر طوال ٢٩,٥ ساعة دون ماء على الإطلاق[١].

رحيل إبراهيم باشا إلى مصر نوفمبر ١٨١٩ م / ١٢٣٤هـ :

أما باقي أعمال كابتن سادلر في الحجاز فهي خاصة بتاريخ عمان المتصالحة ويكفي هنا القول أن إبراهيم باشا ظل معسكراً على الساحل حتى يوم ١٧ نوفمبر حيث أقلع من جدة نهائياً إلى القصير .

---

[١] يصور لنا الكابتن سادلر هذا الإنسحاب بكل مافيه من قسوة ونزاع في صفحات كثيرة من يوميات رحلته.

مشاري بن سعود

١٨١٩ -١٨٢٣ م/ ١٢٣٤هـ -١٢٣٩هـ

وعقب رحيل الجزء الأكبر من القوات المصرية مباشرة قام مشاري شقيق الأمير السابق ولعله هو نفسه الذي استطاع الهرب من السجن قبل الجلاء فجمع مجموعة من أنصاره وتولى السلطة في نجد دون علم القوات المصرية التي كانت بعض حامياتها ماتزال موجودة . وفي سنة ١٨٢٢م أرسل ٧٠٠ فارس إلى عنيزة في القصيم ، وأصدر محمد علي أوامره بضرورة بناء قلعة في الدرعية لاستقبال الحامية المصرية ، وبعدها بقليل وضعت حامية من مائة فارس مصري في الرياض وكان واضحاً لإنها ستصبح عاصمة نجد الجنوبية بدلا من الدرعية ، لكن البدو إستطاعو مباغتة هذه الحامية وإبادتها . ولانعرف يقيناً كيف انتهت فترة حكم مشاري ، وربما كما يقول أحد المصادر أطاح به حاكم الأحساء من بني خالد ، أو كما يذكر مصدر آخر وقع بين أيدي القوات المصرية التي أعدمته [أ] .

*[أ] كان أول من قام بمحاولة إحياء الدولة على أنقاض الدرعية هو محمد بن مشاري بن معمر وعندما قدم إليه مشاري بن سعود تنازل له عن الحكم لكنه غدر به فيما بعد وسلمه للحامية العثمانية بالقصيم وتوفى بسجن عنيزة وبرز في الميدان الإمام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود وقام بالإنتقام من بن معمر وهو التي جرت هذه الأحداث في عهده حتى توجت جهوده أخيراً بالنجاح وطرد الحامية المصرية من الرياض ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م واتخذ الرياض مقراً لحكمه . أنظر عبدالله العثيمين - تاريخ المملكة العربية السعودية ، ص: ٢٠٥ - ٢١٤ .

تركي بن عبد الله

١٨٢٤ -١٨٣٤ م/ ١٢٤٠هـ - ١٢٤٩هـ

التاريخ العام والداخلي ١٨٢٤ . ١٨٣٤ م

طرد القوات المصرية ١٨٢٤ م/ ١٢٤٠هـ :

وخلف مشاري قريب له يدعى تركي ينتمي إلى الفرع الأكبر من عائلة سعود ، وهو تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود أول أمير (للوهابيين) ويبدو أن تركي تولى الحكم بعد أن طرد الحامية المصرية من الرياض ، وإنه حصل بعدها مباشرة على إعتراف أنصاره وأهل بلده به أمير (للوهابيين) . ويبدو أنه بعد إحراز هذا النجاح راح يواصل عملياته الهجومية غرباً . وبما أننا لانجد من هنا فصاعداً إشارة لأي حامية مصرية في أي موقع بالقصيم ، فإننا نستطيع أن نستنتج أن القوات المصرية قد طردت من نجد كلها ، ولابد أن علاقات ودية قد قامت بعد ذلك لأن تركي بدأ حكمه بدفع جزية سنوية صغيرة لحاكم مصر لكنه كان من سائر النواحي الأخرى حاكماً مستقلاً .

السياسة الداخلية لتركي :

وكانت سياسة تركي في الإدارة الداخلية بعد أن استتب له الأمر تتفق والتراث (الوهابي) التقليدي ، لكنه كان في نفس الوقت أكثر تحرراً واستناراً مما سبقوه . وفعل فعل الأمير (الوهابي) الأول في القضاء على الإضطرابات القبلية وإيقاع أقصى العقاب بمرتكبي حوادث السرقة والنهب ، لكنه على عكس أسلافه شجع مرور الحجاج السنة والشيعة بأرضه في طريقهم إلى الأماكن المقدسة ، بل وتعهد أيضا بضمان سلامتهم . وفي عهد تركي لم تكن القيود الدينية التي يفرضها (الوهابيون) تسري على هؤلاء الذين لايشاركونهم العقيدة إلا فيما يتعلق بالتدخين علناً وفي الأماكن العامة .

تمرد مشاري واغتيال تركي ١٨٣٤ م/ ١٢٤٩هـ :

وفي سنة ١٨٣١م قام أحد أبناء شقيق تركي ويدعى مشاري بالتمرد على عمه بعد أن أيدته قبيلة قحطان وسواها من القبائل لكن تمرده هذا رغم أنه أشاع شيئاً من الإضطراب وعدم الإستقرار في البلاد لم يستطع أن ينال شيئاً من تركي بالوسائل الشريفة الواضحة . وفي سنة ١٨٣٤ نجح على أي حال في أن يدبر عملية إغتيال تركي [أ].

أعمال الأمير تركي في شرق الجزيرة

١٨٢٤- ١٨٣٤ م/ ١٢٤٠هـ- ١٢٤٩هـ

وفي عهد تركي إستعاد (الوهابيون) لفترة محدودة المكانة التي كانت لنفوذهم في شرق الجزيرة ، وفي سنة ١٨٣٣م كان كل ساحل خليج عمان والخليج العربي شمالاً حتى القطيف خاضعاً يدفع الجزية لهم.

فتح (الوهابيين) للأحساء ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤ م/ ١٢٤٠هـ ـ ١٢٤٩هـ :

وكان من أول الأهداف التى عمل تركي على تحقيقها إستعادة إقليم الأحساء الذي كان بنو خالد قد عادوا إلى حكمه منذ ولتهم القوات المصرية عليه في سنة ١٨١٩م . وطوال المدة من ١٨٢٤م إلى ١٨٣٠م ظل الموقف هناك كماهو ، ولكن في سنة ١٨٣٠م / ١٢٤٥هـ إضطر بنو خالد أخيراً إلى الإستسلام لقوات الأمير

---

*[أ] الذي قام باغتيل الإمام تركي بن عبد الله هو إبن أخته ويدعى مشاري بن عبد الرحمن بن حسن بن مشاري بن سعود بن مقرن ولم يلقى التأييد من القبائل نظراً لما يتمتع به الإمام تركي من سمعة طيبيه بين رعاياه ، أنظر عبد الله العثيمين ، تاريخ المملكة ص : ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

في المعركة الأخيرة التي خاضوها معه في وبره [أ] وكان يقود قوات (الوهابيين) تركي بنفسه ومعه ابنه فيصل . وفي سنة ١٨٣١ غامر بنو خالد متشجعين بتمرد مشاري فهاجموا الهفوف والقطيف لكنهم صدوا عن المدينتين .

وحين قوي مركز الأمير في الأحساء في سنة ١٨٣٠م بادر بطلب الجزية من شيخ البحرين ، وخشي هذا تحالف الأمير مع سيد عمان عليه فاضطر لدفعها .

علاقة (الوهابيين) بالبحرين ١٨٢٤ – ١٨٣٤ م/ ١٢٤٠هـ – ١٢٤٩هـ:

ولم تكن هذه الإتفاقية نهائية ، ولاكان أحد الطرفين مخلصاً في عقدها أو الإلتزام بها، فظل (الوهابيون) على محاولتهم أن يجعلوا بشير ابن (القرصان) الشهير رحمة بن جابر في الدمام مصدر مضايقة للعتوب في البحرين ، كذلك فعل شيخ البحرين بمجرد أن تمكن من ذلك بعد رحيل بشير من الدمام سنة ١٨٣٣م فنقض إتفاقيته وحرض بني خالد في الأحساء علي مناوشة (الوهابيين) . وهناك بعض الأسباب التي تحملنا علىالظن بأن تدابير مشاري لإغتيال الأمير تركي سنة ١٨٣٤م كان بتحريض من شيخ البحرين أو على الأقل بإيحاء منه وكان هذا قد أعلن الحرب قبل هذه الحادثة مباشرة وحاصرميناء القطيف والعقير من البحر .

النفوذ (الوهابي) في عمان المتصالحة ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤ م/ ١٢٤٠هـ ـ ١٢٤٩هـ:

ولم يكد تركي يعزز من مكانته على عرش نجد حتى بدأ أكثر الشيوخ المثيرين للإضطراب فيما يعرف اليوم بعمان المتصالحة يهيجون أطماع الأمير خاصة شيوخ الشارجة وعجمان . وفي سنة ١٨٢٥م إعترف الشيخ القاسمي في الشارقة سراً بخوفه من أمير (الوهابيين) وطلب وعداً من السلطات البريطانية بتقديم العون له إذا مارفض الرضوخ لما يطلبه منه الأمير ، ولم يقدم إليه هذا الوعد على أي حال لكن السلطات البريطانية قدمت إليه نصائح حازمة بعدم الإتصال بأي حركة معادية لسيد مسقط . وأدى ظهور (الوهابيين) على ساحل

*(أ) وقعة السبيبة أو المهمري بين الإمام تركي وبنو خالد وقد إنتصر الإمام تركي وإبنه فيصل في هذه المعركة تقدم بعدها إلى الأحساء وضمها لدولته ، أنظر إبن بشر عنوان المجد جـ٢ ، ص : ٤٧-٤٩.

الأحساء في سنة ١٨٣٠م إلى إثارة مزيد من القلاقل في عمان المتصالحة ، وأصبح تقدمهم نحوها مرتقباً يتطلع له شيوخ عجمان وأم القيوين بفرح لأنه سيخلصهم من سيطرة شيخ القواسم ، وطبيعي أن هذا كان يترقب تقدم (الوهابيين) بفزع شديد . ومرة أخرى طلب شيخ الشارقة عون الحكومة البريطانية ، ولم يقدم إليه وعد بذلك ، وفي نفس الوقت طلب شيخ عجمان وهو يذكر الأيام التي كان حسين بن علي من الرمس يحكم فيها البلاد باسم (الوهابيين) طلب من الأمير تركي إرسال بعثة إليه تكون بمثابة تمثيل (للوهابيين) في البلاد . ورفض الأمير هذا الطلب على إعتبار أنه لايعترف بالشيوخ في عمان إلا شيخ الشارقة وسيد مسقط فقط ، لكنه أخيراً إستعان بشيخ عجمان في الوساطة لإتصال ودي بينه وبين الحكومة البريطانية .

علاقات (الوهابيين) بسلطنة عمان ١٨٢٤ – ١٨٣٤م/ ١٢٤٠هـ – ١٢٤٩هـ :

أما العلاقات بين أمير (الوهابيين) وسيد مسقط فقد كانت من جراء بعد المسافة الفاصلة بين حدودهما مستمرة ولكن ببطء شديد . ويبدو أن السيد هو الذي أخذ زمام المبادرة بهذا الصدد حين أرسل في سنة ١٨٣١م وفداً محملاً بالهدايا إلى الرياض يطلب مساعدة (الوهابيين) في إخضاع البحرين .. واستغل الأمير هذا الطلب لصالحه كي يخضع شيخ البحرين ويفرض عليه الجزية . وفي سنة ١٨٣٣ وضح ضغط (الوهابيين) مرة أخرى في سلطنة عمان ، ففي هذه السنة أرغم حاكم مسقط على التفاهم مع القائد (الوهابي) سعد بن مطلق ، وكانت شروط الإتفاق بينهما تقضي بأن يدفع السيد خمسة آلاف روبية في السنة كزكاة أو جزية لأمير (الوهابيين)، وأن يساعد كل من الطرفين الآخر في القضاء على الإضطرابات الداخلية والتمرد ، واعترضت السلطات البريطانية على هذا النص الأخير لكن السيد طمأنه مؤكداً إنه لن يلتزم بهذا الشرط إلا بقدر مايتسق مع رغبات البريطانيين تماماً.

علاقة الأمير تركي بالحكومة البريطانية ١٨٢٤ ـ ١٨٣٤ م/ ١٢٤٠هـ ـ ١٢٤٩هـ :

إقتصرت علاقة الأمير تركي خلال مدة حكمه بالسلطات البريطانية في الهند على حادثة واحدة ففي منتصف سنة ١٨٣١م تقريبا تلقى حاكم بومباي رسالة من أمير (الوهابيين) عن طريق شيخ عجمان جاء فيها رغبته في " تجديد المعاهدة التي عقدت بينكم ، الحكومة البريطانية ، وبين الأمير سعود "[1] وعقب وصول هذه الرسالة دار البحث في وثائق حكومة الهند للعثور على معاهدة عقدت مع الوهابيين، ولم يسفر البحث عن شيء . وأخيراً تلقى الأمير رداً عاماً بروح ودية من السلطات البريطانية عن طريق المقيم البريطاني في الخليج .

فيصل بن تركي (الفترة الأولى من حكمه)

١٨٣٤ –١٨٣٨ م/ ١٢٥٠ – ١٢٥٤هـ

التاريخ العام ، وعلاقات الأمير بالمصريين

١٨٣٤ –١٨٣٨ م/ ١٢٥٠ – ١٢٥٤هـ

تولي فيصل ١٨٣٤ / ١٢٥٠هـ :

وحين وقع إغتيال الأمير تركي كان إبنه فيصل منهمكاً في الدفاع عن إقليم الأحساء ضد عدوان شيخ البحرين لكنه عاد مباشرة إلى الرياض حيث حاصر مشاري القاتل الذي تولى الحكم في قلعة الرياض . ولم يمضي وقت طويل حتى إستطاع فيصل بمساعدة بعض حامية القلعةالمحاصرة أن يدخلها في الليل ويعمل

---

(١) مايدل على الجهل الذي كان سائداً في ذلك الوقت بالنسبة لما يجري في وسط الجزيرة العربية ماجاء في خطاب حكومة بومباي أشار إلى سعود الذي مات منذ ١٧ عاماً فقط والذي ينتمي إلى نفس جيل فيصل بأنه " جدكم العظيم ...."

السيف في مشاري وعشرين رجلاً من أنصاره المقربين . وكان أحد الذين عاونوا فيصلاً في هذا العمل ـ وتقول الروايات إنه هو الذي ذبح مشاري بيده ـ عبد الله بن علي بن رشيد الذي عينه الأمير (الوهابي) فيما بعد محافظاً أو وكيلاً باسمه في جبل شمر[أ] .

وأصبح من ذلك الوقت مؤسس الأسرة التي تحكم شمال نجد في الوقت الحالي[ب] واستعاد فيصل الإعتراف الكامل به أميراً على (الوهابيين) وكان في ذلك الوقت في الأربعين من عمره.

---

*[أ] لم تذكر المصادر المحلية أكثر من ستة من القتلى مع مشاري وقد لعب عبد الله بن رشيد دور كبير في مساندة فيصل بن تركي وقد كان إلى جانب فيصل ولم يكن مع مشاري بن عبد الرحمن أو سانده ، أنظر بن بشر – عنوان المجد جـ٢ ص٦٥ ، ٦٧.

*[ب] ألف لوريمر هذا الكتاب في مطلع القرن الرابع عشر الهجري العشرين الميلادي وإمارة آل رشيد لازالت قائمة في حائل.

المصريون يستعيدون سيطرتهم الفعلية على نجد .

١٨٣٥- ١٨٣٨ م/ ١٢٥٠- ١٢٥٤هـ:

ولم يكن محمد علي باشا مصر قانعاً بهذه السيطرة الإسمية التي قللت الأحداث الأخيرة في نجد من قدرها ، فبدأ يعد العدة عقب تولي فيصل مباشرة لإستعادة سيطرته الفعلية . وكانت الخطوة الأولى في هذا الإتجاه هي تعيين تاجر بحريني جابياً للضرائب في ميناء القطيف التابع (للوهابيين) في الأحساء بأمر من أحمد باشا حاكم الحجاز ، لكن هذا العمل الذي يبدو أنه لم يكن إلا إختباراً وجساً للنبض قد أحبطته قوات فيصل بعمل حاسم كما هو مذكور في تاريخ الأحساء ، حين أرغمت الشيخ الذي عينه المصريين في القطيف على التماس الفرار. وفي سنة ١٢٥٢هـ /١٨٣٦م كانت قوات مصرية كبيرة قد تمركزت في المدينة ، وطلب محمد علي من فيصل أن ينضم بقواته إليها في حملة على عسير . لكن فيصلاً تعلل بمرضه ، وأرسل شقيقه يعتذر عنه ومعه هدية من الخيول ، وكان من المعتقد على أية حالة أن فيصلاً قد أرسل معونته سراً إلى القبائل التي تعارض المصريين في الجنوب . وعمد محمد علي إلى إبدال الأمير فيصل بأمير آخر أكثر خضوعاً له فأطلق صراح الأمير خالد شقيق الأمير السابق عبد الله من سجنه بالقاهرة ، وأرسله مع إسماعيل بك يقود قوة مصرية لتساعده في الحصول على السلطة . ويبدو أن الأمير خالداً كان له بعض الأنصار والمؤيدين في نجد ، وفزع فيصل من هذه الأعمال ، فسارع بإرسال الرسل وخطابات الخضوع والولاء لباشا مصر ، لكن الوقت كان متاخراً جداً . وفي سنة ١٨٣٧م ، وبمعونة قوة مصرية قوامها من ١٠٠٠ إلى ١٥٠٠ فارس و٥٠٠ جندي من المشاة مزودين بإثنى عشر مدفعاً وأربعة هاون ، إحتل خالد القصيم وهزم فيصل في معركة بالقرب من الرياض ، وحين ارتد الأمير مهزوم إلى قلعته بالرياض وجد أن بعض أنصار خالد قد احتلوها في غيبته . ووصل خورشيد باشا على رأس قوات جديدة من مصر وأصبح هو القائد العسكري العام في نجد .

إستسلام فيصل ونفيه ١٨٣٨م/ ١٢٥٤هـ :

أما الأمير فيصل فقد تراجع إلى إقليم الخرج وعزز موقعه في الدلم لكنه سرعان ماحوصر هناك بثلاث قوات الأولى يقودها خورشيد باشا والأخرى يقودها شريكه خالد ، والثالثة أحد شيوخ العرب من أعدائه . وحين وجد فيصل ألاجدوي من المقاومة إستسلم بعد فترة قصيرة ونقل إلى القاهرة في ديسمبر ١٨٣٨ م/ رمضان ١٢٥٤هـ.

وضع (الوهابيين) في شرق الجزيرة

١٨٣٤– ١٨٣٨ م/ ١٢٥٠– ١٢٥٤هـ

علاقة (الوهابيين) بالبحرين ١٨٣٤ ـ ١٨٣٨ م/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥٤ هـ :

وفي غمرة الإضطراب الذي أعقب قتل الأمير تركي في ١٨٣٤ إنتهز شيخ البحرين الفرصة فضم إليه جزيرة تاروت التي كانت تابعة (للوهابيين) . وفي سنة ١٨٣٥م حاول فيصل إستعادة الجزيرة بقوة أرسلها لكن محاولته فشلت وعاد شيخ البحرين يواصل حصاره البحري لميناء القطيف الذي كان قد رفع عنه الحصار. وفي سنة ١٨٣٦م بذل الوكيل (الوهابي) في البحرين بأوامر من سيده محاولات كثيرة لإغراء سيد مسقط وبعض القبائل العربية على الساحل العربي بمهاجمة البحرين من البحر باسم (الوهابيين) . لكن حاكم مسقط أجاب بأنه غير مستعد للمساهمة في مثل هذا العمل دون معرفة الحكومة البريطانية وموافقتها . وهكذا انتهى الأمر إلى لاشئ. وبعدها مباشرة تم الصلح بين الأمير (الوهابي) وشيخ البحرين حين أصبح كلاهما في خطر : الأول من خطط القوت المصرية ، والثاني من محاولات الحكومة الإيرانية . وتمت الهدنة بين الطرفين بمقتضى معاهدة نصت على أن يدفع الشيخ جزية قدرها ٢٠٠٠روبية للأمير كل سنة . وتعهد فيصل من ناحيته بحماية البحرين ضد أي عدوان خارجي ، وبألايتطلب معاونة شيخ البحرين

إذا تقدم بنفسه لمهاجمة سيد عمان . وفي سنة ١٨٣٨م أعدم عمرو بن عفيصان والي (الوهابيين) في الأحساء ثلاثة شيوخ من عماير بني خالد ممن كانوا يؤيدون القوات المصرية فيما كانت تلك القوات تواصل تقدمها الآن بسرعة نحو الأحساء ثم التجأ الحاكم (الوهابي) إلى شيخ البحرين .

علاقة (الوهابيين) بسلطنة عمان ١٨٣٤ – ١٨٣٨م / ١٢٥٠ -١٢٥٤هـ :

وقد سبق أن أشرنا إلى المحاولة التي قام بها (الوهابيون) في سنة ١٨٣٦ لجر سيد مسقط إلى القيام بعمل لحسابهم ضد البحرين، وفي نفس السنة سقطت مدينة صحار في الباطنة بين يدي حمود المتمرد على سيد عمان، واستعان هذا بسعد بن مطلق ممثل (الوهابيين) في عمان، وتم الإتفاق بينهما على أن يقوم سعد بعملياته على صحار من جهة البر، على حين يحاصرها السيد بحراً، لكن بفقدان الثقة الذي دب فجأةً بين الحليفين جعل سيد عمان يتراجع عن هذا الإتفاق قبل القيام بأي عمل ضد صحار.

فترة خلو عرش (الوهابيين) ١٨٣٨– ١٨٤٠م / ١٢٥٤ – ١٢٥٦هـ

القوات المصرية تحتل نجداً والأحساء للمرة الثانية

١٨٣٨ – ١٨٤٠م / ١٢٥٤ – ١٢٥٦هـ

الإدارة المصرية المباشرة :

بعد نفي الأمير فيصل ، إتخذ قائد القوات المصرية التي وصل عددها آنذاك ما بين نظاميين وغير نظاميين إلى حوالي ثلاثة آلاف رجل مقر قيادته في السليمية بإقليم الخرج ، وأرسل ٣٠٠ رجل من قواته غير النظاميين إلى الأحساء حيث انقسمت حاميات صغيرة في مواني القطيف وسيهات والعقير . وكان وضع خالد الذي كان منذ البداية دمية في أيدي القوات المصرية قد أصبح الآن غير محدد، فرغم أن المصريين كانوا في تعاملهم مع الدول المجاورة يزعمون أنهم موجودون

فقط لتأكيد الحقوق الشرعية للأمير (الوهابي) ، ورغم أنهم أقاموا إحتفالاً كبيراً بتنصيب الأمير خالد وخلعوا عليه ثوب الشرف ، إلا أن خورشيد باشا كان مصراً على أن يجعل الأمر كله بين يديه ، وعلى أن يعلن سيطرة سيده محمد علي المطلقة على كل نجد .

سياسة الحكومة المصرية وتعارضها مع المصالح البريطانية :

وكانت خطة الحكومة المصرية هذه المرة أبعد مدى مما كانت عليه في ١٨١٨ ـ ١٨١٩م ، ويبدو أن هدفها لم يكن أقل من إخضاع كل شرق الجزيرة ووسطها ثم وضع اليد لاحقاً على إقليم العراق التركي . وواضح أن التأكيد الذي قدمه محمد علي لممثل بريطانيا السياسي في القاهرة سنة ١٨٣٨م بألا يمد سلطته باتجاه الخليج لم يكن يلزم قواده ، مما أثار معارضة بريطانيا التي أدت في النهاية ـ وكما سنرى ـ إلى إفشال العمل كله .

وكانت السلطات البريطانية تنظر إلى ازدياد قوة محمد علي في أوروبا بعدم الرضا[1] ، أما في منطقة الخليج فقد كانت هذه السلطات تعتقد أن النفوذ البريطاني

---

(١) من الضروري هنا أن ننتقل إلى إستعراض سريع للموقف في أوروبا – لم يؤدي تولي محمود الثاني عرش تركيا رغم اتجاهاته الإصلاحية التي قيضت للإمبراطورية العثمانية أن تستمر حتى تاريخه إلى منع الكارثة تماماً ففي سنة ١٨١٢م إستولت روسيا على إقليم بيساربيا الواقع بين إقليم الدنيثتر والدانوب . وفي سنة ١٨٢٠ م حين كان الباب العالي منهمكاً في القضاء على تمرد باشا جنينا في اليونان وقد طلب السلطان عون نائبه محمد علي الذي كان قد إستطاع تعزيز سيطرته على مصر خلال السنوات الحرجة التي أعقبت جلاء الفرنسيين عنها وقد أصبح له أسطول بحري أقوى من أسطول السلطان نفسه إلى جانب جيش قوي منظم تنظيماً جيداً على النسق الأوروبي . وبسرعة تحرك إبراهيم باشا قائد القوات المصرية فأخضع كريت واليونان تماماً كما أخضع القصيم ونجداً . فاستولى على كريت في سنة ١٨٢٤م ، ثم سقطت ساموس وتبعتها موريا ثم ميسلوني في سنة ١٨٢٦ م ، وأخيراً الأكروبول وأثينا في سنة ١٨٢٧م . وهنا انقطعت إنتصارات إبراهيم باشا في موقعة نافارينو التي دمر فيها أسطوله البحري تدميراً تاماً على يد أساطيل مشتركة من بريطانيا وفرنسا وروسيا ، وفي العام التالي ، وبعد أن انتهت الحرب بين روسيا وتركيا بمعاهدة أدريانوبل ، حصلت اليونان على استقلالها . وفي سنة ١٨٣١م أرسل محمد علي ـ الذي كان مشغولاً بتوسيع رقعة حكمه ـ جيشاً إلى الشام ، وتبعت ذلك ـــ الحرب بين مصر وتركيا وأوقع إبراهيم باشا هزيمة ساحقة بالقوات التركية عند قونيا بأسيا الصغرى ، وكانت نتيجتها ضم الشام إلى مصر وطروء تقارب بين تركيا وروسيا بمعاهدة انكيار سكلسي في سنة ١٨٣٢ م. وفي سنة ١٨٣٩م ـ ورغم الإصلاحات التي=

سيعاني من ضربة قوية إذا ماأقام المصريون لهم قاعدة دائمة في شرق الجزيرة . وفي فبراير ١٨٣٩م صدرت تعليمات صريحة للمقيم السياسي البريطاني في بوشهر بأن يستخدم كل نفوذه لوقف تقدم القوات المصرية .

مؤمرات[١] القوات المصرية في شرق الجزيرة وعلاقتها بالحكومة البريطانية ١٨٣٨ - ١٨٤٠ م/ ١٢٥٤- ١٢٥٦هـ

علاقة القوات المصرية بالبحرين ١٨٣٨ - ١٨٤٠ م/ ١٢٥٤ -١٢٥٦هـ :

والآن نستطيع الإنتقال لمتابعة بعض الأعمال العدوانية التي بدأت القوات المصرية تشنها من قاعدتها في الأحساء على دول الخليج . ففي أوائل سنة ١٨٣٩ م أفصح خورشيد باشا عن هدفه فيما يتعلق بالبحرين حين طلب من شيخها أن يدفع إليه في كل سنة الجزية التي كان يدفعها للأمير فيصل ، وأن يتخلى له عن جزيرة تاروت وميناء الدمام ، كذلك أيضا تسليمه عمرو بن عفيصان حاكم الأحساء

= أحدثها مولتكة وغيره من الضباط الروسيين على الجيش التركي ــ إستطاع إبراهيم باشا أن يوقع هزيمة ساحقة أخرى بالقوات التركيا في موقعة نصيبين ، وانضم قائد الأسطول التركي بأسطوله كله إلى محمد علي ، غير أن هذا كان أكثر مما تستطيع اوروبا ـ باستثناء فرنسا التي كانت تعطف على محمد علي ــ أن تتحمله . وهكذا إستولت الأساطيل البريطانية والنمساوية والتركية على عكة وأرغم إبراهيم باشا على التراجع من الشام . ونتج عن هذا التدخل الذي لعبت فيه بريطانيا أعظم الأدوار أن أعيدت الشام إلى حكم تركيا ، وخفض الجيش المصري إلى عدد لايزيد على ١٨٠٠٠ ، وأصبح الأسطول المصري موجوداً في ميناء الإسكندرية فقط . لكن محمد علي ـ وهو يعلن خضوعه الرسمي للسلطان ـ أصبح حاكم مصر حكماً وراثياً له ولعائلته .

من هذا الذي سبق يتضح لنا أن تقدم القوات المصرية بوسط الجزيرة سنة ١٨٣٧م إنما كان جزءاً من مخطط كبير ، وأن انسحابهم منها في سنة ١٨٤٠م كان نتيجة فشل هذا المخطط نفسه .

(١) التعابير التي يستخدمها المؤلف مثل (المؤامرات) و(القرصنة) و(التعصب) وغيرها ناشئة عن الشرعية التي يعطيها الإنجليز لوجودهم دون سائر الأمم في الخليج وغيره ، وكأنما بلاد الآخرين خلقت لتكون لهم. وقليلاً مايتصورون أن الحكم الحيادي بالحق على الأمور يجعلهم أكثر المؤهلين لانطباق هذه التعابير عليهم .

(الوهابي) اللاجئ عنده . وطلب الشيخ مرة واحدة حماية بريطانيا ، لكن حكومة الهند التي كانت لاتعرف على وجه التحديد إتجاه الحكومة الأم بالنسبة لمحمد علي لم تستطيع أن تقدم له الضمانات التي طلبها ، حينئذ حاول الشيخ المراوغة في إجابة مطالب الباشا بإعلان تبعته لإيران . وفي إبريل ١٨٣٩م قامت حكومة الهند على مسؤوليتها الخاصة بتفويض الأميرال سير. ف . ميتلاند الذي كان يطوف في الخليج على رأس أسطول بريطاني بأن يحاول منع قائد القوات المصرية من الهجوم على البحرين ، وبأن يقدم لشيخها من المعونات مايستطيع تقديمه دون أن يتورط في اشتباك مباشر مع القوات المصرية . وكان الهدف من هذه التعليمات هو كسب الوقت وإبقاء الوضع على ماهو عليه , وبعدها بأسبوعين أو ثلاثة صدرت أوامر أكثر صراحة وحسماً تفوض الأميرال في ظروف معينة ، وبعد أن يقدم إنذار للقوات المصرية ـ بأن يدافع عن البحرين ضد قوات خورشيد باشا . وخلال زيارة ميتلاند للبحرين قبل صدور هذه التعليمات المحددة وعد الشيخ رسمياً بألايجعل من نفسه تابعاً لأي دولة أجنبية قبل التشاور مع المقيم البريطاني . وفي نفس الوقت كتب خورشيد باشا إلى المقيم البريطاني بهدف استكشاف نوايا بريطانيا بالنسبة لهجومه على البحرين لكنه تلقى فى الرد طلباً بألا يقوم بأية حركة قبل إبلاغ المقيم العام حتى يستطيع أن يتخذ إجراءات حماية الرعايا البريطانيين فى البحرين . وبعدها صدرت تعليمات من الحكومة للمقيم بتحذير الباشا من أى عمل ضد البحرين . لكن شيخ البحرين رغم كل الإجرءات التى إتخذت لتدعيم سلطته دخل سراً في مفاوضات مع المصريين في يوليو ١٨٣٩ م على الأرجح ، وتعهد بموجبها بأن يدفع جزية سنوية قدرها ٢٠٠٠ روبية شريطة إمتناع الباشا عن التدخل في شئون البحرين الداخلية ، وألا يقيم ممثل مصري في الإمارة . ويبدو أن دوافع الشيخ نحو هذا العمل الذي أسخط السلطات البريطانية سخطاً شديداً كانت الرغبة في الخلاص من هذا الموقف الدقيق من ناحية ، وعدم اطمئنانه إلى إستطاعة الحكومة البريطانية أن تقدم له العون ضد الهجوم البري من القوات المصرية على البحرين . وقد وجه المقيم البريطاني إحتجاجاً على هذه الإتفاقية لكل

من شيخ البحرين وقائد القوات المصرية . لكن المسألة لم تتطور أكثر من ذلك وفي العام التالي حين جلت القوات المصرية عن الأحساء لم يعد للإتفاقية أية قيمة عملية على الإطلاق وترد هذه المسائل بتفصيل أشمل في تاريخ البحرين .

علاقة القوات المصرية بعمان المتصالحة ١٨٣٨ - ١٨٤٠ م/ ١٢٥٤- ١٢٥٦هـ :

وفي عمان المتصالحة أيضا أرغمت السلطات البريطانية على أن تتخذ إجراءات ضد تقدم القوات المصرية . فقد التحق سعد بن مطلق الذي عزله الأمير فيصل عن البريمي قبل نهاية حكمه بخورشيد باشا في نجد منذ بداية إحتلال القوات المصرية لها ، وفوضه الباشا بأن يسير إلى عمان المتصالحة ليحصل من الشيوخ المهمين بها على إعلان الخضوع لصنيعته الأمير خالد . ووصل سعد إلى الشارقة في مارس ١٨٣٩م واستقبله الشيخ القاسمي فيها إستقبالاً حافلاً وقدم له بيتاً يستقر فيه ، وقد جاءت معه حامية من جنود (الوهابيين) أراد سعد أن يجعلها في البريمي لكن بني نعيم الذين كانوا يحتلون واحة البريمي في ذلك الوقت ويحظون بتأييد السيد حمود في صحار رفضوا السماح له بذلك ، ورغم نجاح سعد في إغراء شيخ أبو ظبي بتأييده ، إلا أنه كان أضعف من أن يستطيع فرض هذا الأمر بالقوة . وفي هذا الوقت نفسه قام مسئول سياسي بريطاني بزيارة للساحل في صحبة الأميرال سير ف.ميتلاند ووعده شيوخ موانـي ساحل عمان بمقاومة ، ناهيك عن عدم مساعدة . عميل القوات المصرية، ولكن بمجرد رحيل الأسطول مباشرة تسابق شيوخ الشارقة وأبو ظبي إلى كسب رضاه . وفي عمان المتصالحة ـ كما في البحرين تماماً ـ ساد الإحساس بأن القوات المصرية بسبيلها إلى التقدم نحوها . وفي يوليو ١٨٣٩م زار المقيم البريطاني الساحل وحصل على ضمانات كتابية من الشيوخ المهمين بتأييد السياسة البريطانية والوقوف ضد السياسة المصرية ، وقام بإجراءات ـ عن طريق شيخ الشارقة ـ لطرد سعد بن مطلق من البلاد ، كما شجع بني نعيم في البريمي وحضهم على الثبات في موقفهم ، وفي نفس الوقت أبلغ وكيل القوات المصرية أن بني نعيم قد أصبحوا تحت الحماية البريطانية وحين أدت هذه

الإجراءات إلى إحباط خطة سعد بن مطلق إضطر للرحيل من الشارقة إلى العقير بعد أن حمل من جزيرة قيس حوالي ٤٠٠ رأس من الغنم وأشياء أخرى ، ولكن يبدو أنه لم يستطع الإحتفاظ بثقة المصريين الذين يعمل لأجلهم لأنه ألقي به في السجن فور عودته ثم نقل إلى الرياض . ونتيجة لهذه الأحداث أصدرت السلطات البريطانية تحذيراً لأهل القطيف بأن أية حملة من الأحساء على أي ميناء من موانئ ساحل عمان ستقاومها القوات البريطانية في الخليج .. وفي يناير سنة ١٨٤٠م زار المقيم ساحل عمان المتصالحة مرة أخرى ورتب في عجمان حلفاً دفاعياً ضد كل الأعداء بين بني نعيم والدواسر[أ] في واحة البريمي . كما زار ضابط بريطاني أيضا البريمي . ومعظم هذه الإجراءات واردة بتفصيل أكثر في تاريخ ساحل عمان المتصالحة .

علاقة القوات المصرية بالشغب في عمان :

وواصلت القوات المصرية أعمال الشغب التي كان يقوم بها أسلافهم (الوهابيين) ضد سيد مسقط ، بل إنهم استخدموا لذلك أيضا بعض العملاء الذين سبق أن عملوا (للوهابيين) مثل سعد بن مطلق ورجل آخر يعرف باسم بن بطال[ب]. وكان السيد يود فى البداية أن يرتبط بالمصريين مؤملا أن يستولى من خلالهم على حكم البحرين لكنه أخيراً رضى لوجهة نظر حكومة الهند فجعل مراسلاته مع المصريين حسب ما تشير به هذه الحكومة . وقد كان للصلح الذى توسط البريطانيون فى عقدة بين السيد وقريبه حمود فى سنة ١٨٣٩م علاقة بخطر القوات المصرية ، وفى هذه المعاهدة إرتبط حاكم عمان بمساعدة حمود الذى كان عدواً عنيداً لمحمد علي ضد كل أعدائه .

---

*(أ) الشوامس وليس الدواسر وهم فرع من بني نعيم بواحة البريمي . عبد العزيز إبراهيم – صراع الأمراء : ص ١١٤

*(ب) سعد بن مطلق هو ابن القائد السعودي في عمان في عهد الدولة السعودية الأولى مطلق المطيري وأما بن بطال فهو محمد بن يتال المطيري من ولاة البريمي من قبل الدولة السعودية الأولى في نواحي عمان

علاقة القوات المصرية بالكويت :

وكانت الكويت من أبعد الأماكن التي أرسلت إليها القوات المصرية بعثات منها بعد وصولها إلى شواطئ الخليج . ويبدو أن الهدف من تعيين ممثل مصري في الكويت كان هدفاً سياسياً له علاقة ما بخطة غزو العراق ، ولم يكن الرجل مجرد رجل مسئول عن توفير المؤن للقوات المصرية كما كان في الظاهر . وكان شيخ الكويت يعطي مكان الصدارة لهذا الممثل المصري في كل مجالسه ، وربما كان وجود هذا الممثل هو السبب في شيء من سوء المعاملة من شيخ الكويت لمساعد المقيم البريطاني في سنة ١٨٣٩م ، وهذه حادثة مذكورة بتفاصيلها في تاريخ الكويت.

جلاء القوات المصرية عن نجد والأحساء

١٨٤٠ م/ ١٢٥٦هـ

وإلى جانب المعارضة القوية من جانب الحكومة البريطانية لخطط الحكومة المصرية وطموحاتها التوسعية ، لقي المصريون صعوبات كثيرة من أهل البلاد التي احتلوها بالفعل ، وفي أوائل سنة ١٨٤٠م بدأت قواتهم حركة تراجع ، وأطلق بعض العرب في الهفوف النار على الحاكم المصري في الأحساء فقتلوه [أ] وأصبح من الضروري إستدعاء قوة صغيرة كانت قد أرسلت ضد بني نعيم في قطر . وكانت قبيلة عجمان التي سجن المصريون شيوخها لكنهم كثيراً ماكانوا يستطيعون الهرب تعادي القوات المصرية عداءً عنيفاً ، وبدأت خطوط المواصلات

*(أ) الحاكم المصري هو محمد أفندي رفعت تولى مسئولية الأحساء والمفاوضة مع حاكم البحرين عبد الله بن أحمد حتى استجاب لرغبة القائد المصري خورشيد باشا لتوقيع إتفاقية ولاء لمحمد علي باشا وخالد بن سعود على أن يدفع نفس المبلغ الذي كان يدفعه للأمام فيصل بن تركي ، أنظر محمد نخله – تاريخ الأحساء ، ص: ٨٦ – ٩٠

تصبح مهددة بالأخطار .. بل وحتى ثرمدا التي نقل إليها الباشا مقره لم تكن تصلها الإمدادات إلا بحراسة ثقيلة .

وأضيف إلى هذه الصعوبات المحلية التي كان يواجهها الباشا سوء علاقته بمحمد[١] نتيجة غيرة هذا الأخير منه ، فلم تعد تصله الإمدادات عن طريق البحر كثيراً . ووصلت سفينة واحدة فقط إلى القطيف في نوفمبر ١٨٣٩م بدل أربع سفن كان الباشا ينتظرها منذ وقت غير قليل . وفي مايو ١٨٤٠م حين كانت البحرية البريطانية تحاصر مواني القوات المصرية في القطيف وسيهات وعقير ، جاءت الأخبار بانسحاب الجزء الأكبر من القوات المصرية في نجد . وقد سبق انسحاب القوة جولة قام بها خالد مصحوباً بفرقة من الجنود المصريين في أقاليم الداخل ليحصل على تأييد الشيوخ الذين سيحكمهم وحده بعد ذلك . وقوبل أمر الإنسحاب في الأحساء كما قوبل من قبل سنة ١٨١٩م بمظاهرة من الضراوة والجشع من جانب الضباط المنسحبين ، وقتل برغش ، أحد شيوخ بني خالد إنتقاماً لقتل محمد أفندي . وكان من المفروض أن تظل نجد بعد ذلك خاضعة عن طريق خالد للحكم المصري في المدينة ، ولتمكين الموظف المصري من تعزيز سيطرته تركت له قوة قوامها ٨٠٠ رجل ثلثاها من المشاة .

خالد بن سعود ١٨٤٠ ـ ١٨٤٢ م/ ١٢٥٦ ـ ١٢٥٨هـ

التاريخ العام والداخلي

ضعف مكانة خالد :

كانت فترة حكم خالد الذي كان مكروهاً عموماً لأنه صنيعة المصريين ولأنه أيضا لم يكن في كفاءة الحكم فترة قصيرة مليئة بالإضطراب ، وقد اهتزت سلطته في البداية بسبب الشائعات التي ذكرت أن الأمير السابق فيصل بن تركي قد

---

[١] المقصود طبعاً هو محمد علي باشا .

هرب من مصر أو أنه قد أطلق سراحه عندما وصلت أخبار التراجع الذي أرغمت عليه القوات المصرية في الشام ، كذلك قدم الباب العالي مطالبه بالسيادة على نجد ، وأعلن خالد الذي كان يعمل بنصيحة خورشيد باشا ولاءه للسلطان وأرسل إليه الهدايا . لكن السلطان الذي كان يعرف أن هذه كلها مناورات من جانب المصريين سرعان ماسيتخلون عنها في أقرب فرصة ـ بادر بتعيين وال تركي لوسط الجزيرة. ولم تتلق القوات المصرية التي يعتمد عليها خالد رواتبها لمدة طويلة فسادها السخط إلى جانب أن أعراب البلاد كانوا يغارون منهم ويعتقدون أن الأمير (الوهابي) يجب أن يعتمد حكمه على رجال بلده فقط .

زيارة الأمير للأحساء ١٨٤١ م/ ١٢٥٧هـ :

وفي أكتوبر ١٨٤١ م وبرغم هذه الصعوبات سار الأمير خالد إلى الأحساء وبدا أنه يعد الحملة على عمان ، وأنذرته السلطات البريطانية بعدم القيام بمثل هذا العمل وبادرت بإرسال ضابط بريطاني إلى الهفوف كما سيلي .

تمرد عبد الله بن ثنيان سبتمبر ١٨٤١ – إبريل ١٨٤٢ م/ ١٢٥٧ ـ ١٢٥٨هـ :

لكن تفكير الأمير في هذا التوسع الخارجي إن كان قد فكر فيه فعلاً سرعان مابدده التمرد في الداخل الذي تزعمه أحد أقربائه البعيدين وهو عبد الله بن ثنيان يعضده تركي آل الهزاني أحد الشيوخ المتنفذين في إقليم الخرج بنجد . وكان هذا الغريم قد فر إلى الكويت حين أحس بأن خالداً يشك فيه ، لكنه عاد في سبتمبر سنة ١٨٤١م إلى وسط الجزيرة واستولى فيما يبدو على ضرمة والحاير ومنفوحة وعرقة، وحصل على الأموال اللازمة للحرب بمصادرة ضياع شيخين من أثرياء المنطقة كانا يعارضانه فأمر بإعدامهما ، وانضمت إليه قبيلة السهول وغيرها من القبائل ، واستطاع أن يضمن الحياد إن لم يكن التأييد من قبائل العجمان وآل مرة وسبيع ، لكن ظلت قبائل عنزة ومطير وبنو هاجر مؤيدة للأمير خالد . وفي ديسمبر سنة ١٨٤١م وجد عبد الله نفسه في وضع جعله يهدد الرياض لكنه تراجع عنها عقب اشتباك خفيف ، وكان له أنصار كثيرون في المدينة نفسها فتحوا له

أبوابها الجانبية في نفس اليوم بعد هبوط الظلام فدخلها وأعلن نفسه أميراً على نجد. وسقط قواد جيش خالد بين يديه فأعدم ثلاثة منهم ، لكنه استبقى أحدهم ويدعى عمرو بن عفيصان لعله هو الذي كان يحكم الأحساء في عهد الأمير السابق فيصل، وفر الأمير خالد إلى الأحساء ، وأعلن كما سبق أن فعل من قبل بأنه سيجلي القوات المصرية التي تجعل كبار أنصاره ساخطين عليه ، لكنه تخلى عن وعده مرة أخرى فتحول أهل الهفوف بولائهم إلى عبد الله بن ثنيان . ووجد خالد نفسه مرغماً على الفرار إلى القطيف حيث لحقت به قواته . ولكن طارده فيها أيضا الشعور الشعبي المعبأ ضده بشكل عام فتخلى عنه كثيرون من أنصاره . وبعد أن طرد خالد جنوده من المرتزقة لجأ إلى الدمام عند مبارك ابن شيخ البحرين . ومن الدمام قام خالد بزيارة لخور حسان في قطر حيث أعد له شيخ البحرين إستقبالاً هائلاً ، لكن المحاولات التي جرت باسمه في الهفوف والعقير باءت بالفشل ، وأخيراً إضطر للإنسحاب إلى الكويت بهدف مواصلة صراعه ناحية القصيم حيث كان له بعض الأنصار (أ)

علاقة الأمير خالد بالمشيخات العربية

١٨٤٠ – ١٨٤٢ م/ ١٢٥٦ – ١٢٥٨هـ

علاقته بعمان المتصالحة :

كانت علاقات الأمير خالد بالدول العربية الأخرى فى شبة الجزيرة علاقات بسيطة وقاصرة بالفعل على عمان المتصالحة . و لاشك فى أن بعض مشايخ هذه الإمارات بدأوا مراسلته والإتصال به ومنهم شيخ الشارقة . فقد استطاع بنو نعيم

*(أ) عندما سيطر بن ثنيان على الرياض سنة ١٢٥٧هـ كان خالد بن سعود في الأحساء وعاد من كان معه من رجاله إلى الرياض وأما خالد فقد اتجه من الأحساء لينزل في ضيافة أمير البحرين ثم اتجه إلى الكويت ومنها اتجه إلى القصيم واستقر به المقام في مكة وبقي بها حتي توفى (ابن بشر عنوان جـ٢ صـ١٢٤.

فى البريمى أن يحصلوا على خطاب منه للأمير خالد بشأن خطة عمل ضدهم هناك سنة ١٨٤١م . وفى أكتوبر من نفس السنة يبدو أن خالداً كان يعد حملة على البريمى ولكن لوصح هذا فإن التمرد الذي حدث هو الذي منعهم من القيام بها وهو الذي أدى به في النهاية إلى الطرد من أرضه كلها.

علاقة الأمير خالد ببريطانيا العظمى

١٨٤٠ - ١٨٤٢ م/ ١٢٥٦- ١٢٥٨هـ

وجه خالد في أوائل حكمه خطاباً إلى مساعد المقيم البريطاني في البحرين يشير فيه إلى رغبته القوية في أن تتجدد (علاقات الود والصداقة التي كانت قائمة بين أبيه سعود والحكومة البريطانية) ، وأشار إلى أنه كان يود أن يتخذ هذه الخطوة من قبل لكن محمد علي كان يمنعه منها .

مهمة الملازم جوب ١٨٤١ م/ ١٢٥٧هـ :

أما فيما يتعلق بعمان المتصالحة فقد كان موقف خالد منها غامضاً كما ذكرنا من قبل ، وانتهز المقيم فرصة التعليمات الصادرة إليه من حكومته بأن يراقب حركة الأمير جيداً وأن يحذره إذا اقتضت الضرورة من أن أي عمل لغزو عمان سيلقي مقاومة السلطات البريطانية ، فأرسل ضابطاً هو الملازم جوب لمقابلة الأمير في الهفوف وشرح الموقف له. أما حكومة الهند التي كانت ترى ألايعامل خالد بالشدة نفسها التي تعامل بها القوات المصرية فكانت تميل إلى الشك في أن هذا المبعوث سيستطيع أن يحقق شيئاً ، لكنه استطاع أن يرجع بتأكيد صريح من الأمير بانه لاخطط لديه ضد عمان على الإطلاق ، كذلك رجع الملازم جوب أيضا

ببعض المعلومات الجغرافية الهامة التي سجلها في رحلته من العقير إلى الهفوف ومن الهفوف إلى القطيف في نوفمبر ١٨٤١م [١] .

عبد الله بن ثنيان

١٨٤٢ -١٨٤٣م / ١٢٥٧- ١٢٥٩هـ

الحالة الداخلية ١٨٤٢ ـ ١٨٤٣ م/ ١٢٥٧ ـ ١٢٥٩هـ :

كانت فترة حكم عبد الله بن ثنيان الذي نجح في تمرده فترة قصيرة وعاصفة أيضاً . ففي الأحساء سرعان ماأثارت شدة الضرائب حفيظة الأهالي الذين كانوا في البداية يؤيدونه بشكل عام ، وظلت قبائل البدو في هذه الناحية على موقفها العدائي منه . أما الأمير السابق خالد فقد هدد بهجوم من ناحية القصيم . وفي مارس سنة ١٨٤٣ ظهر الأمير السابق فيصل أيضاً وكان قد استعاد حريته بالفعل في ذلك الإقليم وأصبح مصدر خطورة أكثر من خالد . وفي يونيو سنة ١٨٤٣م سار فيصل جنوباً دون أن يلقى مقاومة حتى حاصر عبد الله في عاصمته الرياض التي أرغم على التراجع إليها مع حفنة قليلة من أنصاره ، وسرعان ماأرغم عبد الله على الإستسلام له . وقد عرض فيصل في البداية على خالد أن يشترك معه في عملياته لكن هذا الرجل الواحد الذي لاحول له رفض العرض وتراجع إلى المدينة . وبعدها لم يعد التاريخ يعرف عنه شيئاً . وفي هذه العمليات لقي الأمير فيصل مساعدة ذات قيمة كبيرة من واليه المخلص له في جبل شمر : عبد الله بن علي بن رشيد .

---

(١) مختارات بومباي . مجلد ٢٤ . ص١١١ ـ ١١٥ . وأوضح أن الملازم جوب كان أول أوروبي يسافر من العقير إلى الهفوف على الإطلاق ، وأول من سافر بين الهفوف والقطيف بالطريق العادي.

علاقاته بالبحرين

١٨٤٢ – ١٨٤٣م / ١٢٥٧– ١٢٥٩هـ

حدث فى ١٨٤٢م خلاف بين الشيخين المشتركين فى حكم البحرين ، وقام أكبرهما بطرد الأصغر محمد بن خليفه من البحرين فسار إلى الرياض حيث نجح فى أن يستثير إهتمام أمير (الوهابيين) بقضيته ، فقام الشيخ عبدالله شيخ البحرين بحصار الساحل (الوهابى) ؛ واستولى مؤقتاًعلى العقير وسمح للمهاجرين الساخطين من سيهات باللجوء إلى واحة القطيف . وفى أبريل ١٨٤٣م استطاع محمد بدوره أن يطرد الشيخ عبدالله من البحرين فأقام هذا فى الدمام على ساحل الاحساء . ولم يكن أمير (الوهابيين) فى وضع يمكنه من التدخل تدخلاً فعالاً فى هذا الأمر .

خططه في عمان المتصالحة

١٨٤٢ – ١٨٤٣م / ١٢٥٧– ١٢٥٩هـ

وعلى الرغم من ضعف الأمير (الوهابي) في ذلك الحين ، فلم يكن يليق بشرفه ألايزعم سيادته المطلقة على إقليم عمان البعيد . وقد حقق عبد الله هذا الإلتزام بأن ابلغ شيوخ الساحل المتصالح أن في نيته جعل سعد ابن مطلق ممثلاً له في البريمي ، لكن شيوخ البريمي ـ وكانوا ممن وجه إليهم هذا التبليغ ـ أعلنوا مباشرة أنهم في حماية الحكومة البريطانية أملاً منهم في أن هذا الإعلان سيبعده عن التدخل في شئونهم ، غير أنهم إنقسموا على أنفسهم ، وكانت مراسلات بعضهم السرية مع أمير (الوهابيين) كما يقال تكتب بلهجات ومضامين مختلفة .

علاقاته بالحكومة البريطانية

١٨٤٢ - ١٨٤٣ م/ ١٢٥٧- ١٢٥٩هـ

إستطاع المقيم البريطاني في الخليج ان يضع يده على كل الخطابات التي أرسلها الأمير عبد الله إلى شيوخ عمان المتصالحة عدا خطاب واحد كان الأمير قد أرسله إلى شيخ أبو ظبي ، وكانت هذه الخطابات موضوع إحتجاج من المقيم على عمل (الوهابيين) ، وكانت حجة المقيم في ذلك هي أن نفوذ (لوهابيين) على هذه المنطقة فيما سبق أدى إلى إنتشار (القرصنة) على شواطئها مما أدى بدوره إلى ضرورة قيام السلطات البريطانية بإجراءات تأديبية تجاهها . وأجاب عبد الله رداً على ذلك بتأكيد رغبته في التعاون مع الحكومة البريطانية لقمع (القرصنة) ، وذكر أيضاً أنه إتصل بأهل عمان المتصالحة بهدف كفهم عن الإشتباك في أعمال عدائية بحرية ، غير أنه لوحظ أنه أشار في خطابه لأهل عمان المتصالحة على أنهم من رعاياه .

فيصل بن تركي (فترة الحكم الثانية)

التاريخ العام والداخلي

١٨٤٣ - ١٨٦٥ م/ ١٢٥٩-١٢٨٢هـ

حياة فيصل وخلقه :

أشرنا إلى الطريقة التي تولى بها فيصل الحكم مرة ثانية ، وكانت فترة حكمة هذه في الداخل عادية بغير حوادث ذات بال .

لقد كان فيصل يتميز بالوقار والقدرة على ضبط النفس ، وكان يلقى الإحترام لعدالة الأحكام التي يصدرها ، لكنه مرهوباً أيضاً إلى أقصى حد خاصة من البدو لقسوته التي لاحدود لها . وكانت مشاعر رعاياه نحوه كما كانت من قبل

نحو سعود أشهر أسلافه مزيجاً مختلطاً من الكراهية والإعجاب . وقد فقد فيصل في أواخر عمره بصره وكثيراً من صلابته لكن إمكاناته العقلية ظلت كما هي . وظل هو لفترة طويلة يمسك بكل شيء بين يديه . وفي يونيو ١٨٦٥م هاجم الشلل الأمير فيصل ومات في ٢ ديسمبر التالي بالرياض [أ]. وقيل أن الكوليرا كانت السبب المباشر في وفاته .

الإدارة الداخلية في نجد ١٨٤٣ - ١٨٦٥م / ١٢٥٩- ١٢٨٢هـ:

ويبدو ان فيصلاً كان يسيطر على الأرض الخاضعة له سيطرة تامة وقد أوضح منذ السنة الأولى لحكمه تصميمه الحاسم على حماية الحجاج الذين يذهبون كل سنة لزيارة الأماكن المقدسة من إعتداءات البدو في الطريق ، وكان في سجنه بالرياض دائماً عدد ليس قليل من معارضيه السياسيين ذوي السلطة والنفوذ . وكان يحكم على كبار معارضيه بالإنتقام أحياناً وأحياناً يحكم بعقوبات أقل وطأة مثل النفي إلى القطيف [ب]. وكانت هذه العقوبة تعد عند اهل وسط الجزيرة قاسية لأنها قد تعني الموت بالحمى . وفي سنة ١٨٤٨م ، أو خلال السنوات القليلة التالية إستعاد الأمير معظم إقليم القصيم الذي خرج على جبل شمر لكنه لم يستطع الإستيلاء على مدينة عنيزة . وقام الأمير بمحاولات أخرى لإخضاع هذه المدينة في سنتي ١٨٥٣م و ١٨٦٢م بلا جدوى .

حكم الأحساء ١٨٤٣ - ١٨٦٥ م/ ١٢٥٩- ١٢٨٢هـ:

وفي الأحساء حيث كان الأهالي بعيدين عن تقبل العقيدة (الوهابية) إعتمد حكم (الوهابية) أساساً على التخويف والإرهاب . وفي هذا الإقليم حيث كانت حركات التذمر تندلع بين الحين والحين لم تكن أخلاق المسئولين (الوهابيين) فوق مستوى الشبهات ، وكانت أساليبهم تتسم بالتعسف . وفي سنة ١٨٥١م قام فيصل

*[أ] توفي الأمير فيصل في ٢١ رجب ١٢٨٢هـ ، أنظر إبراهيم بن عيسى ، كتاب عقد الدرر صـ٤٩

*[ب] لم أعثر على أي مرجع أشار إلى عقوبة النفي إلى القطيف سوى هذا المرجع .

نفسه بزيارة لواحة الأحساء والصحراء الممتدة جنوبها ، وأوقع العقاب بقبائل البدو التي كانت تقطع طريق التجار والحجاج ، ومايزال إسمه يذكر حتى اليوم على أنه الأمير الوحيد الذي استطاع أن يقهر قبيلة آل مرة في أرضهم بنجاح . وقد قيل إن حالة جنوده (الوهابيين) حين استطاعوا أخيراً أن يرغموا آل مرة على الإستسلام في صحراء الجافورة كانت لاتسمح للأمير إلا بمجرد الإستقرار الشكلي فيها .

الدخل :

وبلغ الدخل السنوي الكامل للدولة (لوهابية) بما فيها الأحساء في سنة ١٨٦٥م مثلاً ٨٠٠ ألف روبية كان ستة أسباعها من السكان المستقرين في المدن .

علاقات الحكومة (الوهابية) مع الدول المجاورة

في الجزيرة العربية ١٨٤٣ – ١٨٦٥م / ١٢٥٩– ١٢٨٢هـ

كان طبيعياً مع استتباب الأمن والنظام في الداخل ووجود مصادر كافية للحكومة أن تنطلق طاقات (الوهابيين) نحو الخارج ، وأن تصبح تحركاتهم في هذا الإتجاه أكثر عدوانية مما كانت عليه خلال السنوات السالفة .

العلاقات مع تركيا ومصر ١٨٤٣ – ١٨٦٥م / ١٢٥٩– ١٢٨٢هـ :

وثمة ظلال تخفي العلاقات التي كانت قائمة بين حكومة الأمير فيصل في أوائل حكمه وحكومتي تركيا ومصر . ففي سنة ١٨٥١م كان مفهوماً أن الأمير يدفع جزية سنوية للباب العالي ، لكن مبعوثي باشا مصر كانوا دائماً في معسكره وكان وكيل (الوهابيين) في الكويت يقوم برعاية المصالح المصرية العليا . وفي سنة ١٨٥٥م أعلن الأمير في مراسلات بينه وبين المقيم السياسي البريطاني في الخليج أنه " تابع للحكومة التركية المعظمة " ، وأكد خلافه مع باشا مصر إنما يرجع إلى تعارض سياسة هذا الباشا مع سياسة الباب العالي . وحوالي سنة ١٨٦٠م وأثناء مناقشة مشكلة الأمور في البحرين عاد أمير (الوهابيين) ليؤكد مرة

أخرى ولكن بطريقة أقرب للغموض هذه المرة أنه " حسب المعاهدات التي ارتبطت بها مع السلطان عبد المجيد هناك أمور لايحق لأي طرف أن يتدخل فيها إلا على أسس خاصة ". هذه الإعلانات الدورية من جانب الأمير أثبتت أنه لم يكن يمانع من إعلان تبعيته لتركيا إذا لم تتعارض مع مصالحه ، أما الأتراك فكانوا يؤكدون دائماً من ناحيتهم سيادتهم الكاملة على الدولة (الوهابية) ، مثال ذلك هذا الإحتجاج الذي قدمته الحكومة التركية عن طريق باشا بغداد سنة ١٨٦٢م ضد ضرب البحرية البريطانية لميناء الدمام في العام السابق ، فقد وصف هذا الميناء بأنه " تابع لفيصل بك قائمقام نجد " التي هي بدورها " جزء من الأملاك الموروثة لسلطان تركيا " . أما في أواخر حكم فيصل ، فقد كانت الجزية التي يدفعها الأمير (الوهابي) للباب العالي شيئاً إسمياً فقط ، والغالب أنه كان يدفعها عن طريق شريف مكة .

علاقته بجبل شمر ١٨٤٣ – ١٨٦٥م / ١٢٥٩– ١٢٨٢هـ :

وطوال فترة حكم عبد الله الحاكم الأول لجبل شمر ظل ولاء هذا الإقليم لأمير (الوهابيين) أمراً غير قابل للمناقشة . ويبدو ان فيصلاً قد لقى بعد رجوعه من مصر عوناً كبيراً من تابعه المخلص هذا في استرداد مكانته بنجد ، وتزوج طلال بن عبد الله بإبنة الأمير فيصل وضل حتى وفاته في سنة ١٨٦٧م يقوم بزيارة سنوية للرياض حيث يدفع بنفسه الجزية من الخيل . وحوالي سنة ١٨٤٨م أصبح القصيم الذي كان حتى ذلك الحين خاضعاً خضوعاً مباشراً للأمير (الوهابي) خاضعاً لحماية شيخ جبل شمر كوسيط بينه وبين (الوهابيين) .

علاقته بالكويت ١٨٤٣ – ١٨٦٥ م/ ١٢٥٩– ١٢٨٢هـ :

وحوالي سنة ١٨٥١م جعل الأمير فيصل له وكيلاً في الكويت كما أشرنا ، وتأكد في سنة ١٨٦٣م طابع العلاقة الودية التي تربطه بالكويت على الرغم من أن شيخها لم يكن يدفع له الجزية .

علاقته بالبحرين ١٨٤٣ – ١٨٦٥ م/ ١٢٥٩– ١٢٨٢هـ :

وحين تولى فيصل عرش نجد كان الخلاف على أشده بين الشيخين عبد الله ومحمد في البحرين وقد أفاد فيصل من خلافهما معاً ليحاول تأكيد سيطرته على البحرين . ولولا جهود السلطات البريطانية التي عملت دائماً على أن يبقى نفوذ (الوهابيين) مقتصراً على أرضهم فقط لكان من المحتمل أن يستطيع فيصل النجاح في إرغام شيخ البحرين إلى قبول شروط تجعلها خاضعة له تماماً .

وقد وقف الأمير أولاً في هذا الصراع إلى جانب الشيخ الشاب محمد بن خليفة الذي طرده فيما بعد عبد الله بن أحمد من البحرين ، ثم كان معظم السبب في طرد هذا الأخير حتى الدمام راجعاً لجهود (الوهابيين) ، وكانت الدمام مقره الوحيد الذي بقي له وقد كان الأمير يعتقد أنه هو صاحب الحق الشرعي فيه .

١٨٤٥ – ١٨٤٧ م/ ١٢٦١– ١٢٦٤هـ :

وبعدها بفترة قليلة ، وبعد أن نجح (الوهابيين) في تحقيق هدفهم الأساسي وهو إستيلاؤهم على الدمام ظلوا هادئين . ولكن في سنة ١٨٤٥م ، وحين ازداد عناد محمد بن خليفة ورفض أن يدفع الجزية السنوية أو العوائد المتأخرة والتي كان وافق على دفعها قبل سقوط الدمام ، بدأ عبد الله بن سعيد الحاكم (الوهابي) للقطيف بعد عودته الهجوم على البحرين . وقام محمد ، وكان يتوقع هذه الخطوة . يفرض الحصار على ساحل (الوهابيين) . وأعد الشيخ السابق عبد الله بالإشتراك مع حاكم القطيف (الوهابي) حملة هجوم مباغتة على البحرين من الأحساء ، لكنها أوقفت لحظة تنفيذها لتسرب خطتها وتفاصيلها إلى البحرين .

وفي سنة ١٨٤٦م حدث إشتباكان بريان بين قوات (الوهابيين) وقوات البحرين إستطاع كل من الطرفين أن يحوز الإنتصار على أحدهما . وأخيراً في أغسطس ١٨٤٧ وبعد أن ضعف شيخ البحرين بسبب إنسحاب بعض بني خالد من جانبه تمت التسوية بينه وبين أمير (الوهابيين) على أن يكف هذا الأمير عن تقديم

العون للشيخ عبد الله في مقابل أن يدفع له شيخ البحرين مبلغ ٤٠٠٠ دولار في كل سنة كزكاة .

١٨٥٠ ـ ١٨٥١م / ١٢٦٧-١٢٦٨هـ :

وفي سنة ١٨٥٠م توترت العلاقات مرة أخرى بين الشيخ محمد والأمير فيصل بسبب العقاب الذي أوقعه الأمير على أحد مبعوثيه لأنه نافق شيخ البحرين نفاقاً واضحاً ، وللإستقبال الفاتر الذي استقبل به الشيخ محمد سعد بن مطلق وكيل (الوهابيين) في عمان . وفي سنة ١٨٥١م وصل الأمير بنفسه إلى جوار قطر ، وراح يغري أهل المناطق الهامة في هذا الإقليم بالتخلي عن ولائهم لشيخ البحرين ، وطلب زيادة باهظة في الجزية التي كان مفروضاً أن تدفعها البحرين والتي كانت توقفت تماماً ، حينذاك قام محمد بمحاصرة ساحل الأحساء لكن استعدادات (الوهابيين) الذين تحالفوا الآن مع أبناء الشيخ السابق كانت أخطر مما يتصور ، ونستطيع القول بأن البحرين لم تسلم من هذا الخطر إلا عندما ظهر ، فجأة سرب من القطع البحرية البريطانية كان المقيم أرسله ليقوم بدوره في حماية الجزر . وفي يوليو ١٨٥١م عاد السلم مرة أخرى بفضل جهود شيخ أبو ظبي في الوساطة ، لكن التوتر ظل في الخفاء كما هو ، وسمح الأمير لأبناء شيخ البحرين السابق بالإقامة في الدمام .

١٨٥٥ - ١٨٥٦م / ١٢٧٢- ١٢٧٣هـ :

بعد هذه الأحداث وخاصة في سنتي ١٨٥٥م و ١٨٥٦م جرت بعض المراسلات حول البحرين بين أمير (الوهابيين) والمقيمية السياسية في بوشهر، وزعم الأمير لنفسه الحق في أن يوقع العقاب كما يشاء بتابعه شيخ البحرين ، وصدر رداً على ذلك إنذار من ممثل بريطانيا بتفويض له من حكومة الهند بأن الحكومة البريطانية لاتسمح بأي تدخل في شئون البحرين . وامتلأ صدر الأمير غيظاً وانزعاجاً من هذا الرد .

١٨٥٩ م/ ١٢٧٦هـ:

وفي ١٨٥٩م تجاهل الأمير فيصل الإنذار البريطاني ووجود سفينة حربية بريطانية صغيرة على الساحل ، وزعم وربما كان مصيباً في زعمه هذا أن شيخ البحرين يحرض قبائل الأحساء على القيام بأعمال عدائية ضد رعاياه ، وأصدر أمره لحاكم القطيف ان يبدأ إستعداده بمعاونة أحد أبناء الشيخ السابق لحملة كبيرة تغزو البحرين . وأرسل أسطولاً بريطانياً آنذاك لتهديد الدمام ، وكانت نتيجته أن فشلت الحملة ، بل واعتذر المسئول (الوهابي) لقائد الأسطول البريطاني عن الإستعدادات التي قام بها . وأدى هذا التدخل الناجح إلى إستثارة مزيد من غضب الأمير فيصل وحنقه على بريطانيا .

١٨٦١م / ١٢٧٨هـ:

وفي سنة ١٨٦١م بدأ شيخ البحرين بالهجوم على أمير (الوهابيين) دون استشارة المقيم البريطاني مسبقاً ، فقام بمحاصرة موانـي (الوهابيين) وأرسل ست سفن حربية للطواف حول الدمام . ولم يتمكن المقيم البريطاني من حمل شيخ البحرين على الكف عن هذا العمل غير المرغوب فيه إلا بجهد جهيد وصل حد الإرغام . وأصبح الآن واضحاً أن الأمن في مياه البحرين لن يعود إلا باستعادة أبناء الشيخ السابق من الدمام ، وهذا ما قامت البحرية البريطانية بتنفيذه في نوفمبر ١٨٦١م . بل وقيل أيضاً إن طرد هؤلاء الذين كانوا يثيرون الفوضى في مياه البحرين لم يكن مغضباً لبعض المسئولين (الوهابيين) في القطيف ممن كانوا لايستطيعون أن يأخذوا حريتهم كاملة في العمل ضدهم دون خرق لتقاليد الضيافة العربية .

ونشير هنا عرضاً إلى أنه لولا اليقظة التي كانت تبذلها السلطات البريطانية في المحافظة على أمن البحرين خلال هذه الفترة لكان محتملاً تماماً أن ترتبط هذه الإمارة بالأحساء ومنها تنتقل إلى حكم الأتراك بطبيعة الحال .

علاقاته بعمان المتصالحة ١٨٤٣ – ١٨٦٥م / ١٢٥٩– ١٢٨٢هـ :

وفي عمان المتصالحة وخلال هذه الفترة نفسها كان النشاط (الوهابي) على أشده . ففي يوليو ١٨٤٣م وصلت خطابات ورسائل من الأمير إلى كبار الشيوخ في المنطقة يبلغهم في نهايتها بأنه حين ينتهي موسم الحرارة الشديدة سيعود سعد بن مطلق ومعه قوات ضخمة لإخضاع البلاد كلها . ويبدوا أن معظم هؤلاء الشيوخ باستثناء شيوخ دبى والبريمى قد ردوا على هذه الرسائل مبدين اغتباطهم بما جاء فيها.

١٨٤٥ م /١٢٦١ هـ :

وفى أوائل سنة ١٨٤٦م ظهر سعد بن مطلق فى البريمى ومعه قوة صغيرة ، ولم يكن واثقاً فيما يبدو كل الثقة فى النجاح ، لكن القبائل المحيطة أفصحت فى البداية عن حماسه لقضية (الوهابيين) ، ولهذا تشجع على وضع خطط لاحتلال ضنك وذياد بل وأيضاً منطقة ورزا على الساحل لكن قسوة الأمير وعنجهيته أبعد عنه الكثير من الأنصار ، وانقطع إتصاله المباشر آنذاك بنجد ، وأصبح رسله يضربون أو يهانون . وبدأت الشكاوي في حقه ترفع لأمير (الوهابيين) ، وأصبح من المتوقع أن يسخط الأمير على قائده سعد ، لكن هذا إستطاع بطريقة ما أن يبرر مسلكه هذا وأن يستعيد مكانته ، ولاشك في أن تسليم الأموال التي أخذها من الأحساء أثناء مروره بها بحراً كان من العوامل التي جعلت الأمير يرضى عنه .

١٨٤٨م / ١٢٦٥هـ :

وفي مايو ١٨٤٨م إستولى شيخ أبو ظبي على قلاع البريمي يعاونه في ذلك حاكم إقليم صحار وقبائل بني نعيم والدواسر [أ] . ولجأ سعد بن مطلق الذي لم يكن موجوداً ساعة هذا الهجوم إلى شيخ الشارقة. وظهرت الخلافات والمشاحنات

---

*(أ) سبقت الأشاره إلى أنهم الشوامس وليس الدواسر .

القبلية، وتحول شيوخ عمان المتصالحة جميعا ضد شيخ أبو ظبي ، ولكن هذا استهان بتحالفهم ضده وظل يسيطر على هذه القلاع حتى فبراير ١٨٤٩م حين سلمها طواعية إلى (الوهابيين) عقب أن وصل إليه رسول من شريف مكة .

١٨٥٠ - ١٨٥١ م/ ١٢٦٧- ١٢٦٨هـ:

وفي مارس ١٨٥٠م أعاد شيخ أبو ظبي بعد إتصال أجراه مع نائب سلطنة عمان هجومه على (الوهابيين) في البريمي.لكنه فشل في تحقيق أي شيء هذه المرة ، كذلك فشل أيضاً هجوم على نفس المكان في نوفمبر التالي على أثر تحالف من بني ياس والقواسم وبني نعيم . وفي ١٨٥١م تحالف شيوخ أبو ظبي والشارقة ضد (الوهابيين) لكنهم لم يستطيعوا شيئاً.

١٨٥٢ - ١٨٥٣ م/ ١٢٦٩ -١٢٧٠هـ:

وفي نهاية ١٨٥٢م وصل عبد الله بن أمير (الوهابيين) إلى البريمي ، لكن أعماله هناك كما سنرى في القسم التالي تتعلق أساسا بسلطنة عمان وقد زاره شيوخ عمان المتصالحة جميعاً باستثناء شيخ الشارقة وشيخ أبو ظبي الذي بذل كل جهده للحيلولة بينه وبين العدوان تجاه الغرب وكانت الزيارة في البريمي لتقديم آيات الولاء له .

١٨٥٤ - ١٨٥٥م / ١٢٧١- ١٢٧٢هـ:

وعين رجل إسمه أحمد السديري حوالي هذا الوقت وكيلاً (للوهابيين) في البريمي خلفاً لسعد بن مطلق . وفي ١٨٥٤م بدا أن هذا الرجل مهتم بمنع شيوخ عمان المتصالحة من العدوان بعضهم على بعض ، وبتقييد حرية قبائل البدو بهذا الصدد أيضاً ، لكن نشاطه اتخذ مسلكاً سيئاً في سنة ١٨٥٥م حين تبين أنه كان يضع خطة للإستيلاء على قرية المحمرة التي تقع على البحر ، وفي سنة ١٨٥٦م أصبح ممثل (الوهابيين) إلى البريمى هو تركي بن أحمد - ربما ابن أحمد السديري هذا - لكن إهتمامه كان موجهاً بشكل أساسي لشئون سلطنة عمان .

وفي سنة ١٨٥٥م وصف الأمير فيصل في رسالة منه للمقيم البريطاني في بوشهر بعثته في عمان المتصالحة بأنها بعثة خير تهدف إلى كبح جماح القبائل الهمجية في الداخل والحيلولة بينها وبين ذبح المواطنين العزل من الساحل .

علاقاته بسلطنة عمان ١٨٤٣ -١٨٦٥م / ١٢٥٩- ١٢٨٢هـ :

وكانت قاعدة (الوهابيين) في البريمي تستخدم بشكل أساسي لأعمال العدوان على سلطنة عمان في ١٨٤٥ و١٨٥٣م ثم في ١٨٦٥م .

١٨٤٥م / ١٢٦١هـ :

وعند وصول سعد بن مطلق إلى عمان المتصالحة في سنة ١٨٤٥م طلب الجزية من حكام صحار ومسقط .. خمسة آلاف دولار عن الأول وعشرين ألف دولار عن الثانية , ولكي يعزز مطالبه إجتاح إقليم الباطنة واستولى على ماجيس بعد أن قتل الحامية المقيمة فيها ، وبعد ذلك دفع حاكم صحار مبلغ الجزية المطلوبة منه ، وتم الإتفاق على أن البت في شأن ماتدفعه مسقط يظل بيد السيد سعيد الذي كان غائباً حين ذاك في شرق إفريقيا . وسرعان ماخرق (الوهابيون) هذا الإتفاق ، لكن السلطات البريطانية التي كانت تعضد السيد ثويني نائب الحاكم في مسقط أرغمت الأمير في النهاية على أن يرضى بجزية سنوية قدرها خمسة آلاف دولار فقط . ودفع السيد ثويني مبلغ ٢٠٠٠ دولار كمنحة لسعد بن مطلق عقب الإتفاق ، وأعيدت ماجيس إلى أصحابها .

١٨٥٣ م/ ١٢٧٠هـ :

وفي سنة ١٨٥٣م طلب عبد الله ولي عهد أمير (الوهابيين) أثناء إقامته القصيرة في البريمي إلى سيد مسقط أن يسلمه مدينة وإقليم صحار ، وأن يدفع جزية ضخمة عن باقي سلطنته ، وكان مفهوماً في النظر إلى هذا الطلب المبالغ فيه أن (الوهابيين) يبحثون عن ذريعة لإعلان الحرب ، وبتشجيع من السلطات البريطانية بدأ السيد ثويني يتخذ إجراءات الدفاع عن صحار فتخلى (الوهابيون) عن

نيتهم في غزو إقليم الباطنة .. لكن النتيجة النهائية كانت قبول السيد أن يستعيد صحار في مقابل رفع الجزية إلى مبلغ ١٢٠٠٠ دولار كل سنة عن سلطنة عمان كلها ، وتم الإتفاق أيضاً على أن يتم تبادل المعونة بين سيد عمان وممثل (الوهابيين) ضد أي عدوان على إحداهما ، وحسب هذا الإتفاق قدم (الوهابيون) عونهم للسيد ثويني في العام التالي لإخضاع بعض القبائل المتمردة في الباطنة . وقام الأمير (الوهابي) عقب هذه الإجراءات بزيارة لإقليم عمان نفسه في الداخل ، ربما كجامع للضرائب .

١٨٦٤ - ١٨٦٥م / ١٢٨١- ١٢٨٢هـ :

وفي ١٨٦٤م لجأ (الوهابيون) إلى طريقة غير مباشرة للضغط على سلطان عمان - السيد ثويني الذي خلف أباه السيد سعيد - وذلك بتأييدهم لثائر على سلطته هو السيد عزام بن قيس في رستاق ، غير أن السلطان طلب مباشرة عون الحكومة البريطانية ، وأبرق الرائد بيللي المقيم السياسي إلى حكومته بالأمر . وفي مارس ١٨٦٢م قام الرائد بيللي بزيارة شخصية سنشير إليها فيما بعد لأمير (الوهابيين) في عاصمته الرياض ، وهناك تأكد أن الأمير بنفسه هو الذي أمر بمحاولة بث الفزع في قلب السلطان الذي قال عنه صراحة أنه يحتقره أعظم إحتقار ، وأنه مصمم على أن يرفع الجزية من ١٢ ألف إلى ٤٠ ألف دولار.

وفي إبريل ١٨٦٥م سار الرائد بيللي أثناء عودته إلى الخليج إلى مسقط حيث علم هناك أن السيد عزام قد وضع نفسه تحت حماية (الوهابيين) تماماً وأن هؤلاء يطالبون بزيادة الجزية ويهددون بغزو عمان . وفي هذه الظروف قام الرائد بيللي الذي سبق للسلطان بالفعل في سنة ١٨٦٤م أن عرض إسمه على الأمير كوسيط بينهما دون تفويض منه - بالكتابة إلى مضيفه السابق الأمير فيصل يعرض عليه وساطته للوصول إلى تسوية الخلاف ، لكن الأمير (الوهابي) لم يرد بشيء على هذا العرض . وفي أغسطس ١٨٦٥م زار مسقط وفد وهابي غير عادي ، وطلب هذه المرة أربعة أضعاف الجزية التي كانت تدفع في الماضي ، لكن

السلطان بنصيحة من السلطات البريطانية دفع المبلغ المتفق عليه فقط ، وذكر أنه فيما يتعلق بتسوية الأمور نهائياً فهو كان مايزال ينتظر نتيجة عرض الوساطة من جانب الرائد بيللي . وفي نفس الشهر أرسل الوكيل (الوهابي) في البريمي إستجابة لطلب بني جنابة المتمردين في صور قوة (وهابية) إلى ذلك المكان ، إستولت على قلعة كانت تحتلها حامية باسم السلطان بعد أن قاومتهم يومين ، ونهب (الوهابيون) سوق صور وقتل واحد من رعايا الهند البريطانية وجرح آخر ، حين ذاك رضخ السيد ثويني ودفع ضعف الجزية ، أي مبلغ ١٦ ألف دولار (للوهابيين) ثمناً للسلام لكن الحكومة البريطانية لم توافق كما سنرى على تسوية الأمور بهذه الطريقة .

العلاقات بين أمير (الوهابيين) والحكومة البريطانية
١٨٤٣ - ١٨٦٥ م/ ١٢٥٩- ١٢٨٢هـ

السياسة البريطانية بعدم التدخل على طول الساحل العربي ١٨٤٣م / ١٢٥٩هـ :

مازال علينا أن نحلل سياسة الحكومة البريطانية تجاه هذه الإعتداءات المنظمة (الوهابية) على طول خط مواز للساحل ، ونستطيع أن نصف هذه السياسة أنها تقوم على غض الطرف في عمان المتصالحة ، والمقاومة المعتدلة في سلطنة عمان ، والمقاومة التي لامهادنه فيها بالنسبة للبحرين . وخلال إحتلال القوات المصرية لنجد في ١٨٣٨ ـ ١٨٤٠ م كان الممثل السياسي البريطاني في الخليج مفوضاً بأن يستخدم كل نفوذه لمنعهم من التوسع في أي إتجاه . وحين حاول الأمير (الوهابي) بعد أن خلف القوات المصرية في الأحساء أن يواصل نفس السياسة العدوانية كان هناك إقتراح بأن يواجه بالمعارضة نفسها ، لكن حكومة الهند رأت أن مطامع الأمير فيصل في التوسع إنما هي أقل خطورة من مطامع محمد علي ،

فقد قررت التريث وانتظارتطور الأحداث ، وانتهاج سياسة متحفظة بعيدة عن التدخل المباشر قدر الإمكان . ورفضت على هذا الأساس إقتراحاً مقدماً لها من حكومة بومباي بأن تضع سياسة ثانية للعمل وأن ترغم الأمير (الوهابي) على أن يكون بين الشيوخ المرتبطين بالحكومة البريطانية باتفاقيات السلم البحري ، ونتيجة لهذا القرار أبلغ شيوخ البريمي الذين كان شجعهم إتجاه السلطات البريطانية إلى مساعدتهم في مواجهة القوات المصرية أن يطلبوا هذه المساعدة ضد (الوهابيين) . بأن الحكومة البريطانية لن تتدخل في صالحهم بعد أن قطعت كل علاقاتها بالأمور الداخلية في الجزيرة العربية . وحين كتب الأمير (الوهابي) خطاباً إلى الممثل البريطاني يعبر فيه عن رغبته في " تجديد العلاقات الودية التي كانت قائمة بين أبيه الأمير تركي والحكومة البريطانية " تلقى رداً ودياً يؤكد له ان الحكومة البريطانية لاأهداف لها سوى المحافظة على السلام في البحر الذي قال في خطابه أنه هوأيضاً مهتم بالمحافظة عليه . وكان يرى أن العلاقات الودية لو أمكن ان تقوم وتستمر بين السلطات البريطانية والأمير فإن أثر ذلك لاشك سيكون طيباً جداً على أهل السواحل.

تعديل السياسة البريطانية بعدم التدخل إبتداء من سنة .

١٨٤٥م /١٢٦١هـ إلا بالنسبة لعمان المتصالحة:

وعلى أية حال ، فسرعان ما وضح أن مطامع أمير (الوهابيين) لن تقف دون الإستيلاء على سلطنة عمان وإمارة البحرين ، وخشيت حكومة الهند أن تتطور الأمور وتسير الحوادث بأسرع مماتستطيع ملاحقتها ، فقررت العدول عن سياستها هذه في عدم التدخل .

عون بريطانيا لسيد مسقط ١٨٤٥ م/ ١٢٦١هـ :

وفي سنة ١٨٤٥م وإزاء تهديد (الوهابيين) لمسقط صدر تفويض للمقيم السياسي بأن ينقل رأي الحكومة البريطانية في هذا الأمر لأمير (الوهابيين) وأن ينظم مظاهرة بحرية ، ولكن أن يكون حريصاً فيتجنب التهديد بما لايمكن تنفيذه إلا

بإرسال قوات برية من الهند ، وكتب على ضوء هذه التعليمات لكل من أمير (الوهابيين) ووكيلهم في البريمي ، وأعد في نفس الوقت أسطولاً قوياً على ساحل الباطنه. وقد رأينا أن هذه الأعمال قد حققت نتائج مرضية . فرضي الأمير (الوهابي) وأنسحبت قواته من ماجيس وهبطت الجزية إلى الحدود المعقولة .

حماية بريطانيا للبحرين ١٨٥١م / ١٢٦٨ هـ :

وفى ١٨٥١م حين كانت جزر البحرين مهددة بالغزو من قبل (الوهابيين) الذين وصل أميرهم نفسة إلى مقربة من الجزر فى الأرض المجاورة أمكن تلافى هذا الخطر حين أمر المقيم العام على مسئوليته الخاصة كل القوة البحرية البريطانية فى الخليج بأن تكون على مقربة من الجزر . وقد لوحظ بعد هذه الحادثة مباشرة أن موقف الأمير فيصل من الحكومة البريطانية ولفترة على الأقل أكثر ميلا إلى التهادن وقد كان من الضرورى قبل هذا فى سنة ١٨٤٦م توجية أنذار حاسم للحاكم (الوهابى) فى القطيف الذى كان يعطى لنفسة حق التهديد بالقيام بأعمال (القرصنة) .

العون البريطاني لسيد عمان ١٨٥٣ م/ ١٢٧٠هـ :

ومرة أخرى في سنة ١٨٥٣م وحين كان أمير (الوهابيين) يهدد عمان بالغزو إستدعى المقيم العام شيوخ عمان المتصالحة من البريمي إلى الساحل حيث عقد معهم معاهدة السلم الشاملة ، ووجه إنذاراً لعبد الله نظراً لإحتجازه شيوخ البريمي ، وأرسل سفينة حربية لتقوم بجولة على الساحل ، ووعد بمساعدة سلطان عمان إذا إحتاج هذه المساعدة في الدفاع عن عاصمته . وبهذه الإجراءات كلها أمكن إنسحاب (الوهابيين) من صحار وقبولهم الصلح مع السلطان بشروط أقل إجحافاً له من حيث الجزية ، وماكان الحصول على هذه النتيجة ممكناً دون كل تلك الإجراءات .

حماية بريطانيا للبحرين ١٨٥٩ ـ ١٨٦١م / ١٢٧٦ ـ ١٢٧٨هـ :

وفي سنة ١٨٥٩م أنقذت البحرية البريطانية البحرين مرة أخرى من نزول (الوهابيين) إليها نزولاً كان محتملاً أن يكون خطيراً ودائماً . وقد أثار هذا العمل بالإضافة لطلب إبعاد أبناء شيخ البحرين السابق من الدمام غضب أمير (الوهابيين) وسخطه على السياسة البريطانية . وبالنسبة للهياج الذي حدث في صور سنة ١٨٦٥م فقد تعهدت الحكومة البريطانية بأن تحصل من المعتدين على تعويض عنها، وهذا أمر لم يكن حتى في مقدور سلطان عمان أن يحققه .

السياسة البريطانية بعدم التدخل في عمان المتصالحة :

ومما هو جدير بالذكر عن الأمير فيصل تأكيده أنه لم يحاول أبداً على عكس ماأذيع عنه أن يعبر عن معارضته للحكومة البريطانية بالقيام بأعمال القرصنة ، بل إن الأمر كما أشار كان على العكس تماماً .. فهناك فترة من التفاهم دامت أكثر من مائة عام مع الحكومة البريطانية من أجل التعاون على تأمين التجار والمسافرين في البحار .

رحلة الرائد بيللي إلى الرياض فبراير – مارس ١٨٦٥ م/ ١٢٨٢هـ :

وقد أشرنا من قبل إلى الرحلة المشهورة التي قام بها الرائد بيللي المقيم السياسي البريطاني من بوشهر إلى الرياض سنة ١٨٦٥م ، وكان هدفه من هذه الرحلة هو القضاء على العداوة التي سببتها أعمال البريطانيين في قمع تجارة الرقيق وفي إحباط السياسة (الوهابية) على الساحل العربي . وكان الرائد بيللي يهدف أيضاً إلى إثبات أن وسط جزيرة العرب ليس منطقة يصعب إقتحامها على ضابط بريطاني يؤدي وظيفته ، وكان يأمل أن يلقي بعض الضوء على جغرافية هذه البلاد وشيء من تاريخها الطبيعي .

وكانت الكويت هي نقطة البدء في رحلته ، فوصلها في يناير ١٨٦٥م وقضي فيها عدة أسابيع ينتظر إذن الأمير بالسير ، وأخيراً جاء هذا الإذن مقتضباً

مختصراً، ولم يرسل دليلاً . وكان يصحب الرائد بيللي دكتور و.هـ. كولفيل طبيب المقيمية الذي جعله بيللي مسئولاً عن بعثته من الناحية الصحية ، ومسئولاً أيضاً عن القيام ببعض الأبحاث المتعلقة بالجيولوجيا وعلم النبات ، والملازم إي. دافيس من البحرية الهندية الذي كان قبطان سفينة المقيمية " بيرنيس " وقد جعل الرائد مهمته مراقبة خطوط الطول والعرض ، ثم المترجم ج. لوكاس وهو مسيحي من أهل الموصل إدعى الإسلام وتسمى باسم عبد الله وكانت قافلة المقيم كلها تضم حوالي ٣٠ بعيراً، وكانت جماعته بما فيهاالحرس الهندي والخدم والحمالون لاتزيد عن ٣٣ رجلاً . ولم يأخذ المقيم معه سوى خيمة صغيرة واحدة . وبدأت القافلة سيرها من الكويت في ١٧ فبراير ، وظلت سفينة المقيمية بانتظارها في ميناء العقير ، وسارت عن طريق وفرة ووبرة ورميحية إلى سدوس في عريضة ، ومنها عادت لتأخذ طريقها هبوطاً في وادي حنيفة إلى الرياض فوصلتها في ٥ مارس .

وفي يوم ٦ مارس قام الرائد بيللي ومعه مساعدوه جميعاً بزيارة مجاملة للأمير فيصل في قلعته بوسط المدينة ، وفي اليوم التالي تم عقد إجتماع خاص بينهما لم يصحب المقيم فيه سوى مترجمه فقط . وكان الأمير في ذلك الوقت قد تقدم به السن كثيراً وفقد بصره تماماً لكنه كان يبدو بموضع الإحترام والتوقير من أقاربه الأدنين ، ومن رعاياه جميعاً ممن كانوا ينادونه غالباً باللقب الديني " الإمام " . وفي كلتا المقابلتين كان حديث المقيم العام مع الأمير حديثاً عاماً شاملاً ، ورغم أن الموضوعات السياسية كانت تشكل معظمه بطبيعة الحال ، إلا أن المقيم كان حريصاً على ألايتطرق النقاش إلى مشكلات محددة مثل جزية مسقط أو ماإليها . وفى خلال الحديث إشارة عارضة إلى أن له السيطرة المطلقة على كل شرق الجزيرة من الكويت إلى رأس الحد وما وراءها . وكان مسلك فيصل يتسم بالإنفة ، وبالصداقة، وأحياناً بالمودة ، وكان على العموم سعيداً بزيارة المقيم العام له ، وتم إتخاذ الترتيبات اللازمة لمرور المقيم العام في طريق عودته من الرياض إلى الساحل بصايح في الخرج كي يشاهد إصطبلات الخيول التي يملكها الأمير .

وهنا[١] بدأت النزعات العدائية من حاشية الأمير من الرجال المتعصبين ضيقي الأفق تلعب دورها. وانتهج سكرتير الأمير المقرب وهو " رجل حقود ومتعصب وضيق الأفق " إسمه محبوب مسلكاً مهيناً ، فأحرق أوراق ورسومات الملازم دوس من باب الحذر والإحتياط ، وفي يوم ٨ حدثت محاولة لإحتجاز الجماعة الإنجليزية في الرياض عن طريق الإستيلاء على جمالها . ولم تتخذ الترتيبات لعقد مقابلة أخيرة مع الأمير في هذه الظروف . وبعد الظهر ظن المقيم أن من الضروري أن يرحل دون إنتظار موعد من القلعة ، لكنه إلتقى بالأمير على أية حال لقاء أخيراً لم يكن أقل مودة من سابقيه . وطلب الأمير بهذه المناسبة أن يبلغ فيما بعد بأحداث (القرصنة) أو حرق السفن التي تقع على شاطئ الأحساء لإيقاع العقاب الرادع بمرتكبيها، كما طلب أيضاً أن تتولى المقيمية رعاية مصالحه البحرية على الساحل الإيراني ، وأكد الرائد بيللي صداقته المخلصة ، وأخيراً أفصح عن رغبته في أن تنتظم المراسلات بينهما . وفي التاسعة من بعد ظهر ٨ مارس تركت قافلة الرائد بيللي مدينة الرياض ، وبدأت السير إلى الساحل مبكراً في الصباح التالي . وفي ١٧ مارس إجتاز المسافرون الهفوف ووصلوا في ١٨ منه إلى مرسى سفينة المقيمية في العقير . ولم تحقق هذه الرحلة التي كان لها طابع المغامرة كما سنرى نتائج سياسية ذات قيمة وربما لحالة العجز التام التي تردى فيها الأمير بعد ذلك بثلاثة أشهر فقط ، لكن ملاحظات الملازم دوس قدمت بيانات ومعلومات هامة لم تضف إليها أي تفصيلات فيما بعد لرسم خريطة دقيقة لإقليم جنوبي نجد الهام . وقد أصيب الملازم دوس بضربة شمس قاسية في الرياض ، وعاني كثيراً من الحمى في طريق العودة .

---

[١] أورد الشيخ علي من سبيع وهو دليل فاسد إستخدمه الرائد بيللي رواية محرفة لما قامت به الجماعة في رحلتها إلى الرياض.

علاقات الأمير (الوهابي) بفرنسا

١٨٤٣ – ١٨٦٥م / ١٢٥٩– ١٢٨٢هـ

بعثة مستر بالجريف ١٨٦٢ م/ ١٢٧٩هـ :

سبق الرائد بيللي إلى الرياض الرحالة و. ج. بالجريف الذي مر بعاصمة (الوهابيين) أثناء مروره عبر الجزيرة سنة ١٨٦٢م. ولم تكن بعثة مستر بالجريف رغم أنه من رعايا بريطانيا باسم الحكومة البريطانية وقد قيل أنه كان يمثل نابليون الثالث الذي كان مهتماً إهتماماً خاصاً بمصر والشام ، وربما كان قد وجه إهتمامه إلى نجد لعلاقتها بموضوع قناة السويس الذي كان قد تم إقتراحه آنذاك بالفعل .

مراسلات مع فرنسا :

وقد إعترف الأمير فيصل في محادثته مع الرائد بيللي في الرياض إنه تلقى مرتين عروضاً سخية من الحكومة الفرنسية بالمعونة . وفي الثانية منهما وكان وقتها يتفق تماماً وبعثة مستر بالجريف طلب من الأمير أن يبلغ رده للقنصل الفرنسي في دمشق ، وأبلغه الأمير فعلاً شكره وأوضح له أنه ليس بحاجة إلى مساعدة في الوقت الحالي .

عبد الله بن فيصل (فترة حكمه الأول)

١٨٦٥ – ١٨٧١م/ ١٢٨٢– ١٢٩١هـ

الحالة الداخلية عند تولي عبد الله ١٨٦٥ م :

وخلف الأمير فيصل بعد موته أكبر أبناؤه عبد الله الذي كان قد إكتسب سمعة طيبة كقائد ناجح ، وقد إستخدمه أبوه سنة ١٨٥٢ ـ ١٨٥٣م/ ١٢٦٩ ـ ١٢٧٠هـ ممثلاً (الوهابيين) في البريمي ليتفق مع سيد مسقط على زيادة الجزية . وكان عبد الله موجوداً بالرياض أثناء زيارة الرائد بيللي في مارس ١٨٦٥ م، لكنه

إستطاع أن يكبح فضوله ويتجنب اللقاء بالمقيم خشية أن يطلع الأخير على بعض جوانب ضعفه مما قد يؤثر عليه في المستقبل . وكانت إحدى النتائج المباشرة لتولي عبد الله هي إبعاد محبوب سكرتير فيصل المقرب الذي أشرنا إليه . وكان مركز الأمير الجديد ضعيفاً منذ البداية نظراً لمنافسته وعدائه الشخصي لأخيه التالي عليه سعود ، الذي كان يعتبر أثناء زيارة الرائد بيللي للرياض شخصية أقرب إلى الإعتدال من عبد الله ، كما كانت صراحته وتحرره وجراءته أسباباً جعلت البدو يتعلقون به أكثر من شقيقه الأكبر . وكان عبد الله وشقيقه محمد مولودين لوالدتين من آل سعود ، فكانا (وهابيين) متعصبين . أما سعود وشقيقه عبد الرحمن فكانت والدتهما من البدو ولذا كنا أكثر إستعداداً للكرم . ومرة واحدة إندفع سعود الذي كان مقره الخرج معلناً التمرد على شقيقه عبد الله بمعاونة قبيلة الدواسر لكنه هزم في بداية الأمر [أ] .

قطع علاقات الحكومة البريطانية بأمير (الوهابيين)

١٨٦٥ - ١٨٦٦ م/ ١٢٨٢ - ١٢٨٣هـ

قرار من حكومة الهند بمساعدة سلطان عمان :

من جملة الميراث المحزن الذي إنتقل من الأمير فيصل إلى إبنه كانت تسوية مشكلة صور التي وقعت فيها إعتداءات على إثنين من رعايا الهند البريطانية على يد رجال من قبائل البدو الذين حرضهم وكيل (الوهابيين) في البريمي . وقبل موت الأمير فيصل كانت حكومة الهند قد إتخذت قراراً يتشجيع سلطان عمان على

*(أ) بعد سنة من تولي الإمام عبد الله بن فيصل الحكم خرج عليه أخيه سعود وذهب إلى آل عائض في عسير طلباً للمساعدة لكنهم رفضوا بل وحاولوا إصلاح ذات البين وعند ذلك إتجه سعود إلى نجران فوجد المدد والمساعدة من أهالي نجران وأهالي وادي الدواسر والعجمان وكان اللقاء مع جيش الإمام عبد الله في المعتلا بقيادة أخيه محمد سنة ١٢٨٣ / ١٨٦٦م فانهزم سعود وتفرق من حوله ، أنظر إبراهيم بن عيسى ـــ تاريخ بعض الحوادث ص:١٧٦.

بذل مزيد من الجهود في مقاومة (الوهابيين) ، وصدرت أوامرها لتقديم العون على شكل ذخائر حربية ، بل وأموال أيضاً إذا اقتضت الضرورة ، كما كفل له تأييد القوات البحرية أيضاً بشرط ألا يقوم بعمليات على البحر .

خطاب من الأمير ، وعزم حكومة الهند على أن تطلب من (الوهابيين) تعويضاً عن الأضرار التي أوقعت بالرعايا البريطانيين في صور :

وفي نوفمبر سنة ١٨٦٥م وفيما كان الرائد بيللي آنذاك في طريقه إلى بومباي عقب إجازة قضاها في أوروبا وصل إلى السلطات البريطانية في بوشهر خطاب كان رداً مرسلاً من الأمير فيصل على الطلبات التي قدمتها إليه هذه السلطات بشأن مسلك (الوهابيين) في صور . وجاء في هذا الرد أن الأمير قد أطلق صراح رعايا الهند البريطانية الذين أسروا في صور ، وأمر أيضاً برد ممتلكاتهم إليهم . لكنه أهمل تماماً مسألة التعويضات وأشار إلى إتفاقية مع الحكومة البريطانية عقدت لأول مرة في عهد المرحوم الأمير سعود ، وصدق عليها مرة أخرى في عهد هذا الحاكم . وبعد دراسة الخطاب قررت حكومة الهند عقب إجراء تحريات كثيرة ضرورة إبلاغ الأمير (الوهابي) أن سلطان عمان صديق للحكومة البريطانية وحليف لها ، وأن هذه الحكومة يسعدها أن تسوي الأمور بينه وبين الأمير ، وهي لاتستطيع إلا أن تنظر باهتمام شديد إلى أية محاولة للإنتقاص من أرضه ، كما أبلغ الأمير أيضاً أن حكومة الهند مصرة على أن يدفع (الوهابيون) التعويض للرعايا البريطانيين الذين وقع عليهم الإعتداء في صور .

إنذار من المقيم البريطاني إلى أمير (الوهابيين) يناير ١٨٦٦ م/ ١٢٨٣هـ :

وفي نفس هذا الوقت حدثت حادثة أدت إلى قطع العلاقات بين الحكومة البريطانية و(الوهابيين) وذلك حين قامت السلطات البريطانية المحلية بتنفيذ التعليمات الصادرة لها بمساعدة سلطان عمان . فأبلغت شيوخ عمان المتصالحة أن لهم مطلق الحرية في أن يقدموا المعونة للسلطان ضد (الوهابيين) . واتخذت الإجراءات لإرسال الأسطول لمسقط يقوده السيد تركي شقيق السلطان لمحاصرة

مواني (الوهابيين) في القطيف والعقير ، وبدأ موقف شيخ البحرين نحو هذه القضية مريباً وغامضاً فقامت السلطات البريطانية بالإستيلاء على إحدى سفنه الحربية وهي " دينار " لمنعه من مساعدة (الوهابيين) والقضاء على الشكوك المثارة ضده أيضاً . وفي ٢٢ ديسمبر ١٨٦٥م خرجت سفينة صاحب الجلالة " هاي فلاير " يقودها الكابتن بازلي من بومباي تحمل ١٨ مدفعاً مع ذخيرتها لسلطان عمان ، ونزلت في صحار ثم عقد إجتماع في هذا المكان نفسه في يناير ١٨٦٦م بين الرائد بيللي وقائد البحرية. وفي هذا الوقت قامت قوات (الوهابيين) بالهجوم على منطقة سحام في الباطنة ، ودفع التجار من رعايا الهند البريطانية الذين كانوا مقيمين فيها إلى البحر فغرق واحد منهم . وكان من نتيجة المداولات التي أجراها الرائد بيللي والكابتن بازلي أن وجها خطاب إنذار إلى أمير (الوهابيين) يطلبان فيه إعتذاراً كتابياً عما حدث في صور ، وتأكيداً خطياً بأن هذه الأحداث لن تتكرر في المستقبل ، ودفع تعويض قدره ٢٧ ألف دولار عن الممتلكات التي ضاعت أو دمرت ، وأضاف الإنذار أنه إذا لم تتم إجابة هذه المطالب خلال فترة قدرها سبعة عشرة يوماً من تاريخ وصول الخطاب إلى الحاكم (الوهابي) في القطيف ، فستدمر قلاع (الوهابيين) المقامة على ساحل الأحساء ، وستصادر سفنهم الموجودة في موانيه .

ولم يستطع الرائد بيللي أن يصحب بنفسه الكابتن بازلي ، فقد كان وجود المقيم في عمان ضرورياً لتشجيع سلطانها الذي كان يعد الترتيبات للقيام بهجوم على موقع (الوهابيين) في البريمي ، فأرسل مع بازلي وكيل المقيمة في الشارقة الذي نزل في البحرين في ١٣ يناير سنة ١٨٦٦م بصفته حامل خطاب لأمير (الوهابيين) وغادرت السفينة " هاي فلاير " البحرين في نفس اليوم إلى أبو ظبي ومنها سارت على طول ساحل (القراصنة) ودمرت برجاً أقامه القواسم باسم (الوهابيين) في مضيق زورا. وفي ٢٣ يناير إلتقى الرائد بيللي بالكابتن بازلي في

خليج الفينستون[أ] وكان موعدهما مضروباً في المركز البريطاني للبرق والتلغراف الموجود هناك .

العمليات البحرية البريطانية على ساحل الأحساء وفشلها في الدمام .

فبراير ١٨٦٦م/١٢٨٣هـ :

وسارت " هاي فلاير " مرة أخرى إلى القطيف يوم ٢٨ يناير فوصلتها في يوم ٣٠ منه ، وهناك عرف الكابتن بازلي من وكيل المقيمية أنه لم يصل بعد رد من الأمير وأن الحاكم (الوهابي) في القطيف طلب مهلة إثنى عشر يوماً لإبلاغ الرسالة إلى الرياض . وظل كابتن بازلي ينتظر حتى يوم ٢ فبراير وهو اليوم المحدد لإنتهاء المهلة ، ثم بدأ تنفيذ ماجاء بالإنذار ، فأرسل عدة قوارب مسلحة إلى القطيف يقودها الملازم فيلوز فهدمت القلعة القائمة في جزيرة أبو الليف ودمرت سفينة (وهابية) واحدة وجدت في الميناء ولم تكن تستحق أن تنقل . وفي ٣ فبراير ارسلت جماعة يقودها الملازم لونج إلى قلعة الدمام التي ذكرت معلومات وكيل المقيمية أن بها حامية قوامها ١٢ رجلا . لكن القوارب المسلحة لم تستطع بالنظر إلى ضحالة الماء أن تتقدم أبعد من ٢٠٠ متر عن الخليج ، فنزلت القوات من القوارب إلى البر واستطاعت الاستيلاء على الساحة الخارجية للقلعة ، وبدأت الحامية الموجودة فيها تصد هجومهم . وقد تبين أنها أكبر بكثير مما أشار اليه وكيل المقيمية ، وكانت النتيجة تراجع المهاجمين بعد أن أوقعت بهم خسائر تمثلت في مقتل ثلاثة جنود ، وإصابة ضابطين وثلاثة جنود آخرين بجراح.

وفي ٤ فبراير، وقت ارتفاع المد ، جدد الملازم يونج هجومه على قلعة الدمام واستخدم في ضربها الرصاص والقنابل والقذائف لكن المدى كان بعيداً ولم يمكن إحداث أي صدع بها. وفي ٩ فبراير لحقت السفينة " هاي فلاير " بالرائد بيللي في مسقط ، وتمت عمليات عسكرية ناجحة ضد قبيلة الجنبه في صور يومي

---

*(أ) خليج الفينستون عند مدخل الخليج العربي الجنوبي قرب مضيق هرمز سمي بهذا الإسم نسبه لأحد القادة البريطانيين حيث جنحت سفينته فيه .

١١ و ١٢ فبراير . وأخيراً تلقى الرائد بيللي اوامر من حكومة الهند بالكف عن طلب التعويض من أمير (الوهابيين) وعادت السفينة " هاي فلاير" من الخليج إلى بومباي .

رد الأمير (الوهابي) على الانذار البريطاني فيراير ١٨٦٦م / ١٢٨٣هـ :

ومضى بعدها الرائد بيللي إلى خليج الفينستون وظل هناك ينتظر خبر استيلاء سلطان عمان على البريمي حين تلقى فجأة يوم ٢٠ أو ٢١ فبراير نبأ مقتل السيد ثويني قتلة بشعة على يد خدمه مما جعل عمليات القوات العمانية في البريمي تتوقف توقفاً تاماً . وفي نفس هذا الوقت تقريباً وصل إلى المقيم خطابان من أمير (الوهابيين) وفي أحدهما وهو مؤرخ في ٢٨ يناير يوافق الامير عبدالله على الاقتراح الذي سبق أن قدم لابيه فيصل قبل عدة شهور بأن يتوسط الرائد بيللي في الخلافات القائمة بينه وبين سلطان عمان . أما الخطاب الثاني الذي كان رداً على الإنذار البريطاني – فقد ذكر فيه الامير عبدالله أنه راغب في التشاور وأنه على استعداد لارسال وكيل عنه لهذا الغرض ، وأضاف يقول إن قبيلة الجنبة كانت هي المسئولة عن ارتكاب تلك الاعمال في صور لكنه أي الامير لا يستطيع الحصول على تعويضات منها.

عقد الصلح مع مبعوث (للوهابيين) في بوشهر ٢١ ابريل ١٨٦٦م/ ١٢٨٣هـ :

وبعدها مباشرة وصل بوشهر مندوب (للوهابيين) وهو رجل يدعى محمد بن عبدالله بن مانع ومعه طلب محدد للصلح ، والتقى به الرائد بيللي بعد عودته إلى بوشهر في ٢١ إبريل حيث حصل منه باسم أمير (الوهابيين) عبدالله بن فيصل على إعلان بالسلام ، وتطمين للمقيم إلى أن الرعايا البريطانيين سيجدون كل الحماية في الأرض (الوهابية)، ووعد بأن (الوهابيين) لن يتدخلوا في شئون الإمارات العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية مستقبلاً بأكثر من جمع الجزية كما كان يحدث من قبل . مع تأكيد خاص لسلطنة عمان . ورفعت هذه النصوص إلى حكومة الهند ، وبأوامر منها أبلغ المقيم مندوب (الوهابيين) في رسالة للأمير

سلمها اليه بأن الحكومة البريطانية لاتود في الوقت الحاضر أن تتوسط أو تضمن أيه اتفاقية تعقد بين الامير والسلطان لكنها تفوض المقيم في أن يبذل وساطة حميده لصياغة الاتفاق.

وقد أوضح المقيم لمندوب (الوهابيين) أثناء المحادثات التي جرت بينهما في بوشهر أن" الأتفاقية " الموقعة مع الحكومة البريطانية والتي أشار اليها أمير (الوهابيين) فيما سبق لاوجود لها في الواقع ، وان الامير يشير بهذا إلى الخطابات الودية التي كانت الحكومة البريطانية تتلقاها من الأمير بين الحين والحين والتي كان الامير يعتقد أنها اتفاقيات . واتضح أيضاً أن للأمير عبدالله أعداء كثيرين وأن وضعه في بلاده دقيق وحرج . واعتبرت حكومة الهند ، بشكل عام ، أن نتاج عمليات فبراير ١٨٦٦م كان مرضيا على وجه إجمالي ، لكنها اعتبرت الأعمال التي تلتها ، في الدمام وفي صور ، أعمالاً طائشة وغير لازمة .

علاقات الأمير (الوهابي) بتركيا ١٨٦٦م/١٢٨٣هـ

بعثة (وهابية) إلى بغداد أبريل ١٨٦٦م/ ١٢٨٣هـ :

وحوالي نفس الوقت الذي أرسل فيه عبد الله بن فيصل مندوباً عنه إلى بوشهر أرسل مندوباً آخر هو عبد العزيز السويلم إلى الوالي التركي في بغداد ، ليشكو إليه ، فيما يبدو ، أعمال البريطانيين ضد السفن والمواني (الوهابية) وليطلب تدخل الباب العالي من أجل عدم تكرار حدوثها . وكان نامق باشا في البداية مستعداً لأن يطلب عن طريق المقيم البريطاني في بغداد أو مباشرة عن طريق إتصال تلغرافي بنائب الملك في الهند إيقاف أي عمل آخر حتى تتم مناقشة المسألة بين الحكومتين البريطانية والتركية ، لكن مشكلةً ما لانعرف طبيعتها على وجه التحديد ثارت بين والي بغداد ومندوب (الوهابيين) وانتهت بأن غادر الأخير بغداد في ٣ مايو ، وهو يستشعر بالأهانة .

غارة (الوهابيين) على حدود العراق التركي أبريل ١٨٦٦ م/ ١٢٨٣هـ :

وربما كان أحد أسباب تعثر هذه المفاوضات غارة شنها (الوهابيين) بقيادة الأمير عبد الله بنفسه على القبائل العربية المقيمة على حدود العراق التركي . ويبدو أن الأمير عبد الله قد سلك لحملته طريق جبل شمرعند منازل قبيلة الظفير وجانب من فبيلة عنزة . وحين كان يطارد بني الظفير نحوالفرات إشتبك بقبيلة المنتفق ، وحدث بين الجانبين قتال عنيف لم تعرف نتيجته على وجه التجديد[أ] وعاد الأمير بقواته ، بعد توقف قليل قرب الكويت إلى الرياض . وقد أبلغ المسئولين الأتراك في بداية الأمر بأن رعاياهم قد هزموا في هذا الإشتباك، وفي الوقت الذي ساد فيه هذا الإعتقاد كتب والي بغداد لمساعديه في البصرة يأمرهم " بالإغارة على القبائل الموالية (للوهابيين) ، ويوصي باتباع هذه الطريقة نفسها للإنتقام " ، لكن هذا المسئول نفسه إرتضى فيما بعد أن يقبل عشرة خيول وعشرة جمال إعترف زعيم المنتفق بأنه إستولى عليها من (الوهابيين) .

علاقة (الوهابيين) بالكويت

١٨٦٥ – ١٨٧١ م/ ١٢٨٢– ١٢٩١هـ

أشرنا من قبل إلى إستخدام أمير (الوهابيين) للكويت كخط للرجعة بعد الغارة التي قام بها على حدود العراق التركي سنة ١٨٦٦ . ويبدو أن الأمير عبد الله بن فيصل قد عرض على شيخ الكويت فى نفس السنة أن ينضم إليه في القيام بهجوم على مدينة الزبير إذا اتخذ الوالي التركي في العراق قراراً ضد الشيخ في نزاع كان قائماً وقتذاك بينه وبين بعض أقارب له مقيمين في العراق التركي .

---

*(أ) يبدو أن المراد بهذه الغارات الحملة التأديبية لقبيلة الظفير التي أمر بها عبد الله بن فيصل سنة ١٢٨٣هـ ، أنظر إبراهيم بن عيسى ، عقد الدرر صـ٥١ .

علاقة (الوهابيين) بالبحرين وقطر

١٨٦٥ -١٨٧١ م/ ١٢٨٢- ١٢٩١هـ

شيخ البحرين يدفع الجزية (للوهابيين) ١٨٦٦ م/ ١٢٨٣هـ :

أثبت البحث الذي ـ أجراه الرائد بيللي ـ بأوامر من حكومة الهند ـ عقب أزمة سنة ١٨٦٥ ـ ١٨٦٦م / ١٢٨٢ ـ ١٢٨٣هـ أن شيخ البحرين كان مستقلاً تمام الإستقلال عن النفوذ (الوهابي) فيما يتعلق بالجزر التي يحكمها ، لكنه كان يدفع جزية سنوية قدرها أربعة آلاف دولار لأمير (الوهابيين) في مقابل توفير الحماية لرعاياه في إقليم قطر ضد هجمات القبائل الموالية للنفوذ (الوهابي) . وفي نفس الوقت كان لأمير (الوهابيين) في الفترة من ١٨٥٢م إلى ١٨٦٦م ممثل في الدوحة بقطر . ولكن يحتمل أن يكون هذا الممثل مجرد شيخ من الشيوخ المحليين هناك .

غزو البحرين من ساحل (الوهابيين) ١٨٦٩ م/ ١٢٨٦هـ :

وقد تمت عن طريق الساحل (الوهابي) عملية غزو البحرين سنة ١٨٦٩م /١٢٨٦هـ ، ولقي فيها علي بن خليفة الشيخ الحاكم آنذاك مصرعه ، لكن ليس ثمة دليل قاطع علىاشتراك (الوهابيين) فيها ، وقد كتب الأمير يعلن ألاعلاقة له بالأمر كله ، فاكتفت حكومة الهند بأن تطلب منه دون تهديد أن يعمل على منع تكرار هذا العمل في المستقبل .

علاقة (الوهابيين) بسلطنة عمان وبعمان المتصالحة

١٨٦٥ – ١٨٧١ م/ ١٢٨٢ – ١٢٩١هـ

البحرية البريطانية تدمر حصناً في منطقة زورا يناير ١٨٦٦ م/ ١٢٨٣هـ :

أشرنا من قبل خلال حديثنا عن العمليات العسكرية البريطانية التي تمت سنة ١٨٦٦م/ ١٢٨٣هـ إلى هدم قلعة كان شيخ الشارقة الذي كان ممثلاً (للوهابيين) في ذلك الحين قد أقامها في منطقة زورا . وبهدم هذه القلعة عاد السلم الذي كان مهدداً إلى الساحل المتصالح .

قتل وكيل (الوهابيين) في البريمي إبريل ١٨٦٩ م/ ١٢٨٦هـ :

وفي إبريل سنة ١٨٦٩م كان السديري ممثل (الوهابيين) في البريمي موجوداً في الشارقة ومنهمكاً في التآمر والتدخل في الخلافات الداخلية القائمة بين أفراد القواسم حين أطلق عليه الرصاص وقتل مع بعض رجاله في اشتباك وقع في المدينة يومذاك .[أ]

إستيلاء سلطنة عمان على واحة البريمي من أيدي (الوهابيين) .

١٨ يونيو ١٨٦٩ م/ ١٢٨٦هـ :

وتبع هذا الحادث إختفاء (الوهابيين) من البريمي التي ظلوا من قبل مواظبين على احتلالها بصورة دائمة مدة تقارب السبعين عاماً . وربما قبل مصرع وكيل (الوهابيين) في الشارقة كان (الوهابيون) قد طلبوا من السيد عزان بن قيس الذي تولى مؤخراً صلاحيات سلطان عمان أن يدفع لهم الجزية وقاموا بغزوة لصحار . وبعد أن ذاع نبأ مصرع الوكيل (الوهابي) طلب بنو نعيم في البريمي من السيد عزان الإنضمام إليهم لطرد (الوهابيين) من الواحة ، ولم يتردد السيد عزان

---

*[أ] التآمر والتدخل في شئون الغير كلمات يستخدمها رجال السياسة البريطانية في الخليج تجاه السعوديين في الدورين الأول والثاني .

وكان قوي الإرادة حاسماً ، في الإستجابة لهم . وفي يوم ١٨ يونيو سنة ١٨٦٩ على وجه التقريب إستسلمت الحامية (الوهابية) الموجودة في البريمي بعد مقاومة هينة لقوات عزان التي كانت تضم حوالي ١٥٠٠ رجل . وبعد أن وضع السيد في البريمي حامية من جنده ، وعقد تحالفاً مع شيخ أبي ظبي عاد ظافراً إلى مسقط . ولم يكن عبد الله بن فيصل مستعداً لأن يتقبل ببساطة إنتهاء قاعدته في البريمي ونفوذه في سلطنة عمان وعمان المتصالحة بالتالي ، لكن ظروفاً قاهرة هي التي حالت بينه وبين القيام بعمل حاسم لإستعادتها .

إستعدادات لم تكتمل من قبل الأمير (الوهابي) لاستعادة البريمي .

١٨٦٩ ـ ١٨٧٠ م/ ١٢٨٦ ـ ١٢٨٧هـ :

ففي أوائل سنة ١٨٧٠م هبط الأمير عبد الله إلى الأحساء وبدأ هناك يجمع القوات ويعبئها ، وكان من المعتقد أن وكلاؤه يقومون بجمع عدد كبير من القوارب من سواحل قطر والأحساء لإعداد حملة على عمان المتصالحة ومنها على البريمي. وقيل بعدها مباشرةً أن الأمير بنفسه قد إنتقل إلى العقير . وقد تم على أي حال تذكير الأمير بالوعد الذي قطعه على نفسه في سنة ١٨٦٦م بعدم القيام بعمل عدائي ضد أي من الدول العربية المرتبطة برباط العلاقة الودية بالحكومة البريطانية ، ثم أن قيام القوات البحرية البريطانية بالقضاء على بعض الزعماء المتمردين الذين كانوا قد استولوا على البحرين أوضح للأمير أخطار الدخول في صراع مع بريطانيا ، فضلاً عن يقينه بأن الحكومة البريطانية ستعتبره مسئولاً في حالة ماإذا حدث غزو للبحرين من ساحل الأحساء ، ثم أن تحالفاً قام بين شيخ أبي ظبي وسعود شقيق الأمير المتمرد عليه والسيد عزان في مسقط زاد من صعوبة مهمة الأمير (الوهابي) في عمان، هذا أيضا بالإضافة إلى حرارة الجو اللاهبة وندرة مصادر الماء بين الأحساء والبريمي. وفي إبريل سنة ١٨٦٦م عاد الأمير بعد ان أيأسته هذه الصعوبات إلى عاصمته حيث كانت المؤامرات من جانب أقاربه الأدنين قد أصبحت تمثل خطراً كبيراً .

وقد كان ضياع البريمي تأكيداً لحقيقة ظهرت في أوضح صورها من احتلال القوات المصرية لنجد سنة ١٨١٨ ـ ١٨١٩م ، و١٨٣٨ ـ ١٨٤٠م واحتلال الأتراك للقصيم سنة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ م ، وهي أن السيطرة السياسية حتى في جزيرة العرب لايمكن أن تكتمل إلا بوجود القوة المادية الكافية في عدد من المواقع المحددة ، وبفقد بعض هذه المواقع لايمكن إستمرار السيادة السياسية .

تمرد سعود بن فيصل

١٨٧٠ - ١٨٧١م/ ١٢٨٧ - ١٢٨٨هـ

نجاح سعود في تمرده :

وبعد أن قام سعود الأخ الأصغر غير الشقيق للأمير عبد الله بزيارة لسلطنة عمان رجع فأعلن التمرد وبدأ يتلمس الحلفاء والأنصار في كل مكان . وقد إستطاع المقيم السياسي البريطاني أن يرجع شيخ البحرين عن نواياه في تقديم المعونة لسعود، غير أن عدداً كبيراً من قبائل البدو في الأحساء سرعان ماانضموا تحت رايته، وأعلن سعود سيطرته على واحتي الأحساء والقطيف ، وهزم عبد الله هزيمة ساحقة عند آبار جودة في تاف وأسر محمد ، شقيق عبد الله،وحبس في القلعة في الدمام [أ]

فرار الأمير عبد الله :

وهنا يمكننا أن نعتبر فترة الحكم الأولى لعبد الله بن فيصل قد بلغت نهايتها لأنه قد هرب إلى جبل شمر الذي كان أميره مرتبطاً به برباط المصاهرة ، وحاول عن طريق شيخ الكويت طلب المعونة من الأتراك واعداً بأن يدفع لهم الجزية ،

---

*(أ) إعتمد سعود بن فيصل بشكل رئيسي على قبيلة العجمان في محاصرته للأحساء وفي قتاله لجيش عبد الله بن فيصل بقيادة محمد بن فيصل سنة ١٢٨٧هـ وانتصر سعود وجيشه وأسر محمد وسجن في القطيف حتى أطلقه الأتراك فيما بعد ، أنظر إبراهيم بن عيسى - تاريخ بعض الحوادث، ص: ١٨٠-١٨١ .

وكان دفع الجزية للأتراك غير منتظم بل ربما كان منقطعاً تماماً منذ عهد الأمير فيصل .

سعود بن فيصل

١٨٧١ - ١٨٧٥ م/ ١٢٨٨ - ١٢٩٢هـ

غزو الأتراك للأحساء

١٨٧١ م/ ١٢٨٨هـ

وقبل الأتراك دعوة عبد الله دون تردد ، وبادروا فأعلنوه قائمقاماً لهم في نجد ، وأرسلوا - عن طريق شيخ الكويت كما هو مذكور بالتفصيل في مكان آخر- قوات لفتح الأحساء والتقدم منها إلى وسط الجزيرة . وتفاصيل هذه الحملة والأعمال التي تلتها من جانب الأتراك موجودة بالتفصيل في تاريخ الأحساء . فقد نزلوا في رأس تنورة يوم ٢٦ مايو سنة ١٨٧١م/ ١٢٨٨هـ . وسقط القطيف في أيديهم يوم ٣ يونيو ، ثم الدمام في ٥ منه وفي الدمام إستطاع عبد العزيز بن الأمير سعود الهرب لكنه ترك وراءه الأسير محمد بن فيصل الذي أطلق الأتراك صراحه ، وأعلن نافذ باشا قائد القوات التركية في القطيف أن الهدف من هذه الحملة إعادة سلطة (القائمقام) عبد الله في نجد ، وأن سعوداً وأنصاره سيتم العفو عنهم إذا أعلنوا إستسلامهم . وفي يوليو إحتلت القوات التركية واحة الأحساء دون أن تلقى أي مقاومة ولكن إتضحت لهم الآن صعوبات عبر الصحاري واجتيازها إلى الرياض فبقيت الهفوف مقراً لقوات الإحتلال .

تحرك قواد (الوهابيين) ١٨٧١ م/ ١٢٨٨هـ :

ولابد أن عبد الله قد عاد إلى نجد بعد وصول عون الأتراك الذي طلبه ، فقد ذكر أن القوات التركية حين كانت تجتاح الإحساء كان الأمير سعود يحاصر عبد الله في قلعة بإقليم الخرج ، وأرغم عبد الله الذي كانت قبيلة قحطان ماتزال

تناصره ، على الهرب من الخرج ، وحين التقى بسعود مرة أخرى غرب الرياض لم تكن النتيجة في صفه ، وبعدها إستولى الأمير على العاصمة وتعلل عبد الله بعدم أمن الطرق في الداخل ، ولحق بنافذ باشا في الأحساء . لكنه سرعان ماتبين أن للأتراك هدفاً آخر مختلفاً كل الإختلاف عن إعادته إلى السلطة .

وفي أكتوبر ـ وبعد أن ألقي عبد الله زمناً في الحبس [أ] وأرغم على الإستقالة ، إستطاع الفرار من المعسكر العثماني متراجعاً إلى نجد مع إبنه تركي حيث كان قد سبقه شقيقه محمد . أما الأمير سعود ، ربما لأنه كان يأمل أن يخلف عبد الله نائباً للأتراك فقد تجنب بحذر وحرص القيام بأي عمليات عدوانية على القوات التركية في الأحساء . وقد عم التذمر في الرياض نتيجة أعمال قوات البدو الموالية لسعود ، وتملص عمه عبد الله بن تركي من تلك المهمة الثقيلة وهي السيطرة على العاصمة ، فكتب محمد عند ذلك إلى القائد التركي في الهفوف ، وتلقى منه الرد وبعض المال والمؤن وتكريمه بتعيينه مديراً للرياض تحت القائمقام عبد الله . ورداً على هذه الإجراءات قام سعود بالإشتباك مع القوات التركية في الإحساء بقوات جمعها من قبائل العجمان وآل مرة والدواسر ، ولكن لم يقدر له النجاح . وبعد فشله أقام سعود في جوار قطر ، وأرغم أهل هذا الساحل أن يكتتبوا لإعانته هو وأنصاره ، وظل يقوم من حين لحين بإغرات على خطوط المواصلات التركية .

---

*(أ) لم تذكر المصادر المحلية المعاصرة لتلك الأحداث أن عبد الله سجن من قبل الأتراك ولكنه ترك الأحساء وغادر باتجاه الرياض خوفاً على نفسه من الأتراك بعدما لاحظ الدعاية الشديدة ضد حكم أسرته آل سعود من قبل الأتراك ، أنظر إبراهيم بن عيسى ـ تاريخ بعض الحوادث صـ ١٨٣ ، وكذلك عبد الفتاح أبو علية ـ تاريخ الدولة السعودية الثانية ، ص: ٢١١.

الأتراك يضمون إليهم الإحساء نهائياً

١٨٧١ – ١٨٧٢ م/ ١٢٨٨ – ١٢٨٩هـ

وبعد فرار عبد الله وهجوم سعود على الأحساء أعلن مدحت باشا والي بغداد خلال قيامه بجولة زار فيها الهفوف في نهاية نوفمبر سنة ١٨٧١م أن الحكم (الوهابي) في نجد قد إنتهى ، وأن الأتراك سيحكمون البلاد حكماً مباشراً ، وعين نافذ باشا أول متصرف تركي . وقد أعلن أن هذه الخطوات تم إتخاذها بناءً على إلتماس قدمه أهل الإحساء ، ولكن يبدو أن هذا الإلتماس قد أسيء فهمه ، أو أسيء تقديمه . وعلى أي حال .. ففي مثل تلك المرحلة المبكرة ربما كان حكم الأتراك مفضلاً عند أهل الأحساء بالنظر إلى مرونته في بعض النواحي ولأن أهل الأحساء لم يكونوا يرتاحون إلى حكم (الوهابيين) على الإطلاق [أ] .

النتائج السياسية لضم الأحساء لتركيا :

وقد تأثر التاريخ التالي لنجد تأثراً كبيراً بضم الأتراك للأحساء ، لأنه وضع كل الطرق المؤدية من البحر إلى بلاد (الوهابيين) تحت سيطرة العثمانيين . والحقيقة أن كل السبل المطروقة المؤدية إلى وسط الجزيرة عدا طريق الكويت كانت تمر بأرض تركيا . وهكذا تحكمت قبضة الباب العالي في نجد . ويجب أن نلاحظ هنا أن إحتلال الأتراك للأحساء بسبب عدم إمكان تدعيمه إلا عن طريق البحر قد جعل وضع تركيا في الخليج أكثر تعرضاً للخطر في مواجهة الدول البحرية عما كانت.

---

*[أ] هذه وجهة نظر الكاتب في حينه ولو قدر لهذا الكاتب أن يؤرخ ضم الأحساء من قبل الملك عبد العزيز فيما بعد سنة ١٣٣١هـ / ١٩١٣م لأدرك رفض أهل الأحساء للحكم التركي وكذلك أن أعيانهم نسقوا مع الملك عبد العزيز بل ودعوه ليكونوا جزءاً من دولته .

مسلك قادة عليه من قبل . (الوهابيين) ١٨٧٢ م/ ١٢٨٩ هـ :

وكتب الأمير عبد الله بعد ذلك يلوم الأتراك لمسلكهم هذا المزدوج ، وفي غير مرة واحدة تم ترتيب تسوية صورية للأمور بينه وبين أخيه سعود ، لكن هذه التسوية كانت تنهار دائما نتيجة غدر عبد الله ومهاجمته القبائل المخلصة لأخيه سعود مثل آل مرة والعجمان ، كما أن الأمير سعود أيضا قد بدد جانباً كبيراً من قواه التي كان يجب أن يحتفظ بها لحرب الأتراك في منازعات ومناوشات مع قبائل صغيرة مجاورة .

الأعمال التالية لزعماء (الوهابيين) وعلاقتهم بالأتراك

١٨٧٢ – ١٨٧٤م / ١٢٨٩ – ١٢٩١هـ

هزيمة الأمير سعود قرب الكويت ١٨٧٢ م/ ١٢٨٩هـ :

في أوائل سنة ١٨٧٢م / ١٢٨٩هـ ظهر الأمير سعود إلى جوار الكويت بقوات سادها الإنقسام والتمزق ، وهدد بنهب المدينة إن لم تجب طلباته فيها ، واستطاع شيخ الكويت بعد أن أغرى معظم أنصاره بالإبتعاد عنه أن يهاجمه ويرغمه على الفرار بصحبة خمسة عشرة رجلاً من أنصاره فقط .

بعثة حاجي أحمد خان ، وقبض الأتراك غدراً على شقيق الأمير ووكيله .

١٨٧٢ – ١٨٧٣ م/ ١٢٨٩ – ١٢٩٠هـ :

وكان الأتراك وفي ذلك الوقت قد قطعوا شوطاً في مفاوضتهم مع سعود ، وعرضوا عليه الإعتراف بسلطته شرط أن يعترف بتبعيته للباب العالي ، وأن يتخلى عن منطقة الساحل، ويدفع الجزية السنوية كما كان أبوه الأمير فيصل يفعل وأن يدفع تعويضاً للأتراك عن عملياتهم في الأحساء ، ويرسل إثنين من أبنائه ليقيما رهينتين في بغداد . وعقب عودة سعود من الكويت ، وحين وجد أنه يواجه

ظروفاً بالغة القسوة . كتب الأمير إلى حاجي أحمد خان في بوشهر ـ الذي أصبح فيما بعد نائب الحاكم في بندر عباس والذي كان سابقاً وزيراً لسلطان عمان ـ يفوضه في قبول الشروط بإسمه . وبعد زيارة قام بها حاجي لرءوف باشا والي بغداد وصل إلى الأحساء في سبتمبر سنة ١٨٧٢م . لكن الأمير سعود ـ الذي كان لايثق على الإطلاق في نوايا أخيه عبد الله ولانوايا الأتراك ـ رفض أن يغادر إقليم الخرج الذي كان مقيماً به وقتذاك ، وتعذر عقد لقاء شخصي ، فأرسل لتمثيله شقيقه عبد الرحمن ورجلاً يدعى فهد بن سويدان كان قد جعله وكيلاً له في الأحساء، واستطاع أحمد خان إستدراج عبد الرحمن إلى بغداد حيث ألقي في السجن كرهينة ، ولم يلق فهد معاملة أفضل فقد ألقي القبض عليه في فبراير سنة ١٨٧٣م بتهمة التآمر وكبل بالأغلال ثم أرسل بدوره إلى سجن بغداد .

طرد عبد الله من جنوبي نجد ١٨٧٣م / ١٢٩٠هـ :

وأخيراً بدا أن وضع سعود آخذ في التحسن ، فقد أدى قبض الأتراك على أحد شيوخ العجمان الكبار إلى وقوف كثيرين منهم في صفه (أ) ، فاستطاع أن يوقع الهزيمة بعبد الله في الخرج وأن يحاصره في الرياض ، وأخيراً استطاع الإستيلاء على العاصمة وفر عبد الله إلى جوار الكويت ، أو أنه كما تقول رواية أخرى ، قد وجد له ملجا بين قبائل البدو في إمارة جبل شمر (١) وكان عبد الله وثيق الصلة ببيت رشيد فقد تزوج أولاً نوره (٢) إبنة أمير شمر المعروفة ، وتزوج بعد موتها شقيقة حميد بن عبيد ، لكن الأمير محمداً لم يكن يسمح له

*(أ) لعل المراد بأحد شيوخ العجمان راكان بن حثلين شيخ العجمان الذي إعتقلته الحامية التركية بالأحساء وأرسل إلى استانبول حيث سجن لمدة تقرب من السبع سنوات في بلاد البلقان ولكن أفرج عنه من قبل السلطان العثماني لعمل بطولي قام به في حرب قامت مع أعداء الدولة.

(١) ربما كانت هذه الرواية تشير إلى فراره الأول إلى جبل شمر سنة ١٨٧٠.

(٢) كان شقيقها محمد ، أمير شمر ، معتاداً على القسم بإسمها دائما لتأكيد مايقول .

بالإقتراب من حائل ، ولم يفعل له شيئاً أكثر من إمداده ببعض الخيول والجمال والأغنام التي طلبها لمؤونته .

مفاوضات عبد الله مع الأتراك :

وقد نصح محمد شقيقه عبد الله في ذلك الوقت بالإستسلام لسعود ، لكنه لم يقبل مجرد مناقشة الفكرة ، وقام بدلاً من ذلك بمحاولة الإتصال بناصر باشا زعيم المنتفق وممثل الأتراك، ولم يكن هو يستطيع أن يغامر بالسير إلى بغداد أو حتى إلى الكويت ، فأرسل سكرتيره الموثوق به ، محبوب ، وكان رجع الآن يتصدر رجاله كما سبق لعبد الله أن جعله على البريمي لكنه طرد منها وذلك لنقل مقترحاته إلى الأتراك . وكانت هذه المقترحات تتمثل في أن يحتفظ لنفسه بالقطيف والأحساء على أن يدفع عنهما الجزية ، بشرط ألا يضع نفسه تحت سيطرة تركيا .

تمرد غير ناجح يقوده شقيق الأمير عبد الرحمن ضد ممثل تركيا في الأحساء .

١٨٧٤ م / ١٢٩١هـ :

وفي مارس ١٨٧٤م / ١٢٩١هـ إستجاب الأتراك لنصح ناصر باشا زعيم المنتفق فسحبوا قواتهم العسكرية من الأحساء ، وجعلوا عليها براك بن غرير شيخ بني خالد ممثلاً لهم كحاكم ، وتركوا له حامية صغيرة من رجال الشرطة . وفي أغسطس من نفس السنة أطلق الأتراك صراح عبد الرحمن ، شقيق سعود ، ثم تبعه فهد بن سويدان [أ] ، ووصل عبد الرحمن بعدها إلى البحرين حيث بدأ في مراسلة قبائل الأرض المجاورة ، وبعدها بأسابيع نزل إلى العقير حيث لحق به آلاف من العجمان وآل مرة وسواهم من القبائل ، وقتل بعض أفراد من الشرطة وحاصر براك في قلعة الهفوف ، لكن الإنقسامات سرعان مادبت بين أنصار عبد الرحمن من قبيلة العجمان . وحين وصل ناصر باشا زعيم المنتفق وهو الذي كان قد رتب هذه الإتفاقية بالنسبة لبراك ومعه قوات تركية كبيرة إختفى جيش (الوهابيين) تماماً،

---

*(أ) ورد في المصادر المحلية بأن إسمه فهد بن صنيتان ، إبراهيم بن عيسى - تاريخ بعض الحوادث ، ص :١٨٦.

وسار عبد الرحمن ليلحق بشقيقه أمير الرياض ، وقد أوقع الأتراك بعد رحيله عقاباً قاسياً بالقبائل التي ناصرته بالأحساء .

موت سعود :

وفي ٢٥ يناير سنة ١٨٧٥م / ١٨ ذي الحجة ١٢٩١هـ مات الأمير سعود بالجدري .

علاقة الأمير سعود بالحكومة البريطانية

١٨٧١ – ١٨٧٥م / ١٢٨٨– ١٢٩١هـ

السياسة العامة للحكومة البريطانية :

كان سعود أثناء فترة حكمه القصيرة المضطربة يتراسل مع المقيم البريطاني في بوشهر بحرية كاملة لكنه لم يتلق العون الذي كان يهدف إليه من هذا التراسل . وفي تاريخ الأحساء تحليل تفصيلي لسياسة الحكومة البريطانية تجاه إحتلال تركيا لهذا الإقليم وكانت هذه السياسة ـ باختصار ـ تقوم على طمأنة حكام الإمارات العربية المجاورة للأحساء ، ومنعهم من الإشتباك مع الأتراك ، وتحديد مدى العمليات التركية العسكرية قدر الإمكان .

المراسلات مع سعود ١٨٧١– ١٨٧٣م / ١٢٨٨– ١٢٩٠هـ :

ففي بداية الحرب طلب سعود من السلطات البريطانية إما أن تمنع شيخ الكويت عن تقديم العون للأتراك ممثلاً في السفن الحربية أو تسمح له ـ أي لسعود ـ بالقيام بعمل بحري ضد هذا الشيخ ، لكنه لم يتلقى رداً على رسالته تلك . وفي سبتمبر ١٨٧١م ذكر سعود في رسالة له أن العمليات التي ينفذها الأتراك ضده إنما تدخل في نطاق الإعتداءات البحرية التي إعتادت الحكومة البريطانية أن تمنعها . واقترح ان تقوم ـ بريطانيا بدور الوسيط بينه وبين الأتراك . وفي يونيو ١٨٧٢م

وفي مارس ومايو ١٨٧٣م كرر سعود المطالبة بمعونة السلطات البريطانية على عدة أسس ، وخاصة تلك الصداقة القديمة بين أمير نجد والحكومة البريطانية والسياسة التقليدية لهذه الحكومة نفسها في منع النزول إلى شواطيء الخليج والتي بسببها أهمل سعود ، أو هكذا زعم ، الدفاع عن إقليم الأحساء . وأخيراً تخلى الأمير عن نغمة المحَاجة هذه ، وطلب ببساطة وصراحة عون السلطات البريطانية مستنداً إلى نواياها الحسنة . وبعدها صدرت التعليمات للمقيم العام ـ الذي كان قد رفع مشكلة طلب سعود العون البريطاني كحق من حقوقه ـ بابلاغ الأمير سعود إنه ليس طرفاً في أي معاهدة بحرية مع بريطانيا ، وإنه لم يتلق منها أي وعد بالحماية، وليس له بالتالي أي حق في طلب وساطة بريطانيا أو عونها .

إطلاق صراح شقيق الأمير ووكيله :

أما عن وكيله في الأحساء ، فهد بن سويدان ، فقد شكى الأمير سعود إلى المقيم البريطاني في الخليج غدر الأتراك به وإلقاءهم القبض على وكيله هذا ، ورد عليه المقيم بأن الحكومة البريطانية ليس بوسعها أن تتدخل في مثل هذه المشكلة، لكنه رفع الأمر إلى المقيم البريطاني في بغداد والسفير البريطاني في القسطنطينية، وربما جاء إطلاق صراح عبد الرحمن وفهد فيما بعد نتيجة مساعي هذا السفير .

عبد الله بن فيصل (فترة حكمه الثانية)

١٨٧٥ – ١٨٨١ م/ ١٢٩١– ١٢٩٩هـ

التاريخ العام لنجد ١٨٧٥ – ١٨٨١م

الإنقسامات بين آل سعود يناير ـ يوليو ١٨٧٥ م :

ترك موت سعود بن فيصل حكم (الوهابيين) نهباً للخلاف الشديد بين مختلف الأقارب. وكان عبد الرحمن بن فيصل ميالاً إلى التفاهم مع أخيه غير الشقيق عبد الله ، لكن الدعاة (الوهابيين) لم يكونوا يوافقون على ذلك نظراً لعلاقات

عبد الله بالأتراك . ويبدو أن قوة أرسلت ضده فعلاً من الرياض في إبريل سنة ١٨٧٥ على وجه التقريب ، وانضم أكبر أبناء الأمير السابق سعود إلى جماعة عبد الرحمن في العاصمة ، على حين أرغم عبد الله على البقاء خارجها والعسكرة بجنده خارج أسوارها . وفي يوليو ، تلقى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر ووكيل المقيمية في البحرين رسائل من عبد الرحمن يعلن فيها أنه الآن أمير نجد وأنه مسيطر على العاصمة وأن عبد الله قد أصبح شريداً في الصحراء غير أنه لم يتلق رداً على رسائله تلك .

الصلح بين أفراد أسرة آل سعود أغسطس ١٨٧٥ م :

وفي أغسطس على وجه التقريب إستطاع عبد الله أن يهزم عبد الرحمن ويعود ليدخل مدينة الرياض وليقيم من نفسه ـ في ظاهر الأمر على الأقل ـ حَكَماً في النزاعات السائدة بين آل سعود . وأصبح عبد الرحمن وزيراً لعبد الله وناصحاً أميناً له . وتصالح محمد وعبد العزيز أكبر أبناء الأمير الراحل سعود وكانا مايزالان صغيران وبلانفوذ ـ مع عمهما عبد الله. وقد أدى هذا الصلح بين أبناء سعود إلى أن يتراجع متصرف الأحساء عما جاء في رسالة منه كان كتبها إلى عبد الله يغريه فيها بالحرب حين كان عبد الرحمن على عرش الرياض . وظلت قبيلة العجمان هي القبيلة الوحيدة التي لم تعلن خضوعها فوراً لسلطة الأمير عبد الله .

التمرد على الأتراك في الأحساء ١٨٧٨م / ١٢٩٥هـ :

وفي نهاية سنة ١٨٧٥م حتى نهاية سنة ١٨٧٨ ساد الهدوء في ظاهر الأمر وسط الجزيرة ، ولكن في صيف سنة ١٨٧٨م إندلع تمرد في الأحساء ضد الإدارة التركية يتزعمه محمد وعبد الرحمن ولدا الأمير (الوهابي) الراحل سعود . غير أن هذا التمرد لم ينجح على نحو ماهو مذكور في تاريخ الأحساء رغم الإنتصارات الأولية التي أحرزها . وفي ديسمبر سنة ١٨٧٨م وصل الزعيمان (الوهابيان) مهزومين إلى البحرين ومعهما حوالي ٦٠ رجلاً من أنصارهما ، وهناك إستقبلهما

شيخ البحرين الذي بذلت السلطات البريطانية جهداً كبيراً لمنعه من المبالغة بإعلان مظاهر الحفاوة بهما .

الإنقسام ثم الصلح بين آل سعود ١٨٧٩ - ١٨٨٠م/ ١٢٩٦-١٢٩٧هـ :

وفي سنة ١٨٧٩م إختلف الأمير عبد الله مرة أخرى مع ولدي أخيه سعود فطردهم في أول إبريل من هذه السنة من الخرج واستطاع محمد أكبر الإثنين أن يستعيد الخرج في أكتوبر أو نوفمبر التالي ، لكن نجاحه لم يعمر طويلاً ، لأن عمه كان عائداً لتوه من غارة ناجحة على بني مرة فقام بهجوم مفاجيء على الخرج واستطاع أن يأسر محمد بن سعود . ويبدو أن الأمير لم يسجن محمداً طويلاً لأنه قد ذكر في سنة ١٨٨٠م أنه على حين كان عبد الله بن فيصل مع أخويه محمد وعبد الرحمن يعيشون في الرياض ويحكمون أقاليم العارض وسدير والوشم كان ولدا سعود يحكمان بموافقته الخرج والحوطة والحريق والأفلاج ، ويتوليان شئون قبائل العجمان والدواسر وآل مرة . وفي نفس السنة أصبح من المتوقع حدوث هجوم جديد (للوهابيين) على العراق ، وانتشرت شائعات كثيرة أثارت الفزع والرعب ، ربما كان يروجها أنصار قبيلة المنتفق التي كانت متمردة في العراق آنذاك ، غير أن شيئاً يبرر هذا النزاع الشامل لم يقع .

رحلة عبد الله بن عبد الله إلى القسطنطينية ١٨٧٩- ١٨٨٠م/ ١٢٩٦- ١٢٩٧هـ :

وفي سنة ١٨٧٩م ظهر مطالب جديد لأمارة (الوهابيين) هو عبد الله بن الأمير (الوهابي) السابق عبد الله بن ثنيان . لقد قام هذا الرجل ، الذي كان مستقراً في البصرة منذ سنة ١٨٧٦م ، برحلة إلى القسطنطينية بالسعي لإستصدار فرمان من الباب العالي بالوكالة عنه في نجد والأحساء ، بحيث يتولى دفع جزية الإقليمين ويدين للسلطان بالولاء . فإن لم يتحقق له ذلك فلا أقل من أن يؤمن لنفسه نصيباً من أملاك آل سعود في الأحساء التي صادرتها السلطات التركية . وفي طريق عودته إلى الخليج قام عبد الله بن عبد الله بزيارة للرائد روس المقيم السياسي البريطاني في بوشهر ، وحاول إقناعه بالمزايا التي ستتحقق للأتراك لو عينوه ،

وطلب إليه أن يحصل له على دعم من السفير البريطاني في القسطنطينية لمطالبه تلك . ومن جدة - حيث إلتقى بمستر زهراب القنصل البريطاني هناك كتب عبد الله بن عبد الله مرة أخرى للرائد روس مؤكداً الفوائد التي ستعود على المصالح البريطانية والتركية جميعاً من خطته ، ومشيراً إلى الفائدة التي ستحقق في حالة إقراضه أموالاً إنجليزية. وقام عبد الله بعد ذلك بزيارة للقاهرة حيث إلتقى بمستر ماليبت القنصل البريطاني فيها ، ثم صار إلى دمشق في يوليو حيث إلتقى هناك أيضا بنائب القنصل البريطاني .غير أن الحكومة البريطانية إتخذت قراراً على أي حال بألا علاقة لها بالطلب الذي قدمه عبد الله للقسطنطينية ولم يسمع أحد عن مشروعات عبدالله هذا منذ وصوله إلى القسطنطينية مرة أخرى في آب أغسطس سنة ١٨٨٠م .

الوضع في سنة ١٨٨١ م/ ١٢٩٨هـ :

وفي سنة ١٨٨١م كان الأمير عبد الله مايزال يسيطر على الرياض ، وكان يزوره هناك من وقت لآخر إبن أخيه محمد وزعماء قبائل العجمان الذين كانوا ساخطين على الحكم التركي .. رافضين الإقامة في الأحساء ، وأصبحت لهم علاقات شخصية وثيقة بالأمير عبد الله .

بداية الأعمال العدائية بين أمير جبل شمر (والوهابيين)

١٨٧٧ - ١٨٨٤ م/ ١٢٩٤-١٣٠١هـ

وفي نفس هذا الوقت حدث إضطراب لم يكن أحد آنذاك قادراً على التكهن بتأثيره على الدولة (الوهابية) . وكان ذلك في العلاقات القائمة بين عائلة آل رشيد الحاكمة لجبل شمر بالشمال وحاكم الرياض . ويبدو أن أول الأعمال العدائية في هذا الصدد كانت تلك الحملة التي قام بها أمير جبل شمر ١٨٧١م على قبيلة عتيبة الموالية (للوهابيين) ، وبعدها بدأ أمير الشمال يهاجم أرض (الوهابيين) حيث لهم

سيادة إسمية على الأقل هجوماً سافراً إستولى به على إقليمي القصيم وسدير واحتل مدينتي بريدة والمجمعة لكن عنيزة في القصيم ظلت ممتنعة عليه . وفي فبراير سنة ١٨٨٠م كان من المعتقد ان تفاهماً قد تم بين إبن رشيد وإبن سعود ولكن لو صح هذا فإن هذا التفاهم لم يعمر طويلاً . ففي سنة ١٨٨٢م حاول أمير (الوهابيين) إستعادة القصيم وسدير بالقوة المسلحة لكن قوات إبن رشيد كانت أكثر من قواته عدداً فاضطر للتراجع إلى الرياض ، واكتشف بعد ذلك أن ابن رشيد كان يتآمر مع ابناء أخيه سعود لينضموا إليه أو ليظلوا على الأقل محايدين . وحتى يزيد عبد الله من تماسك القضية (الوهابية) إستعاد في مارس سنة ١٨٨٣م لقب الإمام إلى جانب السلطة الزمنية بطبيعة الحال . وظل كل جانب يقوم بغارات على أنصار الجانب الآخر، وفي سنة ١٨٨٥م إستطاع محمد ابن سعود أن يحرز إنتصاراً على أمير شمر في القصيم وأرغمه على الجلاء مؤقتاً عن بريدة ، لكنه عرف من خطابات وقعت في يده أن عمه يتآمر لإيقاع الهزيمة به وقتله، فأوقف عملياته العسكرية وعاد إلى مستقره في الخرج . بعد ذلك أصبح الإنتصار بشكل عام من نصيب ابن رشيد الذي كان لديه أربعة مدافع متنقلة وعاد كبير من بنادق المارتيني . وكان تنظيمه العسكري أكثر كفاءة من تنظيم قوات (الوهابيين) ، وقيل أيضا أنه كان يستفيد من صداقته لشيخ الكويت .

إستمرار الإنقسام بين آل سعود وعزل الأمير عبد الله

١٨٨٤ - ١٨٨٧ م/ ١٣٠١- ١٣٠٥هـ

ووضح أن الخلافات بين الأمير عبد الله وأبناء أخيه لم تنتهي ، لكن قلة معلوماتنا عن هذه الخلافات تجعل أسبابها عندنا مختلفة بشيء من الغموض . فنحن نعرف أن أبناء سعود كانت لهم علاقة ما بالبحرين لأن محمد بن سعود وصل هناك في فبراير سنة ١٨٨٦ م وظل بها قرابة الشهر ، وكذلك زارها أخوه عبد الله في أغسطس من نفس السنة ، وقيل عن زيارته أنها كانت للحصول على بعض

المعونة والهدايا . وفي نفس الوقت كانت سلطة الأمير عبد الله في نجد ماتزال قائمة ، وإن تكن مهتزة غير ثابتة ، لكنه ظل يسيطر على العاصمة حتى خريف سنة ١٨٨٧م حين أسره أبناء أخيه بغتة وسجنوه . وكتب محمد بن سعود عقب ذلك إلى شيخ البحرين وشيوخ عمان المتصالحة يعلن إليهم توليه إمارة نجد ، غير أن هذا الإنتصار لم يدم طويلاً كما سنرى .

علاقة الأتراك بوسط الجزيرة خلال هذه الفترة

١٨٧٥ – ١٨٨٧م / ١٢٩٢–١٣٠٥هـ

مما تقدم يتضح لنا أن علاقة الأتراك (بالوهابيين) خلال الفترة الثانية من حكم عبد الله بن فيصل علاقة هينة ، ولانكاد نعرف عنهم شيئاً اللهم إلا التمرد الذي حدث ضدهم في الأحساء سنة ١٨٧٨م ، لكن النفوذ التركي - في حين أنه لم يكن موجوداً على وجه التقريب في نجد الجنوبية - إلا أنه كان يزداد يوماً بعد يوم في جبل شمر . فقد حدث إحتكاك بين أمير شمر والأتراك ، كما هو مذكور في جبل شمر ، وذلك على الحدود السورية سنة ١٨٧٢م وربما أيضاً سنة ١٨٨٠م ، لكن في سنة ١٨٨٦م إستقبل الأمير بحفاوة كبيرة وفداً تركياً كان الهدف من إرساله الحصول على إذن بتشييد مسجد ومدرسة تابعين للسلطات العثمانية في حائل ، وحملهم الأمير بالهدايا قبل رحيلهم وإن لم يجب مطلبهم . وخلال هذه الفترة التي نتعرض لها أفصح الأتراك عن غيرتهم الشديدة من النفوذ الذي توهموا أن بريطانيا كانت تتمتع به في وسط الجزيرة .

علاقة بريطانيا بوسط الجزيرة خلال نفس الفترة

١٨٧٥ – ١٨٨٧م / ١٢٩٢– ١٣٠٥هـ

وفي حقيقة الأمر لم يكن للسلطات البريطانية كما رأينا أي علاقة بنجد على الإطلاق ، بل وحتى معلوماتها عن الأحداث التي كانت دائرة فيها معلومات ناقصة

إلى أبعد الحدود . فإهمال الحكومة البريطانية الرد على خطاب من عبد الرحمن في سنة ١٨٧٥م ، ونصيحتها لشيخ البحرين بألا يقحم نفسه في شئون (الوهابيين) سنة ١٨٧٨م ، ثم لامبالاتها التامة باقتراحات عبد الله بن ثنيان في سنة ١٨٨٠م تعزز جميعها موقف بريطانيا المشار إليه .

فترة خلو العرش (الوهابي) من أمير

١٨٨٧ – ١٩٠٢ م / ١٣٠٥– ١٣١٩هـ

أمير جبل شمر يغزو جنوبي نجد

١٨٨٧– ١٨٩٢ م/ ١٣٠٥– ١٣١٠هـ

ابن رشيد يغتصب حكم نجد الجنوبية ١٨٨٧ – ١٨٨٨ م/ ١٣٠٥– ١٣٠٦هـ :

حين نمى إلى علم أمير جبل شمر ، وهو آنذاك محمد بن عبد الله بن رشيد خبر أسر الأمير عبد الله على يدي أبناء أخيه بادر إلى السير بقواته نحو الرياض التي استسلمت له وفتحت أبوابها عقب دفاع قصير . وحين رحل ابن رشيد اصطحب معه الأمير المعزول وجعل على الرياض وكيلاً عنه يشرف على حكم أقاليم (الوهابيين) بالتعاون مع محمد بن فيصل شقيق الأمير السابق ، ثم أبلغ الأتراك بنبأ إنتصاره الذي زعم أنه قد أحرزه باسمهم . وفي أغسطس ١٨٨٨م ـ ربما باقتراح من الأمير السابق عبد الله أمر وكيل ابن رشيد في الرياض بأن يقتل محمد وعبد الله في الخرج ، وهما الإبنان الباقيان من أبناء الأمير (الوهابي) السابق سعود بن فيصل ، باستثناء عبد العزيز الذي ألتحق بمقر أعمامه في حائل . ولقد أثبتت هذه المذبحة التي نفذها وكيل ابن رشيد في الرياض مع قوة قوامها ١٨

رجلاً فقط قوة النفوذ الطاغي الذي أصبح لأمير الشمال في نجد الجنوبية . ومرت شهور طويلة وأنصار محمد بن سعود الذي كان الناس يحبونه حباً جماً عاجزون عن تصديق أنه مات ، مؤملون أن يعود إليهم يوماً بعد هربه واختفائه .

بعض النجاح يحرزه آل سعود ضد ابن رشيد ١٨٩٠م / ١٣٠٧هـ :

أما الأمير السابق عبد الله الذي أصبح الآن قليل الخطر فقد سمح له في خريف سنة ١٨٨٩م بالعودة من حائل إلى الرياض حيث مات بعد وصوله مباشرة، لكن عبد الرحمن ـ أخاه ومستشاره السابق ـ إستطاع في العام التالي أن يستولي على الرياض وأن يأسر ابن سبهان وكيل أمير شمر الذي أعدم ابني سعود . وكان من المعتقد أن عبد الرحمن قد قام بعمله هذا إستجابة لنصيحة العاطفين عليه في القصيم الذين قالوا له إن ابن الرشيد يعد خطة لإبادة كل من بقي على قيد الحياة من نسل فيصل أمير (الوهابيين) الأسبق . واستسلم وكيل أمير شمر في الخرج ، دون مقاومة، كما تذكر إحدى الروايات . وأعلن زعماء عنيزة وبريدة ـ وأهل القصيم بشكل عام ولاءهم لعبد الرحمن .

وسار أمير شمر الغاضب إلى الرياض مع قوات من قبائل شمر وحرب وغيرها ، غير أن حصاره للرياض لم يكن فعالاً ، ولم يكن ضربه لها بالمدافع ذا جدوى ، وبدأت الإغتيالات والمذابح تحدث بين قواته ، وراح أنصاره من البدو يتخلون عنه ، فاضطر للدخول في صلح أضحت بمقتضاه أقاليم الخرج وسدير والوشم تابعة له ، على أن يترك الرياض وبقية نجد الجنوبية ككل . وتجمعت قبائل البدو من مطير وعتيبة للقضاء على سلطة ابن رشيد ، وتوقفت الخلافات الدامية ، وتناسى الناس الإنشقاقات العائلية في مواجهة طغيان ابن رشيد ، وكانت هذه الجبهة الموحدة بزعامة زامل أمير بريدة .. ومن بيته أعلنت الحرب .

معركة بريدة وانتصار ساحق لابن رشيد ١٨٩١م / ١٣٠٨هـ :

وفي فبراير ١٨٩١م كانت قوات هؤلاء الحلفاء قد وصلت القصيم وتجمعت هناك معتمدة على مدينتي عنيزة وبريدة . وقيل أن عدد الرجال الذين كانوا في الميدان آنذاك لم يعرفه وسط الجزيرة في تاريخها كله . وانضم حسن بن مهنا ، زعيم بريدة الذي كان أمير شمر يعتمد إعتماداً كبيراً على مساعدته ، إلى الحلفاء بمجرد بدء الإشتباكات . وظل القتال دائراً طوال شهر كامل دون الوصول إلى نتائج حاسمة . ورغم استخدام أعداد كبيرة من الجمال لنقل المياه والمؤن إلا أن إمدادات قوات ابن رشيد بدأت في التناقص . وقرب نهاية مارس حاول ابن رشيد عدة مرات أن يقوم بهجوم يائس لصدع جبهة الحلفاء لكن رجاله كانوا يصدون في كل مرة رغم تفوق سلاحهم على سلاح (الوهابيين) ويتكبدون في هجماتهم خسائر دامية . وأخيراً جهز ابن رشيد قواته كلها وعبأهم للقيام بهجوم حاسم وجعل أمام قواته عدة آلاف من الجمال ستاراً للتغطية ، ورغم أن الخسارة في الجمال كانت فادحة إلا أن قوات ابن رشيد استطاعت أن تجلي قوات القصيم من مواقعها . وقيل إن مئة رجل قد قتلوا في هذه المعركة التي تعرف باسم معركة بريدة أو معركة المليدا [١]، وكان بين القتلى زامل ونائبه علي ، كما قتل في المعركة أيضاً إثنان من أقاربهما وقبض على آخرين سجنا في حائل ، وفر حسن بن مهنا أمير بريدة لكنه قبض عليه في الصحراء وسجن في حائل واستسلمت مدينتا عنيزة وبريدة ، وأرسلت مدينتا الرس وشقراء بل وحتى الرياض تطلب الصلح من الأمير المنتصر ، ولجأ عبد الرحمن بن سعود إلى البحرين ، ووضع أمير شمر حاكماً باسمه ينوب عنه في القصيم .

---

(١) في نجد تعرف هذه المعركة باسم معركة المليداء نسبة إلى مكان بهذا الإسم قريب من شيحية . والرواية التي سقناها هنا إعتمدنا فيها على كتاب البارون نولد " الحرب في وسط الجزيرة .. " (بالألمانية) .

محاولة فاشلة لتجديد الحرب ضد ابن رشيد يقوم بها عبد الرحمن بن سعود :

وبعدها بقليل لقي نائب ابن رشيد في الخرج مصرعه في اشتباكات مع قبيلة العجمان، وبعد أن نهبت قافلة من قوافل الحجاج ، وانتهز عبد الرحمن هذه الفرصة ليعود إلى إحتلال الخرج والرياض ، غير أن أمير شمر باغته وهزمه هزيمة ساحقة، ثم أمر بقلاع الرياض فسويت بالأرض . وأحرق نصف أشجار النخيل المثمرة ، وحول قلعة القصر في الرياض إلى خرائب . وانتهت الحرب عندئذ . وأصبحت قبضة إبن رشيد محكمة على وسط الجزيرة كلها، ولم يعد من آل سعود إلا عدة أفراد مشردين هائمين .

الحركة التالية لعبد الرحمن ١٨٩١ - ١٨٩٢ م / ١٣٠٩ - ١٣١٠هـ :

ولحق عبد الرحمن أولاً ببدو الأحساء ، وظل مقيماً بينهم فترة قصيرة يخاف في كل يوم أن يقبض عليه من أنصار أمير شمر ، وعاش من أغسطس إلى نوفمبر ١٨٩٢م في حماية شيخ الدوحة بقطر ، ولحقت به عائلته التي كانت في البحرين . وأخيراً في نوفمبر سنة ١٨٩٢م وبدعوة من الوالي التركي في البصرة إستقر عبد الرحمن في الأحساء وجعل له راتب شهري قدره ٣٣ ليرة عثمانية ضمنها له الباب العالي(أ) .

علاقة أمير شمر بالأتراك أثناء حكمه نجد الجنوبية

١٨٩١ - ١٩٠٠ م/ ١٣٠٩ - ١٣١٨هـ

في سنة ١٨٨٨م ، وعقب النصر الأول على آل سعود ، إتصل ابن رشيد بالأتراك ، واعترف بتبعيته للباب العالي . وأعلن أنه قام بهذه الفتوحات باسمه . وتلقت الحكومة التركية هذا الإعتراف بالرضا والإرتياح.

---

*(أ) تجمع جميع المصادر أن إقامة الإمام عبد الرحمن بن فيصل كانت في الكويت بعد قطر ولم يقيم بالأحساء البتة وينفرد هذا المؤلف بهذه المعلومة وبأن إقامته كانت بالأحساء بعد قطر قبل الإنتقال إلى الكويت.

توقع حملة على عمان المتصالحة وسياسة الباب العالي في نجد .

١٨٨٨ - ١٨٨٩م / ١٣٠٦- ١٣٠٧هـ

وفي نفس السنة دارت شائعات ملحة بأن ثمة حملة يعدها ابن رشيد باسم الأتراك لغزو عمان المتصالحة ، للتعاون مع شيوخ آل ثاني في الدوحة بقطر ، وتفاصيل الجوانب المحلية لهذه الحادثة وارده في تاريخ عمان المتصالحة . ولنا أن نشك في أن مثل هذا المشروع كان حقيقياً بالفعل ، اللهم إلا بالنسبة لشيوخ آل ثاني فقط ، لكن الذي حدث أن هذه الشائعات كانت ملحة إلحاحاً جعل الحكومة البريطانية تتصل بالحكومة التركية بشأنها ، وردت هذه بأنه لاعلاقة بين السلطان وأمير شمر أكثر من تبادل الهدايا في المناسبات فقط . وفي سنة ١٨٨٩م تأكد السفير البريطاني في القسطنطينية من وجود تصارع في السياسات بين هذين الجانبين ، فابن رشيد يود أن يوسع سيطرته لتشمل الأحساء وأن يظل مستقلاً عن تركيا ـ اللهم إلا تبعية إسمية فقط ـ على حين كان الباب العالي يود بطبيعة الحال أن يسيطر سيطرة مباشرة على جزيرة العرب والأحساء جميعاً .

الطرفان المتصارعان في نجد يراسلان السلطات التركية ١٨٩٠ م / ١٣٠٨هـ :

وفي سنة ١٨٩٠م حين عقدت هدنة مؤقتة بين آل سعود وآل رشيد في نجد طلب كل من الطرفين عون الأتراك ، فاتهم ابن رشيد أعدائه بتنفيذ خطط مضادة في الأحساء ، وشكا زعيم (الوهابيين) وكانت السلطات التركية أميل إلى تجاهل إعتداءات ابن رشيد وأعلن عن رغبته في الخضوع للأتراك . وقد ذكرنا من قبل أن الأتراك قد سمحوا لزعيم آل سعود بالإقامة في الأحساء وأجروا عليه راتباً شهرياً في سنة ١٨٩٢م .

إشتاباكات بين ابن رشيد والأتراك ١٨٩٥ م/ ١٣١٣هـ :

وفي ١٨٩٥م كما هو مذكور في تاريخ الأحساء حدث إشتباك بسبب بعض المنازعات القبلية بين أمير شمر والسلطات التركية المحلية على حدود هذا الإقليم

غير أنه لم يسفر عن نتائج ذات بال . وفي نفس السنة تلقى ابن رشيد من شيخ آل ثاني من قطر خطاباً يطلب فيه اللقاء معه لكنه خشي أن يجيبه إلى طلبه كي لايعتدي على السلطات التركية .

آل سعود يجددون نضالهم للإستيلاء على نجد الجنوبية

١٩٠٠ – ١٩٠٢ م/ ١٣١٧– ١٣١٩هـ

إستقرار عبد الرحمن في الكويت ١٨٩٧ ـ ١٩٠٠م / ١٣١٤ ـ ١٣١٧هـ :

وفي سنة ١٩٠٠م ، أي بعد ثلاث سنوات من موت محمد بن عبدالله أميرشمر الذي فتح نجد الجنوبية ، بدأ عبد الرحمن زعيم آل سعود اللاجيء يتحرك من جديد . ومن المحتمل أن يكون قد شجعه على ذلك إمارات التفكك التي بدأت تتضح في دولة جبل شمر على عهد عبد العزيز بن متعب ، خليفة الأمير محمد وابن شقيقه . فحوالي سنة ١٨٩٧م ترك عبد الرحمن ملجأه في الأحساء واستقر في الكويت ليحظى بعون شيخها وعون الحكومة التركية ، وكان شيخ الكويت بالنظر لما كان ابن رشيد يقدمه من معونات كثيرة لأبناء إخوته المتمردين عليه ، قد أصبح أكثر إهتماماً وحماساً للمشاركة في قضية (الوهابيين) .

بداية الإشتباكات ١٩٠٠م / ١٣١٧هـ :

وفي أغسطس سنة ١٩٠٠م غادر عبد الرحمن الكويت فجأة بعد أن تلقى تشجيعاً من بعض الأنصار في نجد وسار إلى داخل الجزيرة حيث أحرز بعض النجاح على البدو المؤيدين لابن رشيد . وفي سبتمبر من نفس السنة دعا الشيخ مبارك للحاق به ومعه تعزيز لقواته . وليس ماعمله شيخ الكويت للوهلة الأولى واضحاً بالنسبة لنا ، غير أنه كان متغيباً عن عاصمته طوال شهر أكتوبر . وفي نوفمبر كانت الدلائل تشير إلى وقوع إشتباك وشيك على حدود العراق التركي بين قوات ابن رشيد من ناحية وقوات الشيخ مبارك وسعدون باشا زعيم المنتفق المتمرد

من ناحية أخرى . غير أن السلطات التركية في البصرة إستطاعت أن تتفادى هذا الإشتباك على نحو ماهو مذكور في تاريخ الكويت .

حملة شيخ الكويت على القصيم ومعركة صريف ١٩٠١م / ١٣١٨هـ :

ولم يعلن شيخ الكويت ، رغم تدخل تركيا ، نيته تقديم عون فعال لابن سعود. وفي ١٨ ديسمبر سنة ١٩٠٠م قاد الشيخ مبارك قوات كبيرة مختلطة من البدو وأهل المدن وسار بهم إلى القصيم ، وأعماله هناك مذكورة في تاريخ الكويت . وبعد تطهير صحاري الصمان والدهناء من الأعداء بدأ إعلان الولاء لابن سعود ينهال من مختلف البقاع في نجد الجنوبية والقصيم ، وعين عبد العزيز أكبر أبناء عبد الرحمن الذين بقوا على قيد الحياة ليحكم عاصمة (الوهابيين) التي كانت ماتزال في أيدي العدو [أ] . وبعد وصول سعدون باشا الذي كان ينتظر فيما يبدو في الصحراء على حدود القصيم واصل الحلفاء تقدمهم ، غير أن أمير شمر كان في ذلك الحين إلى جوارهم . وحين وصلت قوات الحلفاء إلى طرفية في القصيم كان أمير شمر إتخذ مواقعه في صريف على مسافة عدة أميال فقط . وفي ١٧ مارس سنة ١٩٠١م دارت المعركة الحاسمة المعروفة بمعركة وادي الصريف في قلب وادي الرمة في منتصف المسافة بين المعسكرين ، وانتهت بتشتيت قوات الشيخ مبارك وابن سعود . ومن جانب ابن رشيد قتل سالم ومهنا ولدا حمود عم الأمير ، لكن خسائر الحلفاء كانت جسيمة فقد كانت تضم على الأقل ثلاثة من أقارب شيخ الكويت الأدنين إلى جاب ستة من أعضاء أسرة أبو الخيل الحاكمة في بريدة . وحسب ماتذكره رواية أهل شمر فإن جيش الحلفاء لم يثبت في المعركة وإنما أوقعت به كل هذه الخسائر أثناء فراره ، وقد إستخرج كثير من المختبئين من مكامنهم وسط الحقول المزروعة وأكوام القش ، وقتل العبيد بعضهم بأوامر من ابن

---

*(أ) الصحيح أن الإمام عبد الرحمن لم يعين إبنه عبد العزيز على بلد لم تكن في حينه تحت سلطته وإنما الإبن عبد العزيز أبدى إستعداده ورغبته في إستعاده مجد أسرته ونال موافقة والده على ذلك وساعدت ظروف إبن صباح السياسية وعدائه مع إبن رشيد لأن يسانده .

رشيد . وخلال أسبوعين وصل الشيخ مبارك وابن سعود وسعدون باشا إلى الكويت سالمين وجيشهم المشتت مايزال يحاول شق طريق العودة .

نتائج هذه الحملة ١٩٠١ – ١٩٠٢م / ١٣١٨– ١٣١٩هـ :

وكان فشل هذه الحملة يعني كارثة خطيرة لبعض المشتركين فيها خاصة شيخ الكويت وسكان القصيم الذين انضموا إليها ، فقد انتقم ابن رشيد من هؤلاء إنتقاماً مروعاً ، لكن النجاح الجزئي الذي أحرزه الحلفاء قد أفزعه فزعاً شديداً ، فحاول في أوائل مايو عن طريق وكيل له في البصرة طلب حماية بريطانيا دون جدوى .

وكان الطرف الوحيد من الخارج الذي يهتم بهذا الموقف هو الحكومة التركية التي كانت حريصة على كسب النفوذ عند شيخ الكويت فأرسلت فوراً مشير الجيش السادس من بغداد إلى البصرة فوصلها في أوائل مايو وظل بها عدة شهور . وكانت مهمة هذا القائد الكبير تسوية الصلح بين الأطراف الرئيسية في الخلاف ، وقد بدأ عمله بمراسلة كل من هذه الأطراف ، ولكن لايتضح لنا أنه لقى إستجابة وتأييداً اللهم إلا من ابن رشيد . وفي أغسطس بدأ الأتراك حين وضح انحيازهم التام إلى ابن رشيد يعبئون القوات من منطقة الفرات ، وفي سبتمبر ١٩٠١م قام ابن رشيد بغارة على الكويت نشرت الفزع في المدينة وضواحيها حتى جعلت السلطات البحرية البريطانية تتخذ الإجراءات الكفيلة بحماية هذا المكان ومساعدة الشيخ مبارك إذا دعا الأمر . وفي نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٠١م ، وكان ابن رشيد آنذاك في صفوان وهو مكان يتوسط المسافة بين البصرة وحدود الكويت ، بذلت السلطات التركية في البصرة جهوداً مضنية لإغراء الشيخ باعلان خضوعه للباب العالي وقبول حامية تركية في عاصمته ، لكن هذه الجهود كلها أحبطها الموقف الحاسم الذي وقفه الضابط البحري البريطاني في الكويت . وأعقبت ذلك أزمة طارئة ذكرناها بالتفصيل في تاريخ الكويت لكنها لم تترك أية نتائج ، ربما بسبب

الإستعدادت البحرية البريطانية للدفاع عن الكويت ، وتحرك أمير شمر ببطء وعلى مضض حتى أسوار لينة على الحدود الشرقية لإمارته .

وهنا بدأت قضية ابن سعود تحرز تقدماً واضحاً في الجنوب . ففي ١٥ يناير سنة ١٩٠٢م/ ٥ شوال ١٣١٩هـ قام عبد العزيز بن عبد الرحمن بهجوم مفاجيء من ناحية الأحساء التي كان قد أقام بها زمناً ما يجمع حوله الأنصار ، واستطاع عبد العزيز ان يفتح الرياض باسم أبيه عبد الرحمن فدخل المدينة ليلاً ومعه ثمانية من خيرة رجاله . ثم لحق به بقية أنصاره داخل الأسوار ولم يكونوا جميعاً يتجاوزون ثمانين رجلاً إستطاع بهم أن يباغت حاكم الرياض من قبل أمير شمر ويقتله ويستولي على المدينة وسط إبتهاج أهلها . وتبع ذلك طرد حاميات ابن رشيد من الأقاليم المجاورة في الخرج والحريق ، وأعلن ابن سعود للباب العالي أنه سيحكم هذه البلاد التي حررها كواحد من رعايا السلطان المخلصين له[أ] .

عبد الرحمن ابن فيصل - إبتداء من ١٩٠٢ م/ ١٣١٩هـ

وباستعادة الرياض إنتهت فترة خلو العرش في نجد الجنوبية وبدأ عهد الأمير (الوهابي) عبد الرحمن بن فيصل .

الحرب بين ابن سعود وابن رشيد

١٩٠٢ - ١٩٠٤ م/ ١٣١٩- ١٣٢٢هـ

مصاعب ابن رشيد ١٩٠٢م / ١٣١٩هـ :

وأصبح ابن رشيد يدرك تماماً الأن حرج موقفه . فإن ميناء الكويت لم يعد في أيد صديقه ، وهو بالتالي لايستطيع أن يحصل منه كما كان معتاداً من المؤن والأسلحة والذخائر الضرورية لاستمرار سيطرته في نجد . وكان يعرف أيضاً أن

*(أ) المعروف أن عدد قوة الملك عبد العزيز عندما دخل الرياض ليلاً تتكون من ٦٠ رجلاً فقط .

كثيرين حتى من رعاياه التقليديين قد ضاقوا بما ساد حكمه من قسوة وجشع وسوء إدارة . وهكذا أرسل في منتصف مارس سنة ١٩٠٢م مبعوثاً إلى الوالي التركي في البصرة يلح في طلب العون من تركيا لإخضاع هذا " التمرد " الذي اعترف بأنه لايستطيع مواجهته وحده ، وذكر في خطاب أرسله إلى الصدر الأعظم في القسطنطينية حوالي هذا الوقت نفسه أن للحكومة البريطانية خططها في إقامة علاقات وثيقة بوسط الجزيرة عن طريق ابن سعود وشيخ الكويت .

تقدم قوات (الوهابيين) ١٩٠٢م / ١٣١٩هـ :

وفي نجد ، كان ميدان الحرب يتسع تدريجياً نحو الشمال . ففي ٨ إبريل من هذه السنة أوقع عبد العزيز بن عبد الرحمن هزيمة شهيرة بقوات كبيرة من قبيلة قحطان التي كانت تناصر ابن رشيد ، في مكان بالقرب من المجمعة ، وفي ذلك الوقت كانت قبائل عتيبة والدواسر وسبيع والعجمان وآل مرة ومطير في الجنوب والشرق قد أعلنت جميعاً ولاءها لابن سعود ، ولم يبق لابن رشيد سوى قبائل قحطان وحرب والظفير إلى جانب قبيلة شمر التي ينتسب إليها . وبدا كثيرون من زعماء آل سعود ممن كانوا اختاروا المنفى أثناء حكم ابن رشيد في نجد الجنوبية يعودون من البصرة وسواها من الأماكن في الخارج ، وكان الناس حتى في القصيم والأقاليم المجاورة لها مؤيدين لقضية (الوهابيين) على وجه العموم ، وساد شعور عام في وقت من الأوقات بأن حائل يجب أن تؤول سريعاً إلى حكم الرياض ، وفي ١١ مايو سنة ١٩٠٢م غادر الأمير عبد الرحمن الكويت إلى الرياض ليتولى عرش أجداده بعد أن أوقع بعض الخسائر ببدو شمر والظفيرفي طريقه . وفي ٢٧ مايو إستطاع إبنه عبد العزيز أن يأسر بعض أقارب ابن الرشيد الأدنين . ووضح بذلك أنه قد اكتمل فتح نجد الجنوبية تماماً .

هزيمة جديدة لابن رشيد في الخرج :

على أن ابن رشيد بذل جهداً مضنياً في محاولة استعادة الأقاليم الجنوبية التي كان فقدها يهدده بفقد القصيم أيضاً في وقت قريب . وفي نهاية يوليو سنة

١٩٠٢م إندفع بعض أنصاره إلى إقليم الكويت حتى وصلوا آبار الصبيحية لكنهم أرغموا على التراجع . وبعدها بقليل بدأ أمير شمر نفسه يتحرك نحو الجنوب ، فاحتل بريدة في القصيم وشقراء في والوشم أثناء مروره ، وأرسل بعض قواته لمهاجمة الرياض ، وألح عليها بكل الوسائل في طلب عبد العزيز بن عبد الرحمن الذي كان وقتذاك في الخرج . ثم استولى على السليمية وعسكر بقواته في الدلم عاصمة الخرج حيث بقي أياماً قليلة دون نشاط كان أثناؤها أهل أقاليم الحوطة والحريق ، وقبيلة الدواسر أيضاً ، قد انضموا إلى عبد العزيز في المحمدي وهو مكان ذو زرع على بعد ثلاثة أميال فقط من الشمال . وفي أول نوفمبر سنة ١٩٠٢م وعقب ثلاثة أيام من الإشتباكات غير الحاسمة - حدث إشتباك حاسم ظل القتال العنيف دائراً فيه خمس ساعات متواصلة هزم بعدها ابن رشيد هزيمة ساحقة وأرغم على الفرار تاركاً وراءه عسكره وكثيراً من الخيول والجمال وأحد ألويته فوقعت كلها في يد العدو . وتابع عبد العزيز نجاحه فواصل التقدم نحو القصيم حتى وصل الشيحية ، على حين اتخذ ابن رشيد موقعه بعد تمكنه من الفرار في الزلفي عند أقصى شمال سدير .

وفي نهاية ديسمبر سنة ١٩٠٢م حدثت غارة قيل إنها كانت بقيادة ابن رشيد نفسه - على رعايا الكويت في جوار الجهرة وأحدثت بعض الخسارة لكن أمكن صد المغيرين في النهاية وإيقاع الهزيمة بهم. وتراجع ابن رشيد بعدها إلى القصيم وانقضت فترة دون اشتباكات قام عبد العزيز خلالها بزيارة للكويت .

لقاء بين أمير (الوهابيين) ومسئول روسي في الكويت ١٩٠٣م / ١٣٢٠هـ :

وتلقى ابن سعود في ذلك الوقت بعض التشجيع من دولة أوروبية ، فقد كان معروفاً في البصرة منذ المراحل الأولى من الصراع في وسط الجزيرة العربية أن عملاء الحكومة الروسية مهتمون إهتماماً خاصاً بهذا الصراع ، والآن تم اللقاء أثناء وجود عبد العزيز في الكويت بينه وبين القنصل الروسي العام في بوشهر الذي جاء إلى الكويت على ظهر الطراد الروسي "بويارين" وكان يصحبه الطراد

الفرنسي "إنفرنيت" في زيارة للكويت . وقد جاء من الكويت في ذلك الوقت أن القنصل الروسي عرض أن يمد عبد العزيز بالمال والسلاح ، وأكد هذه الأقوال مصدر مستقل . وقد حدث هذا اللقاء في أوائل مارس سنة ١٩٠٣ م .

(الوهابيون) يستعيدون إقليم سدير. ١٩٠٣م/ ١٣٢٠هـ :

وشغل ابن رشيد نفسه بمطاردة قبائل البدو المناصرة لابن سعود ، وحاول أن يستميل إلى صفه سعدون باشا زعيم المنتفق المتمرد . وفي ليلة ٣ إبريل سنة ١٩٠٣م قام بمحاولة لاستعادة الرياض حيث كان الأمير عبد الرحمن قد عزز إقامته فيها ، وتكبد ابن رشيد خسارة فادحة قبل أن يُرغم على التراجع . وبعدها بعدة أيام إستطاع عبد العزيز الذي عاد مؤخراً من الكويت أن يشن هجوماً معاكساً على قبائل البدو المؤيدة لابن رشيد وأوقع بها خسائر فادحة . وانتهت سنة ١٩٠٣م بالإستيلاء على الزلفي واستعادة (الوهابيين) إقليم سديرة إستعادة كاملة .

الباب العالي يقدم العون الذي التمسه ابن رشيد ١٩٠٤ م/ ١٣٢١هـ :

وضاعف ابن رشيد جهوده للحصول على معونة الأتراك ، فاتصل برقياَ بالصدر الأعظم في القسطنطينية يوم ٧ يناير ١٩٠٤م يطلب أوامر الباب العالي . وقد ذكر الصدر الأعظم أن ابن سعود يحاول أن يقيم علاقات وثيقة ببريطانيا العظمى ، ومن المحتمل أن تقدم له هذه الدولة الأسلحة والذخائر . ولابد أن الباب العالي قد استجاب لطلبه هذا فقد أرسلت إليه في شهر إبريل من نفس السنة كمية من الأسلحة والذخائر من بغداد ، وصدرت الأوامر بتجميع القوات التركية في السماوه على نهر الفرات

(الوهابيون) يستعيدون الوشم والقصيم ١٩٠٤م / ١٣٢١هـ :

وفي هذه الفترة تعاظم نجاح عبد العزيز بن عبد الرحمن وتزايد تزايداً أسرع وأكثر حسماً . ففي ٧ فبراير سنة ١٩٠٤م/ أول ذي الحجة ١٣٢١هـ هاجم قوة يقودها حسين جراد حاكم ابن رشيد على القصيم في مكان يسمى فيضة في

وادي السر ، وهزم القوة وقتل الحاكم نفسه وأرسل علمه وخاتمه إلى الكويت بشارة بالنصر ، وقد فقد عدد كبير من وجهاء شمر حياتهم في هذا الإشتباك ، وبخضوع إقليم الوشم تمت إستعادة نجد الجنوبية بكل أقاليمها وسار عبد العزيز بن سعود بعد ذلك إلى القصيم وهو إقليم كان إعتاد على الإستقلال عن حائل والرياض معاً . ودخلت قواته مدينة عنيزة في ٢٢ مارس بمساعدة أهلها وتعاطفهم ، وهزم ماجد أحد أبناء حمود ابن عم ابن رشيد وقد كان معسكراً خارج المدينة للدفاع عنها ، وقتل من قواته كثيرون كان من بينهم عبيد أحد أبناء حمود نفسه . وقد أخضع هذا الإشتباك الحاسم كل إقليم القصيم بما فيه مدينة بريدة لنفوذ (الوهابيين) دون إبطاء . وربما كانت هذه الأحداث التي ذكرناها مؤخراً هي التي جعلت الحكومة العثمانية تقرر أخيراً أن تتدخل تدخلاً فعالاً لنجدة عميلها ابن رشيد الذي بدا أنه قد وصل نهاية الطريق ، وأن إستسلامه بالكامل لابن سعود بات وشيك الحدوث .

الحملة العسكرية التركية على القصيم ١٩٠٤م/ ١٣٢٢هـ

حين سارت الحملة التركية من السماوه على شاطيء الفرات في الأيام الأخيرة من مايو سنة ١٩٠٤م كانت تضم حوالي ٢٠٠٠ جندي من جنود المشاة ، و٦ مدافع خفيفة حمل كل منها على عارضة بين بغلين بالإضافة لحشد كثيف من بدو شمر وعنزة . غير أن عدد هذه القوات تناقص كثيراً نتيجة المرض والهرب قبل ان تصل مسرح الأحداث . وكان من المتعذر إنقاذ بريده فقد فات الوقت ، لكن وصول هذه الحملة أخر زحف (الوهابيين) الذي كان يهدد حائل ، وبدأت الحرب على أرض العدو تمتد جنوباً نحو القصيم .

معركة البكيرية ١٥ يوليو ١٩٠٤ م/ الأول من ربيع الثاني ١٣٢٢هـ :

وبدأ الإشتباك الأول في البكيرية ، بعد ظهر يوم ١٥ يوليو ويبدو أن هذه المعركة قد سادتها الفوضى كثيراً . فقد حدث أول هجوم على ابن رشيد وحلفائه الأتراك من قبل رجال قبائل العارض يقودهم عبد العزيز بن عبد الرحمن ، لكن

هذا الهجوم فشل ، واستطاع الفرسان من رجال ابن رشيد أن يردوهم إلى الصحراء بعد أن أوقعوا بهم خسارة كبيرة . وفي نفس الوقت كان رجال القصيم الذين لايعرفون شيئاً عن مصير رفاقهم لأن تلالاً منخفضة تفصل بينهم قد تقدموا نحو المعسكر التركي واستطاعوا في المساء أن يستولوا عليه ، وقد قتل في هذه المعركة القائد التركي وحوالي اثنى عشر من ضباطه وعدد كبير من الجنود كما استولى رجال القصيم على كل المدافع التي كانت مع القوات التركية وأسروا كثيرين من رجالها . وكان ماجد أكبر أبناء حمود ابن عم ابن رشيد بين القتلى في هذه المعركة إثر منازلة فروسية عند نهاية الإشتباك ، وهكذا سقط الرجل الرابع من عائلة واحدة في يوم واحد في محاولة يائسة لإنقاذ جبل شمر من مصيره المحتوم . بعد هذا الإنتصار إنسحب رجال القصيم إلى عنيزة ، وحاول مابقي من القوات التركية استعادة مدافعهم ، فاستطاعوا الحصول على خمسة . وكان العدو قد حمل واحداً منها ونقله إلى الرياض لكن ثلاثة من هذه المدافع الخمسة كانت مدمرة لاجدوى منها .

العمليات التالية وتراجع الأتراك إلى الكهفة يوليو - أكتوبر ١٩٠٤ م/ ١٣٢٢هـ :

ولتحسين هذا الموقف أو ربما للظهور بمظهر المهاجم قام الأتراك وحلفاؤهم حوالي منتصف أغسطس بالسير عدة أميال إلى الجنوب الغربي واحتلوا شنانة إحدى القرى المنفصلة التي تضمها جميعاً مدينة الرس ، وظلوا بها دون حركة مدة ستة أسابيع يجلبون مؤنهم من قرية النبهانية على مسافة بعيدة إلى الغرب على حين كان العدو يسيطر على بقية البلاد شرقاً، بل وربما أيضاً على بقية مدينة الرس . وأخيراً، حوالي يوم ٢١ سبتمبر سار الأتراك وابن رشيد من شنانة وحاولوا ضرب معقل محصن في مكان يعرف باسم قصر ابن عقيل ، على بعد عدة أميال غربي الرس التي كان يحتلها زعيم بريدة وصديق ابن سعود .

وحين عرف العدو بهذا التحرك قام بهجوم من الرس إنهزمت فيه القوات التركية وفر ابن رشيد مختفياً . واستولى (الوهابيون) وأهل القصيم على مدفع آخر

ومزيد من الغنائم لكن هذه المعركة كانت خسائرها في الأرواح ضئيلة . وبعدها اتخذ مابقي من القوات التركية التي لم تكن تتجاوز ٧٠٠ رجل مواقعهم في الكهفة في منتصف الطريق بين بريدة وحائل لأن ابن رشيد قد رفض رغم مجيء هذه القوات لنجدته أن تقترب أية خطوة أخرى نحو عاصمته . وهكذا انتهت الحملة التركية إلى فشل تام . لكن السلطات العثمانية حتى ولو كانت تعرف هذه الحقائق فقد كانت أبعد ماتكون عن الإعتراف بها ، فقد ظلت بعض الأعلام التي قيل إنه تم الإستيلاء عليها من ابن سعود تعرض وسط مظاهر الإبتهاج بالنصر في شوارع كربلاء طوال شهر كامل بعد الهزيمة التركية الأولى .

المفاوضات ، ثم الإتفاقية الودية بين ابن سعود والباب العالي .

١٩٠٤ - ١٩٠٥م / ١٣٢٢- ١٣٢٣هـ :

ويبدو أن ابن سعود قد أصابه بعض الفزع من النجاح الكاسح الذي أحرزه على القوات العثمانية . ففي نهاية أكتوبر سنة ١٩٠٤م أرسل خطاب إعتذار إلى فخري باشا الوالي التركي النشيط في البصرة . وهو رجل مستنير مدرب على قيادة الجيوش والعمليات العسكرية[١] . وفي هذا الخطاب حاول أمير (الوهابيين) تبرئة نفسه مما يتعلق بهجماته على القوات التركية في القصيم . وسأل عما إذا كان بالوسع قبول إعلان الخضوع من جانبه . وطلب استمرار المرتب الذي كان يتقاضاه من الحكومة التركية . ورفعت إقتراحاته إلى القسطنطينية. ولقيت قبولاً هناك في الظاهر إلا أن الإستعدادات التي كانت قد بدأت في النجف لإرسال حملة تركية جديدة إلى وسط الجزيرة لم تتوقف . ولكن في ذلك الوقت كان من المفهوم عموماً أن أهداف هذه الحملة سلمية وليست تأديبية . وهذا يشير إلى أن الوعد الذي

---

(١) وتذكر رواية أخرى أن الخطوة الأولى في هذا السبيل قد خطاها فخري باشا لا ابن سعود .

قدمه ابن سعود بحسن السلوك في المستقبل قد اعتبر مرضياً وموثوقاً به على الرغم من أن ابن سعود لم يذهب بنفسه لتأكيده .

ولم يستطع إنتظار هذا التأكيد طويلاً . فلم تكد القوات التركية تبدأ سيرها من النجف حتى كان الأمير عبد الرحمن قد وصل بنفسه ومعه الشيخ مبارك شيخ الكويت إلى قرية صفوان الصغيرة على حدود العراق والكويت . وهناك التقى بهما مخلص باشا الذي كان قد تولى ولاية البصرة مؤخراً ، وتبع اللقاء الأول الذي تم في صفوان بتاريخ ٨ فبراير إتصالات ومناقشات تلغرافية بين البصرة والقسطنطينية . وفي القاء الثاني الذي حدث عند آبار القشعانية يبدو أن ابن سعود قد أُبلغ أن السلطان عينه قائمقاماً أو حاكماً لنجد الجنوبية في ظل الباب العالي ، وأُبلغ أيضاً أن ابن رشيد لن يتدخل بأية صورة من الصور في شئون أقاليمه نلك . ويبدو أن ابن سعود من جانبه قد وافق على وضع مجموعة من المسئولين المدنيين وحاميات عسكرية تركية في القصيم .

إحتلال الأتراك السلمي للقصيم

١٩٠٥م / ١٣٢٣هـ

في هذا الوقت نفسه ، أواخر يناير سنة ١٩٠٥م، سارت القوات التركية التي تجمعت في النجف في نهاية ١٩٠٤م إلى القصيم ، وكانت تضم حوالي ثلاثة آلاف رجل معهم ٦ مدافع بقيادة أحمد فيضي باشا مشير قوات الجيش السادس في بغداد، وهو "رجل عجوزٌ محنّك" ، تجاوز السبعين من عمره لكنه ذو طاقة حيوية كبيرة .

دخول القوات العسكرية التركية إلى القصيم

إبريل ١٩٠٥م / ١٣٢٣هـ :

وقد أدت الإتفاقية التي عقدت مع ابن سعود بعد رحيله مهمة الحملة التي التقت بطابور أرسل من المدينة يضم ٧٥٠ رجلاً معهم بطارية من مدافع الميدان ، ولكن التقارير التي بين أيدينا لاتخبرنا بصورة مؤكدة عن نقطة اللقاء أو عن خط سير الحملة . ولم تواجه القوات مقاومة ما ، فأهل نجد قد أرهقتهم الحروب ، ورحبوا في ذلك الوقت بالسلم حتى لو جاء في ظل القوات التركية . واحتلت القوات مدينة بريدة في القصيم يوم ١٥ إبريل سنة ١٩٠٥م وعنيزة بعدها بثلاثة أيام ، ووضعت في كل حامية مائة جندي أو أقل ، ورفع العلم العثماني ، وعزف السلام الحميدي . ودعي لسلطان تركيا من فوق المنابر في الصلوات الجامعة . وقد لوحظ أن ابن رشيد لم يكن موجوداً وقتذاك حتى كمجرد مشاهد في هذه الإحتفالات ، والنتيجة التي إستخلصت من ذلك هي أن أهل القصيم قد اشترطوا لخضوعهم للباب العالي ألا يكون لأمير شمر أي تدخل في أمورهم . وهذه نقطة أكدها إبن سعود غير مرة واحدة أثناء مفاوضته مع الأتراك . ثم قسمت نجد بعد ذلك أقساماً إدارية على الطريقة التركية المعتادة فجعلت بريدة قضاءً يتولاه القائمقام صالح بن حسن وجعلت عنيزة مديرية ، مديرها عبد العزيز . لكن العلاقات بين هذين المسئولين لم تكن محددة في ظاهر الأمر على الأقل . فلم يكن بوسع العرب أن يعرفوا ما إذا كانت هذه الأقسام الإدارية تابعة للبصرة أو للمدينة ، غير أن المسئولين الأتراك كانوا يعتقدون أنها تابعة لولاية البصرة ، وكان مفهوماً أن نجد الجنوبية قد أصبحت قضاء تابعاً لولاية البصرة وابن سعود أصبح لها قائمقام مقره الرياض . ولم تكد هذه الأقسام التي كان من السهل تنفيذها بطبيعتها الإسمية تكتمل حتى أسرع أحمد فيضي باشا ، بمجرد وصول الأوامر إليه بالسير لقمع تمرد حدث في اليمن ، فامتطى ظهير بعيره وهرع عن طريق المدينة إلى ميناء ينبع على البحر الأحمر .

التاريخ العام لوسط الجزيرة أثناء إحتلال الأتراك للقصيم

١٩٠٥ - ١٩٠٦م / ١٣٢٣ - ١٣٢٤هـ

زيارة عبد العزيز ابن سعود لقطر ٥ يوليو - أغسطس ١٩٠٥ م/ ١٣٢٣هـ :

وربما تكون هذه الإجراءات في القصيم قد ضايقت الأمير (الوهابي) بعض الشيء لأنها أرغمته على عدم مواصلة عملياته العسكرية ضد ابن رشيد وحولت إنتباهه كله إلى منطقة ساحل الخليج . وفي يوليو وأغسطس سنة ١٩٠٥م خرج عبد العزيز ابن سعود أمير (الوهابيين) إلى جولة في صحراء الجافورة وحدود قطر ، وكانت زيارته غير المتوقعة هذه مصدر مضايقة للسلطات التركية في الأحساء . وارتبكت في البداية ولم تعرف ماذا تفعل لكنها أخيراً أرسلت طابور شرف لاستقباله عند آبار دعيلج في صحراء الجافورة . وكان اللصوص وقطاع الطريق قد أوقفوا قافلته على الطريق بين الأحساء والعقير ، فانتهز عبد العزيز هذه الفرصة ، وأمر بإعدام بعض البدو من هؤلاء ، ليظهر بمظهر حامي القانون والنظام ، ثم زعم أيضاً أنه قد سوى الخلافات الدموية التي كانت قائمة بين قبائل العجمان وبني هاجر وآل مرة. وتوقف عبد العزيز غير مرة عند آبار المياه إلى جوار خليج سلوى والتقى بجاسم شيخ آل ثاني بالدوحة في عريق . وكان يعتقد أن جاسماً قد قدم لأبيه عبد الرحمن بن سعود معونات قيمة في سنة ١٩٠٤م . وأخيراً حين وجد عبد العزيز أن حرارة الجو لم تعد تطاق ، رجع إلى بلاده عن طريق ابار زرنوقة في حزمة لكنه كتب قبل رحيله خطابات لشيوخ عمان المتصالحة يعلن لهم نيته في زيارة عمان في الربيع التالي . وأوجدت هذه الرسائل شيئاً من الحماسة كما هو مذكور في تاريخ عمان المتصالحة خاصة بين الشيوخ الذين أرسلت إليهم ، واضطرت السلطات البريطانية إلى متابعة هذا الأمر متابعة دقيقة .

تجدد الإشتباكات بين ابن سعود وابن رشيد

ثم موت هذا الأخير

١٩٠٥ - ١٩٠٦م/ ١٣٢٣ - ١٣٢٤هـ:

وأما العمليات العدوانية بين أمير (الوهابيين) وأمير شمر التي توقفت فترة قصيرة إحتراماً للقوات التركية فقد عادت من جديد فقد كان الغريمان المتنافسان كما وصفهما فيما بعد باشا تركي تعامل معهما على طرفي نقيض من حيث شخصيتهما . فعلى حين كان ابن رشيد "مقاتلاً من الصحراء" خالصاً وبسيطاً ، كان ابن سعود أقرب لأن يكون "دبلوماسياً من الصحراء" ، لكن هذا النقص في أمير (الوهابيين) قد عوضه ابنه عبد العزيز بمقدرته العسكرية الفائقة وهكذا بدأ عبد العزيز بن عبد الرحمن بمعاونة شقيقه محمد في أواخر سنة ١٩٠٥م يغير على قبيلة حرب وفرع بني عبد الله من قبيلة مطير إلى الغرب ، وقد إتخذ عبد العزيز قاعدته في القصيم ، واتخذ ابن رشيد قاعدته في الكهفة على أقصى الحدود الشمالية الغربية لنفس الإقليم وفي نهاية سنة ١٩٠٦م / ١٣٢٤هـ كانت القوات (الوهابية) معسكرة في عين ابن فهيد في القصيم ، وكانت قوات ابن رشيد معسكره في ثمامي وهو مكان ذو ماء في باطن على مسافة ٧٠ ميلاً شمال شرقي موقع (الوهابيين) . وكان ابن رشيد قد طلب فى ذلك الوقت وساطة الشيخ مبارك شيخ الكو يت والتمس منه أن يعتبره إبناً من أبنائه ، وبدأ هذا السياسى المحنك يضع خطة لإعادة السلم فى نجد على أساس أن يجعل بين الأميرين المتحاربين إقليماً محايداً يكون تحت سيطرته هو نفسه ويضم أقاليم القصيم والوشم وسدير . وفى هذا الوقت نجح (الوهابيون) فى مباغتة قوات ابن رشيد التي كانت آمنة فى معسكرها بمكان يسمى رويضة على بعد عشرين أو ثلاثين ميلاً شرقي بريدة في ليلة ١١ إبريل سنة ١٩٠٦م [أ] . وكانت عاصفة رملية تهب في هذه الليلة . وكان بوسع ابن رشيد أن يهرب إذا شاء . لكنه خرج وأعلن عن نفسه بكل جرأة وخرّ صريعاً بالرصاص

*(أ) المراد بروبضه هنا روضه مهنا التي قتل فيها ابن رشيد سنة ١٣٢٤ هـ ورجحت كفة ابن سعود بعدها .

المنهمر من بنادق أعدائه وهو يرتجز شعره الحماسي . وقتل مع الأمير عدد من أنصاره المقربين ، وقطعت رأسه ووضعت على رمح طاف البلاد كلها وسط مظاهر الإنتصار [أ] . لكن هذا العمل لقي استنكاراً واضحاً من الرأي العام العربي، وساد نوع من الأسى لموت ابن رشيد حتى عند شيخ الكويت نفسه الذي أرسل إليه ابن سعود خاتم الأمير القتيل إشارة للإنتصار .

إبتهاج ابن سعود إبريل - يونيو ١٩٠٦ م / ١٣٢٤هـ :

وأرسل الأمير (الوهابي) الرسائل والرسل لإعلان إنتصاره هذا لسلطان تركيا ، وللواليين التركيين في بغداد والبصرة ، ولشيوخ العرب وزعمائهم في الأحساء وقطر والبحرين . وقيل أن الوفد الذي أرسل إلى البصرة لقي من الحاكم إستقبالاً حسناً ، كذلك رجعت الوفود من عند معظم الشيوخ الذين أرسلوا إليهم يحملون التهنئة وبعض الهدايا . وأعلن ابن سعود نفسه حاكم "الشرق" ولعله كان يعني بهذه الكلمة شرقي جزيرة العرب كلها ، وساد فتور مؤقت في العلاقة بين أمير (الوهابيين) وشيخ الكويت بسبب خلاف حول ولاء بعض قبائل البدو وإلزامها بأن تدفع الجزية . وهذا هو السبب الشائع غالباً للخلافات التي قد تقوم بين الزعماء في وسط الجزيرة ، وقيل أن ابن سعود قد تكلم عن الشيخ مبارك بطريقة لاتليق وهو في نشوة إنتصاره ، ولكن عون شيخ الكويت كان ضرورياً لأمن الأمير (الوهابي) . ولذا لم تدم القطيعة بينهم طويلاً .

---

*[أ] المبالغة واضحه هنا من قبل لوريمر وكل ما في الأمر أن رجال الملك عبد العزيز قاموا بقطع رأس إبن رشيد بعد سقوطه في المعركة وحملوه للملك عبد العزيز الذي ترحم على خصمه وشهد له بالإقدام والشجاعة .

نفي قائمقام بريدة وبعض أعمال (الوهابيين) العدوانية .

إبريل - يونيو ١٩٠٦ م / ١٣٢٤هـ :

وسار عبد العزيز بعد ان قضى على ابن رشيد مصمماً على أن يستفيد من نجاحه إلى أقصى حد . ففي إبريل أو مايو من السنة نفسها إستطاع بالخدعة أن يأسر صالح بن حسن قائمقام بريدة ، ولم يقف دونه في ذلك منصبه الرسمي أو وجود قوات تركية في القصيم ، ونفاه إلى الرياض هو وأخويه مهنا وعبد العزيز، ويبدو أن السبب في ذلك أن صالحاً كان يبذل في عمله كقائمقام للأتراك كل ماوسعه من جهد لتحقيق مصالح الباب العالي والدفاع عنها، لكن هذا الأسلوب مضافاً إليه شعبية صالح الشخصية في القصيم أثارا شكوكاً خطيرة لدي (الوهابيين)[أ]، وواصل عبد العزيز بعد ذلك غاراته نحو الشمال ، وفي مايو تقريباً بدأ يتحرش بقبائل البدو إلى جوار حائل ويطالبهم بمتأخر الجزية التي كان يدفعها أمير شمر للرياض من قبل، لكن أبواب المدينة نفسها أغلقت أمامه، وأرغمه نقص المؤن والعتاد على التراجع . وأطلق صراح بعض آل سعود الذين كانوا معتقلين في حائل، ومن بين هؤلاء شاب يدعى عبد العزيز بن محمد ، وهو حفيد الأمير (الوهابي) سعود بن فيصل ، وقد وصل الكويت في اوائل يونيو وتلقى علاجاً طبياً في مستوصف بريطاني هناك ، وفي هذا الوقت نفسه أطلق أيضاً صراح أشخاص ينتمون إلى عائلات في عنيزة وبريدة كانوا محتجزين كرهائن سياسية.

إعلان السلم بين ابن سعود وابن رشيد يوليو١٩٠٦ م/ ١٣٢٤هـ :

وفي نفس الوقت ظل متعب ابن الأمير (الرشيدي) الراحل وخليفته على إتصال بشيخ الكويت وطلب منه أن يبدأ المفاوضات باسم أبيه ، ويبدو أن الشيخ مبارك كان بالفعل يبذل كل جهده من أجل التوصل إلى إتفاقية للسلم . وفي يوليو تم عقد الصلح في القصيم ، وتوقفت الأعمال العدوانية من الجانبين ، لكن مبعوثاً

*(أ) من الطبيعي أن يقوم الملك عبد العزيز بأعتقال من يعمل ضده سواء أن كان ذلك بالقوة أو بالسياسة خاصة أن أبناء المنطقة قد رحبوا بالملك عبد العزيز على حساب نفوذ خصمة ابن رشيد ومساعديه الأتراك .

أرسله ابن سعود إلى شيخ الكويت لإبلاغه بهذه الظروف لقي مصرعه في الصحراء على يد بعض رجال شمر ، إما إنتقاماً لمقتل أميرهم عبد العزيز أو لأن القتلى لم يكونوا يعرفون بعد أن الصلح قد عقد . ولايبدو أن أمير (الوهابيين) قد بارح عاصمته الرياض خلال هذه الأعمال كلها .

مواقف الأتراك وتصرفاتهم إزاء نجاح ابن سعود .

يوليو- سبتمبر ١٩٠٦م / ١٣٢٤هـ :

يمكننا الآن أن نتساءل . كيف تقبلت الحكومة التركية هذه الأعمال التي كانت تدل على اللامبالاة التامة والإزدراء من ابن سعود لسلطة العثمانيين في وسط الجزيرة . لقد أرسل ابن سعود وفداً إلى البصرة ولقي استقبالاً حسناً من واليها كما ذكرنا . لكن مشاعر الباب العالي كانت طبعاً مع عائلة ابن رشيد ، الذي ظل معترفاً بولائه للسلطان زمناً طويلاً . والذي أدى سقوطه دون شك إلى انهيار نفوذ تركيا في نجد . وقد عزا والي البصرة النهاية الفاجعة التي لقيها ابن رشيد إلى تدخل شيخ الكويت متنكراً في هيئة صانع السلام فيما بين الطرفين المتحاربين . لكن الباب العالي كان يميل إلى الإعتقاد بأن تدخلاً غير ضروري حدث من جانب العسكريين في أمور الموظفين المدنيين وبتعبير آخر فإن قادة القوات التركية يحاولون فرض سيطرتهم كثيراً على مشايخ العرب المحليين . وقبل نهاية إبريل وصلت إلى البصرة برقية من أمين سر السلطان تقضي بإبلاغ الأمير الجديد متعب أسف السلطان لمقتل أبيه الأمير عبد العزيز . وبعزم الباب العالي على إيقاع العقاب بقتلته ، والتصديق على أن يكون متعب خلفاً لأبيه براتبه الذي كان مخصصاً له . وقد ذكر ان المعونة التي كان يتلقاها ابن رشيد من الأتراك في ذلك الحين كان قوامها ٢٠٠ ليرة عثمانية في الشهر و ٢٠٠ كيس من الأرز في السنة ترسل الأولى من بغداد عن طريق كربلاء ، والأخرى من البصرة عن طريق الكويت .

وفي بداية يوليو سار سامي باشا ـ الذي كان قد عين قائداً عسكرياً ومتصرفاً مدنياً في نجد قبل سنة لكنه كان يرجيء رحيله الفعلي حتى ذلك الحين ـ سار من المدينة في ٥٠٠ جندي من المشاة ومدفع واحد فوصلها بعد شهر . وجعل مقره في الشيحية على بعد ٣٠ ميلاً إلى الجنوب الغربي من بريدة . وأرسل سامي باشا يستدعي عبد العزيز بن سعود للمثول بحضرته ، لكن القائد (الوهابي) رفض أن يدخل معسكره ، وتم أخيراً تدبير اللقاء بينهما في الصحراء المكشوفة بين الشيحية وبريدة ، وكانت أهم الموضوعات التي نوقشت في هذا اللقاء على مايبدو ضرورة إقامة قلاع في عنيزة وبريدة لإستقبال حاميات تركية دائمة ، ثم إطلاق سراح القائمقام صالح بن حسن . وفيما يتعلق بالمطلب الأول فقد نجح ابن سعود ـ ومن ورائه أهل القصيم ـ في أن يذكر لسامي باشا الوعد الذي سبق أن قطعه الأتراك على أنفسهم بألا تزيد الحامية المقيمة في أي من المدينتين على مائة جندي، أما الطلب الأخير فقد أهمل نظراً لتأكيد ابن سعود تأكيداً ثبت زيفه فيما بعد بأن صالحاً قد هرب من سجنه في الرياض وقتله بعض بدو آل مرة في الصحراء . ورحل الفريق صديق أو (صدقي) باشا الذي كان قائد القوات التركية في نجد قبل وصول سامي باشا إلى الكويت عن طريق الزلفي فآبار الصفاة في سماوه في صبيحة ٢١ أغسطس . وكان معه طابور من الجند يتكون من ١٤٢ رجلاً لم يفقد منه رجل واحد في الطريق . وقرب نهاية سبتمبر أرسل المتصرف الجديد جماعة من رجاله لابتياع مؤن في عنيزة ، لكن كبار الرجال في المدينة رفضوا أن يبيعوا للأتراك شيئاً متعللين بنقص المواد . وحين كانت الجمال التركية عائدة إلى معسكرها في الليل هاجمها بعض الرجال وقتلوا عدداً من جنودها .

وفي نفس الوقت كان طالب باشا وهو ياوري السلطان وربما كان هو المتصرف السابق للأحساء مسافراً من بغداد إلى حائل يحمل شارة تعيين الأمير الشاب متعب بن عبد العزيز . وذكر أنه وصل سالماً إلى حائل في نهاية سبتمبر . ولم يكن الأمير متعب يتلقى راتبه الذي كان يدفع له من خزينة كربلاء بانتظام .

ولعل ذلك يعود إلى أنه رفض أن يدفع بعض الرشاوي التي طلبها منه المسئولون الأتراك .

الإنسحاب الفعلي للأتراك من نجد نوفمبر ١٩٠٦م / ١٣٢٤هـ

صعوبات أمام جيش الإحتلال :

واتضح للحكومة التركية أن احتلالها القصيم الذى لم يعد يتقبله الناس هناك قد أصبح خطراً وغير مفيد فى الوقت نفسه ، فقد بات من الصعب توفير المؤن للقوات التى كانت كما يقول رجال الصحراء لا تحصل على نصيب من التبغ على الإطلاق ، والتى اضطرت غير مرة لأن تأكل خوص النخيل لنقص المؤن والطعام، كما كانت القوات مهلهلة الثياب رثة الهيئة ؛ وكثيراً ما كان العرب يغيرون على الجنود ويهاجمونهم ؛ وإذا حاول بعض الجنود الإنتقام لأنفسهم كان ضباطهم يسلمونهم إلى الشيوخ الذين كانوا يأمرون بإعدامهم .

لهذه الأسباب كان جنود جيش الإحتلال جميعاً ؛ ومعظمهم من العرب يعتبرون هذه البلاد بلاداً ملعونة أو "بنت إبليس" كما كانوا يدعونها ، فتفشى بينهم الفرار والمرض ، وباع كثيرون منهم سلاحهم وذخيرتهم لأهل البلاد ليحصلوا فقط على ضرورات الحياة .

إنسحاب القوات التركية إنسحاباً شبه كامل نوفمبر ١٩٠٦ م/ ١٣٢٤هـ :

في هذه الظروف يبدو أن الحكومة التركية قد اتخذت قرارها[١] في خريف سنة ١٩٠٦م بتخفيض جيش الإحتلال في القصيم من ٢٥٠٠ إلى ٢٠٠٠ رجل وذلك بعد أن انضمت إليه القوة التي رافقت سامي باشا عند توجهه إلى المدينة . وبدأ الإنسحاب في نوفمبر، وكانت الوحدات التي بدأت الإنسحاب هي وحدات الجيش الغربي في ٣ نوفمبر[٢] ، وبعدها بثلاثة أسابيع بدأت قوات بغداد سيرها نحو الساحل ، وكانت هذه القوات الأخيرة تضم ٨٠٠ جندي مزودين بمدفعين من مدافع الميدان وأربعة مدافع خفيفة ، وزودت بألفي بعير مملوكة لأشخاص من بريدة وعنيزة والزلفي لاستخدامها في التنقل . وفي ٢٥ يوماً وصلت القوات من بريدة إلى الكويت التي لم يسمح شيخها للجنود بدخولها . وأخيراً وصلت إلى البصرة في سلام . ولاشك في أن الإنسحاب من القصيم بسبب إصرار أهلها على تخفيض الحاميات التركية كان أشمل مما أراده الباب العالي ، فواضح أنه لم يعد باقياً في القصيم إلا عدد لايتجاوز خمسين رجلاً ، بل إن بعض الروايات تنقصه إلى ستة وعشرين فقط.

النتائج العسكرية والسياسية المترتبة على الإحتلال ثم الجلاء :

ولما كان العدد الكلي للقوات التي أرسلت من العراق إلى القصيم في ١٩٠٤م و ١٩٠٥م قد قدر بحوالي ٤٥٠٠ جندي على الأقل وكان عدد هؤلاء الذين بقوا منهم في القصيم أو عادوا إلى العراق قد قدر بحوالي ١٠٠٠ جندي فسيتضح لنا أن الخسارة التي منيت بها هذه القوات في نجد ـ سواء بالفرار أو بالموت ـ كانت ثقيلة وفادحة جداً . وقد بدأ فرار هذه القوات إلى الكويت في سنة ١٩٠٥م

---

(١) تذكر رواية أخرى أن سامي باشا ـ الذي تراجع إلى المدينة ـ هو الذي أمر بالجلاء على مسئوليته الخاصة ، وكان سبب ذلك هو عدم وصول الإمدادات أو التعليمات إليه من القسطنطينية.

(٢) يقول نفس المصدر السابق أن سامي باشا لم يعد إلى المدينة إلا في فبراير ١٩٠٧ ، وقد كانت معظم القوات التي انسحبت في هذا الإتجاه تعتمد على الجراد في طعامها.

وقدر عدد الجنود الأتراك الذين مروا بها من نجد حتى مارس ١٩٠٦م بحوالي ٥٠٠ جندي ، وذكر أن معظم الذين ماتوا في القصيم إنما سقطوا ضحايا الأوبئة .

وأضر الجلاء عن القصيم بهيبة تركيا في جزيرة العرب كلها . فقد كان سبب الإضطرابات التي حدثت في الأحساء هو تلك الثقة التي بعثها الإنسحاب في نفوس العرب. وفي ربيع سنة ١٩٠٧ ساد القلق الدوائر التركية التي كانت تخشى أن يهاجم ابن سعود القوات التركية التي تعمل في مد الخط الحديدي في الحجاز . ولم يكن من المؤكد على أية حال أن هذا الإنسحاب التركي كان نهائياً ، خاصة وأن إكمال سكة حديد الحجاز التي كانت الآن تقترب من المدينة بسرعة كان لاشك سيعزز السياسة التركية ويدعمها في وسط الجزيرة .

التاريخ العام لوسط الجزيرة بعد جلاء الأتراك عن القصيم

١٩٠٦ – ١٩٠٧م / ١٣٢٤ – ١٣٢٥هـ

علاقة ابن سعود وابن رشيد بشيخ الكويت ١٩٠٦ – ١٩٠٧م / ١٣٢٤– ١٣٢٥هـ :

عقب رحيل القوات التركية من القصيم سادت هدنة ثقيلة . وفي نجد كانت تقطعها الشائعات دائماً عن تجدد الإشتباكات بين قوات ابن سعود وابن رشيد . في يناير ١٩٠٧م، وكما هو مذكور في تاريخ نجد الشمالية . قتل متعب أمير شمر الجديد على يد قريبه سلطان بن حمود الذي كان يعارض سلطته في ذلك الحين . وكان اتجاه ابن رشيد الجديد الناتج عن حرج موقفه الذي لاشك فيه إتجاهاً متهادناً مع ابن سعود وكان موقف شيخ الكويت كموقف أهل القصيم بل حتى كموقف الأتراك أنفسهم كارهاً لقيام سيطرة كاملة ودائمة في نجد لا لحاكم الرياض ولا لحاكم حائل ، وكان بالتالي يميل لأن يمنع مساعداته عن ابن سعود ويقدمها لابن رشيد الذي كانت سلطته قد وصلت مرحلة من الضعف لاشك فيها . وكان الشيخ مبارك قد سبق أن أعلن أن حكومة ابن سعود ينقصها التنظيم ، ثم زاد الآن على

ذلك بأن انتقد شخصية ابن سعود نفسه فذكر أنه "سريع الغضب سريع الرضا" . وربما كان الشيخ مبارك لا يعني بملاحظته هذه الأمير (الوهابي) عبد الرحمن بن فيصل بقدر مايعني ابنه عبد العزيز الذي أصبح الآن يطلق عليه عادة إسم "ابن سعود" نظراً لنشاطه وجرأته وشهرته .

أمور سياسية أخرى ١٩٠٧ م/ ١٣٢٥هـ :

أما في نجد الجنوبية فقد ظلت مدينة المجمعة في سدير تقاوم سلطة أمير (الوهابيين) بشكل أو بآخر ، فهي ترضى بدفع الجزية التي كانت تدفعها لأمير شمر، لكنها لاتوافق على زيادتها ، ولا على الدخول في علاقة وثيقة (بالوهابيين) . وأخيراً تأكد دون أي شك أن صالح ابن حسن أمير بريدة السابق كان مازال حياً في سجنه بالرياض ، وقيل إن أخويه سليمان وعبد الرحمن قد لحقا بابن رشيد .

علاقة الحكومة البريطانية بوسط الجزيرة

١٩٠٠ – ١٩٠٧م / ١٣١٧ – ١٣٢٥هـ

ظل وسط الجزيرة يعتبر دائماً بسبب صعوبة الوصول إليه وقلة موارده الإقتصادية خارج مدى اهتمام الحكومة البريطانية وحكومة الهند . ولكن بعد عودة الدولة (الوهابية) إلى القوة في نجد سنة ١٩٠٠م تعدل الموقف قليلاً بالنظر إلى تحالف شيخ الكويت مع ابن سعود، ومساعي الحكومة التركية لاستمالة ابن رشيد(أ)

*(أ) كان دخول الملك عبد العزيز للرياض وبداية حكمه في ٥ شوال ١٣١٩هـ الموافق ١٥ يناير ١٩٠٢م وليس كما ذكر الكاتب هنا ١٩٠٠م .

حكومة الهند تقرر إرسال وكلاء مسلمين إلى نجد ١٩٠١م / ١٣١٨هـ :

في بداية سنة ١٩٠١م فكرت حكومة الهند في إرسال وكلاء مسلمين لجمع معلومات موثوق بها عن الحياة السياسية والدينية في وسط الجزيرة ، وكان غموض هذه الجوانب سبب تردد السياسة البريطانية ، ولكن أرجئ تنفيذ الخطة نظراً لاضطراب الوضع في المناطق الداخلية آنذاك .

محاولات ابن سعود الأولى للتقرب إلى الحكومة البريطانية ١٩٠٢ م/ ١٣١٩هـ :

وحين بدأ ابن سعود محاولاته من الكويت في مايو سنة ١٩٠١م لإعادة الإستيلاء على عاصمة أسلافه أرسل خطاباً إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج التمس فيه النظر إليه "كرجل تربطه بالحكومة البريطانية علاقة وثيقة" وأن "تهتم الحكومة البريطانية المحبة للخير بالنظر إليه" ، وذكر أنه قد رفض أثناء وجوده في الكويت عروضاً بالمساعدة من جانب مسئول روسي كبير لأنه يعتقد أن مثل هذه العلاقة يجب أن تكون مع الحكومة البريطانية لاغيرها . وقد وافقت حكومة الهند على إهمال المقيم البريطاني الرد على هذا الخطاب ، وصدرت إليه التعليمات بألا يقدم إلى ابن سعود أي نوع من أنواع التشجيع لأن سياسة الحكومة البريطانية تقضي بالإبتعاد عن التدخل في شئون نجد خاصة وأنها لم تكن مستقرة .

موقف الحكومة البريطانية من الحملة التركية على نجد ، وطلب ابن سعو د حماية بريطانيا ١٩٠٤م / ١٣٢١هـ :

وفي ١٩٠٤م حين كان الباب العالي على وشك إرسال قوات عسكرية لمعاونة ابن رشيد في نجد رأت الحكومة البريطانية أنها لاتستطيع أن تظل على لامبالاتها تلك زمناً طويلاً لأن لها مصالح هامة في بقاء الوضع القائم في الكويت ، وكانت تخشى أن ترغم القوات التركية التي وصلت لمناصرة ابن رشيد الشيخ مبارك على النزول بنفسه إلى الميدان دفاعاً عن حليفه ابن سعود . وهكذا صدرت التعليمات لسفير بريطانيا في القسطنطينية في فبراير سنة ١٩٠٤م بان يطلب تنفيذ

الوعد الذي قطعته الحكومة التركية على نفسها في أكتوبر سنة ١٩٠١م بأن تكبح جماح ابن رشيد على أن تقوم الحكومة البريطانية من ناحيتها بتقييد شيخ الكويت .

ومرة أخرى ، حين جاءت الأخبار بأن الأوامر قد صدرت للقوات التركية بالتقدم من المدينة إلى القصيم قدم السفير البريطاني تحذيراً بهذا الصدد إلى الباب العالي ، غير أنه أحس بأن اعتداءات (الوهابيين) أضعفت من حجته كثيراً حتى حملته على الشك فيما إذا كان قيام الإمبراطورية (الوهابية) برمتها في نجد يمكن إعتباره مفيداً على نحو من الأنحاء وأشارت حكومة الهند إلى أن الدولة (الوهابية) قد أصبحت الآن دولة إقليمية غير متعصبة ، وأن النفوذ البريطاني في الكويت قد يعاني الكثير لو حيل بين الشيخ مبارك ومناصرة حليفه ، فابتلاع الأتراك لنجد أمر أسوأ بكثير من قيام دولة (وهابية) فيها ، فقد يستطيع الأتراك مهاجمة الكويت من ناحية ليست محصنة فيها ولامزودة بإمكانات الدفاع عنها . وقدم إنذار آخر في القسطنطينية لكنه كان بلاجدوى ، ومضت الحملة التركية في سبيلها . وكانت النتيجة الوحيدة للمناقشة التي دارت بين الحكومة البريطانية وحكومة الهند هي تعيين وكيل سياسي بريطاني في الكويت بعدها بشهرين أو ثلاثة .

وكتب ابن سعود وقد أفزعه احتمال التدخل التركي إلى المقيم السياسي في الخليج طالباً حماية الحكومة البريطانية . لكنه لم يتلق رداً على خطابه ذلك .

التفكير في إرسال موفد بريطاني إلى الرياض ١٩٠٤م / ١٣٢١هـ :

وفي بداية سنة ١٩٠٤م كانت حكومة الهند ماتزال تفكر في مزايا إرسال ضابط بريطاني مسئول إلى الرياض[١] لدراسة الوضع القائم هناك والدخول إذا أمكن في علاقات أوثق مع ابن سعود . وتبين من البحث أن هذه البعثة يمكن تدبير أمرها بسهولة عن طريق شيخ الكويت ، وأبدت حكومة صاحبة الجلالة في تلك الظروف القائمة بعض الإقتناع بهذا الإقتراح لكنها أصدرت تعليماتها بعدم الدخول

(١) في سنة ١٩٠٣ م كان كاتب هذه السطور في إجازته بأوروبا ، ودار الحديث حول احتمال إختياره للسفر إلى وسط الجزيرة ، وهو اقتراح كان يبحث بالفعل في ذلك الوقت .

في علاقة بنجد أو إرسال وكلاء إلى هناك دون إذن سابق منها . وأخيراً أبلغت حكومة الهند الحكومة الأم أنها رغم اعتقادها أنها ستضطر في القريب إلى إبداء اهتمام أكبر بشئون وسط الجزيرة إلا أنها لن تبدأ عملها مباشرة بهذا الصدد . ووافقت حكومة صاحبة الجلالة على ذلك . لكنها أفصحت عن رغبتها في ضرورة الحصول على مزيد من المعلومات عن نجد ، ولم تهمل هذا الموضوع لكنها أملت العودة إليه مستقبلاً في ظروف أكثرملائمة . وفي نهاية تلك السنة عادت حكومة صاحبة الجلالة فأفصحت عن رغبتها في أن يكون مفهوماً أن الحد الساحلي لشرق الجزيرة هو الحد الذي تنحصر داخله مصالح بريطانيا ونفوذها ، وألا شيء يربط هذه الحكومة ولو بطريقة غير مباشرة بالحرب الدائرة داخل وسط الجزيرة ، وليت الحكومة التركية اقتدت ببريطانيا في ضبط النفس هذه .

موقف الحكومة البريطانية من خطط ابن سعود في الخليج .

١٩٠٥ - ١٩٠٦ م / ١٣٢٣- ١٣٢٤هـ :

ولم تكد الحكومة التركية تضع مخططاتها في القصيم موضع التنفيذ حتى بدأت تحركات الأمير (الوهابي) نفسه باتجاه الخليج تصبح مصدر قلق للحكومة البريطانية . فالحقائق المتعلقة بزيارة ابنه عبد العزيز لصحراء الجافورة وقطر في سنة ١٩٠٥م ومراسلاته مع شيوخ عمان المتصالحة سبق أن أشرنا إليها في فقرة سابقة ، كذلك ذكر بالتفصيل في تاريخ عمان المتصالحة . وقد اعتذر الأمير (الوهابي) عن أية ملاحظة عرضية ربما تكون قد صدرت عنه وسببت هذا القلق . وقبل تلقي هذا التأكيد كانت حكومة الهند قد أشارت على حكومة صاحبة الجلالة أنها ترى من الضروري الحصول على تأكيد من ابن سعود عن طريق شيخ الكويت أو سلطان مسقط لنيته الإلتزام بالإتفاقية التي سبق ان التزم بها سلفه عبد الله بن فيصل في سنة ١٨٦٦م/ ١٢٨٣هـ والتي كانت تقضي بألا يضايق الرعايا البريطانيين المقيمين في بلاده ، وألا يعتدي على الإمارات العربية المجاورة

لبريطانيا . وكانت حكومة الهند ترى أيضاً أن الأمير لو رد على ذلك رداً غير مقنع ، فيجب إبلاغه رسمياً بأن الحكومة البريطانية ستعتبر أية محاولة من جانبه للتدخل في شئون عمان عملاً معادياً للحكومة البريطانية ، وأن هذه الحكومة ستتخذ ضده من الإجراءات ماتراه مناسباً . وأخيراً قررت حكومة صاحبة الجلالة ألا حاجة لاتخاذ هذه الإجراءات التي تقترحها حكومة الهند إلا إذا قام أمير (الوهابيين) بتحركات باتجاه الساحل لتنفيذ خططه، وفي هذه الحالة يجب إبلاغه الإنذار مباشرة دون وسيط .

تجدد محاولات ابن سعود مع الحكومة البريطانية ١٩٠٦م / ١٣٢٤هـ :

وطول سنة ١٩٠٦م ظل الأمير (الوهابي) يواصل محاولاته للحصول على عون من الحكومة البريطانية ، والأقرب إلى الدقة أن نقول إن إبنه عبد العزيز هو الذي ظل يوالي بذل هذه الجهود عن طريق عدة وسطاء .

وقد عرض هذا الموضوع لأول مرة على كابتن بريدو الوكيل السياسي في البحرين عن طريق مسعد بن سويلم مبعوث ابن سعود الذي جاء من قطر واقترح أنه في حالة نجاح الأمير في طرد الأتراك من الأحساء توقع إتفاقية بينه وبين الحكومة البريطانية تتعهد فيها هذه بحمايته من الأتراك إذا عادوا مرة أخرى للهجوم عليه من البحر ، على أن يسمح لهذه الحكومة بأن تعين لها ممثلاً سياسياً في واحة الأحساء والقطيف . ولم يشجع كابتن بريدو هذا الإقتراح ، ثم سافر هذا المبعوث مباشرة من البحرين إلى بوشهر ، وتحاشى مقابلة المقيم البريطاني ، وأرسل من هناك برقية طويلة من الشيخ جاسم شيخ آل ثاني في الدوحة بقطر يوصي فيها السلطان خيراً بابن سعود . وقام ابن سعود بمبادرته الثانية عن طريق الشيخ جاسم ، الذي اقترح ، في لقاء بحري في قطر بينه وبين المقيم السياسي الميجور كوكس . أن يجتمع الأمير (الوهابي) مع مسئول بريطاني في أي مكان على الساحل العربي . وفي أغسطس ١٩٠٦م بذل الشيخ مبارك شيخ الكويت جهده غير مرة لمحاولة إقناع الوكيل السياسي هناك ـ كابتن كوكس ـ بمزايا وضع ابن

سعود تحت الحماية البريطانية خاصة بالنسبة لتجارة بريطانيا . وفي أكتوبر تلقى كابتن بريدو في البحرين من الشيخ جاسم خطاباً عاجلاً يطلب فيه مقابلته شخصياً بإلحاح ، وأرسل هذا الضابط الذي لم يكن يستطيع الذهاب بنفسه إلى قطر مترجمه الخاص السيد إنعام الحق ، وقال الشيخ جاسم في تفسيره لهذا الخطاب إن عبد العزيز ابن سعود قد عاد للإتصال به . وذكر أنه يخشى ألا يكون الشيخ مبارك قد عرض قضيته على المسئولين البريطانيين بالحماسة الكافية ، وأنه يود أن يلتقي بالكابتن بريدو ـ في أي مكان يحدد بالصحراء ـ هو شخصياً أو ينيب عنه شقيقه . ويبدو أن عبد العزيز الذي كان مصمماً على إستعادة إقليم الأحساء لأنه أهم أقاليم (الوهابيين) من الناحية الإقتصادية كان متلهفاً على الإطمئنان إلى التمتع بحماية البحرية البريطانية في حالة نجاحه . وأنه أيضاً يود أن يرتبط بالحكومة البريطانية باتفاقيات كتلك التي ارتبط بها شيوخ عمان المتصالحة . وهو يوافق على أن يقيم في بلاطه مسئول سياسي بريطاني . وأرسلت هذه الإقتراحات مباشرة إلى السلطات العليا . وفي نوفمبر عاد شيخ الكويت إلى إثارة الموضوع من جديد . وسنلاحظ أن ابن سعود كان قدم مقترحاته في سنة ١٩٠٦م قبل انسحاب القوات التركية من القصيم . وكانت ملحة وعاجلة بالنظر لوصول سامي باشا بقواته من المدينة .

أوامر حكومة صاحب الجلالة بصدد مقترحات ابن سعود ١٩٠٧ م/ ١٣٢٥هـ :

وفي فبراير سنة ١٩٠٧م رفعت حكومة الهند مشكلة الرد الذي يجب تقديمه لمبعوثي ابن سعود إلى حكومة صاحب الجلالة بشكل رسمي وردت هذه الحكومة في أواخر مايو التالي بأنه من المستحسن أن يتفادى ميجور كوكس هذه المشكلة ، وإلا فعليه أن يبلغ وكلاء الأمير أن مقترحاته هذه تنطوي على اعتبارات لايمكن للحكومة البريطانية أن تتدخل فيها ، وبالتالي فليس له أن يتوقع رداً عليها .

الفصل الثاني

تاريخ الأحساء

من

١٢١٠ إلى ١٣٢٤هـ

١٧٩٥ إلى ١٩٠٥م

تاريخ الأحساء .. [(١)]

الإحتلال (الوهابي) الأول للأحساء

١٧٩٥ - ١٨١٨م/ ١٢١٠ - ١٢٣٣هـ

غزو (الوهابيين) للأحساء حوالي سنة ١٧٩٥ م / ١٢١٠هـ :

حين ظهر (الوهابيون) للمرة الأولى من داخل شبه الجزيرة إلى شطآن الخليج كان شيوخ قبيلة بني خالد هم حكام الأحساء ، وكانو يمثلون إدارة وحكماً منظماً فيها قبل أن يغزوهم هؤلاء المتعصبون[(أ)] . وكان حكم بني خالد معتدلاً ومشجعاً للتجارة ، ففي سنة ١٧٩٠م كانت ضريبة الإستيراد في ميناء القطيف لاتتجاوز ١٪ وكان التجار الأجانب يلقون معاملة طيبة .. وكانت هناك حركة تجارية مزدهرة لابأس بها مع نجد وكان مقر شيوخ بني خالد في واحة الأحساء

تعزيز مركز(الوهابيين) في الاحساء ١٧٩٥-١٨١٠م /١٢١٠-١٢٢٥هـ :

وحوالي سنة ١٧٩٥م أستطاع أمير(الوهابيين) أن يقضي على حكم بني خالد ونجح في أحتلال جزء من الأحساء ، وجعلها قاعدة يمد منها نفوذه نحو الكويت والبحرين وقطر وعمان ، وتاريخ (الوهابيين) فى كل من هذه الأقاليم

---

(١) المراجع الوحيدة ـ باستثناء تقارير حكومة الهند ـ التي تتناول الأحداث في الأحساء وماحولها هي "يوميات سادلر" لرحلته عبر الجزيرة العربية (في سنة ١٨١٩) المنشورة في سنة ١٨٦٦ ، وكتاب بالجريف عن " وسط وشرق جزيرة العرب .. " المنشور في سنة ١٨٦٥ .. وكلا الكتابين وصفي أكثر منه تاريخي . أما أكثر المصادر فائدة ـ وهي تلك التي تعتمد على وثائق رسمية ـ فهي : سجلات بومباي رقم (٢٤) سنة ١٨٥٦ وفيها تلخيص للمراسلات المتعلقة بشئون الخليج للفترة من ١٨٠١ ـ ١٨٥٣ إعداد ج. أ. سالدانها المنشور سنة ١٩٠٦ . وتلخيص للتوسع التركي في أرض الجزيرة العربية ، لنفس المؤلف ، عن الفترة من ١٨٧٣ ـ ١٩٠٤ المنشور في ١٩٠٤ ، والتقارير الإدارية السنوية للمقيمية السياسية في الخليج . أما تاريخ لو عن البحرية الهندية فيقدم بعض التفاصيل المهمة عن عمل البحرية البريطانية على ساحل الأحساء .

*(أ) المتعصبون برأي هذا الكاتب لأنهم رفضوا الهيمنة البريطانية على الخليج العربي وكانوا القوة المحلية الوحيدة التي وقفت ضد أطماع البريطانيين في الخليج .

موجود فى الجزء الخاص بكل منها . ولن نهتم هنا إلا بأحداث الأحساء والقطيف والصحارى المجاورة لهما فقط [أ].

وفى سنة ١٧٩٩م حدث أول اشتباك مسلح بين قوات العثمانيين والدولة (الوهابية) الجديدة .. لكن هذة الحملة تخص تاريخ نجد قبل أى شيء آخر .. ولهذا فهي مذكورة هناك .

وفى سنة ١٨٠٠م إستولى (الوهابيون) على مدينة القطيف بالقوة بعد إرتكاب مذابح رهيبة بين أهلها . وفى ١٨٠١م كانت المعارضة للحكم (الوهابى) ما تزال مستمرة .. أو لعلها إنبعثت من جديد فى الأحساء .. لأنه قد ذكر فى هذه السنة أن الإتصال قد انقطع بين القطيف ونجد ، وأن التجارة وسط الجزيرة مع الهند ، وكانت تتبع دائماً طريق الأحساء قد أصبحت تتخذ طريقها مروراً بالبصرة فالكويت لكن وضع (الوهابيين) فى الأحساء كان قد تدعم فى سنة ١٨٠٢م إلى حد جعلهم يعترفون بأنهم يقدمون المساعدات للعتوب فى البحرين للخلاص من نير حاكم مسقط وفى سنة ١٨١٠م ضمت جزر البحرين والأقاليم المجاورة لها فى القطيف وقطر فى حكومة (وهابية) واحدة ، عهد بها إلى عبد الله بن عفيصان . وكانت البحرين هى مقر هذه الحكومة . وفى سنة ١٨١١م أرغم تقدم القوات المصرية أمير(الوهابيين) على سحب حامياته العسكرية التى كان قد جعلها فى الهفوف والقطيف ، ولكن نفوذ (الوهابين) فى سنة ١٨١٤م – ورغم أنه قد انتهى تماماً من البحرين - كان ما يزال سائداً فى الأحساء .

---

* [أ] كانت معركة الشيط في رجب ١٢٠٧هـ / ١٧٩٣م بين بني خالد بقيادة براك بن عبد المعحسن وجيش الدولة السعودية الأولى بقيادة سعود بن عبد العزيز وهي التي قطت على بني خالد حيث تقدم بعدها سعود وأستلم الاحساء وبلدانها وما حدث فيما بعد من قبل زعماء بني خالد أو مؤيديهم يعتبر تمرد على سلطة السعوديين .

إستقرار رحمة بن جابر فى الأحساء

قلعة رحمة بن جابر:

بنى رحمة بن جابر القرصان الشهير من الجلاهمة العتوب الذى كان مستقراً فى خور حسن فى قطر قلعة لنفسة فى الدمام على ساحل الأحساء إلى أقصى الجنوب من واحة القطيف .

(الوهابيون) يطردون رحمة بن جابر ١٨١٦م /١٢٣١هـ :

وظل رحمة مقيماً باالاحساء كممثل لمصالح (الوهابيين) واشترك مع سيد عمان فى هجوم على البحرين التى كانت إلى حد ما تحت حماية (الوهابيين) ، وبعدها وجد نفسه مرغماً على أن يعبر الخليج ويلتمس له مأوى على الأرض الإيرانية . وفى يوليو سنة ١٨١٦م ، وقبل أن يرحل رحمة نهائياً عن الساحل العربى دمر (الوهابيون) قلعته فى الدمام.

الإحتلال المصرى الأول للأحساء

١٨١٨ – ١٨١٩م /١٢٣٣ـ ١٢٣٤هـ

وصول القوات المصرية إلى الأحساء ١٨١٨م /١٢٣٣هـ :

بعد أن إستولى إبراهيم باشا قائد القوات المصرية على الدرعية عاصمة (الوهابيين) فى سبتمبر ١٨١٨م نقل أهل المدينة إلى الأحساء ، ثم سار هو بنفسه إلى هناك[أ] ويبدو أنه كان يهدف إلى ضم الإقليم الخصب نسبياً إلى مقره الإدارى فى الجزيرة العربية .

*[أ] سبق أن أشرت إلى أنه لم يتم نقل أهالي الدرعية إلى الأحساء وإنما منهم من ذهب طوعاً إلى الأحساء كبقية البلدان الأخرى بعد تدمير الدرعية وأما إبراهيم باشا فلم يصل الأحساءواكتفى بإرسال أحد رجاله مع حامية إستقرت بها عدة أشهر .

ونحن لا نعرف عن حركة القوات المصرية فى الأحساء إلا أقل التفاصيل ، ولكن يبدو أن رحمة بن جابر كان يقدم معونته لإبراهيم باشا ـ وقدجاء لهذا الغرض من بوشهر ـ بإخضاع ميناء (الوهابيين) فى القطيف بنيران المدفعية . واستفاد رحمة من تفاهمه الكامل مع القوات المصرية فعاد للاستقرار فى الدمام وبدأ من جديد بناء حصنه الذي دمره (الوهابيون) في العام السابق . وفي نهاية سنة ١٨١٨م وصلت قوات كبيرة من العرب من ساحل (القراصنة) على ١٧ سفينة حربية لمعونة (الوهابيين) ضد القوات المصرية ، لكن وصولها جاء متأخراً جداً . وعادت القوات إلى مقرها بسلام عن طريق البحرين [أ] .

الأحداث خلال إحتلال المصريين الأول للأحساء

١٨١٨ – ١٨١٩ م/ ١٢٣٣ – ١٢٣٤هـ

رحلة الكابتن سادلر في الأحساء ثم جلاء القوات المصرية عن هذا الإقليم .

١٨١٩ م/ ١٢٣٤هـ :

وفي ظهر يوم ١٨ يونية ١٨١٩م وصل الكابتن ج. فورستر سادلر من فرقة صاحبة الجلالة ٤٧ إلى ساحل الأحساء في مهمة خاصة لإبراهيم باشا ، على نحو ماهو موجود بالتفصيل في تاريخ عمان المتصالحة ، لكن مرشداً جاهلاً من بوشهر كان مسافراً على ظهر سفينة شركة الهند "فستال" أرشد السفينة خطأ إلى ساحل رملي ظلت جانحة فيه طول الليل . وتباطأت السلطات المصرية على الساحل في تقديم معونتها ، ولكن بعد ظهر يوم ١٩ يونيو ، وصل وفد للتهنئة من رحمة بن جابر إلى ظهر السفينة . وفي اليوم التالي وصلت السفينة بسلام إلى ميناء القطيف بإرشاد إثنين من المرشدين الأذكياء أرسلهم رحمة. وكان كابتن سادلر ينوي أن يجعل من العقير نقطة إنطلاقة إلى داخل الأحساء غير أن رحمة

* (أ) المعنى بالقراصنة هنا القواسم الذين رفضوا الهيمنة البريطانية .

بن جابر ونائب الحاكم المصري في القطيف إستطاعا خداعـه وإقناعـه بالرسو فـي سيهات إلى أقصى الجنوب من واحة القطيف . فوصلها يـوم الإثنين ٢١ من نفس الشهر ، وأدى هذا التغيير في الخطة ـ الذي لانستطيع أن نلوم كابتن سادلر من أجله ـ إلى ضياع عدة أيام هامة جداً مما ساهم في إفشال مهمته .

ولقد كان المصريون وقت وصول الكابتن سادلر ، قد اقتنعوا بضرورة تركيز قواتهم في شبه الجزيرة ، وكانوا على وشك الجلاء عن الأحساء ، وكانت الأوامر قد صدرت لخليل أغا ـ نائب الحاكم المصري في القطيف ـ بالرجوع إلى الهفوف مع إثنين من مساعديه وأن يعهد بالقطيف إلى مشرف ، وهو إبن شقيق الشيخ محمد شيخ بني خالد ، ولم يكن الطريق مأموناً بين القطيف والهفوف حيث بدأت حوادث الهجوم على البعثات المصرية بين الهفوف ومقر قيادة إبراهيم باشا في نجد . وكان خليل أغا ، وكل قوته لاتتجاوز ٦٠ عربياً مأجوراً إنصرف معظمهم ، لقد بدا عاجزاً عن القيام بعمل كبير . وقبل الكابتن سادلر عرض شيوخ بني خالد بأن يصحبوه في رحلته ، فخرج من سيهات يوم ٢٨ يونيو سنة ١٨١٩م تحت حماية المشرف لكن مسلك هذا الرجل في الصحراء كان "كالوحش الضاري الذي وجد فريسته بين يديه" ولم يكن سلوك الشيخ محمد الكبير الذي كان عاجزاً وأصم أو سلوك شقيقه ماجد أفضل من سلوك المشرف . ولم يصل كابتن سادلر إلى الهفوف قبل يوم ١١ يوليو بعد أن سحب في جولة طويلة إلى آبار البدراني وعزيز المليحة وأبواب وأم ربيعة والحفيرة وعين دار ومليجة وقرية العيون . وفي كل هذه الأماكن تعرض كابتن سادلر للإرهاق وقلق لاحد لهما ، وكان عليه الخضوع لما يأمره به البدو في كل هذه الأماكن . وفي الهفوف لقي المبعوث البريطاني إستقبالاً حسناً من جانب محمد أغا الكاشف أو الحاكم المصري في الأحساء الذي تلقى أوامر فيما بعد بأن يسلم الإقليم لشيوخ بني خالد ويلحق بإبراهيم باشا في سدير ومعه الحامية المصرية في الأحساء ولم تكن هذه الحامية تضم وقتذاك أكثر من ٢٥٠ رجلاً ، وكان الضباط المصريون الذين التقى بهم كابتن سادلر مبتهجين لاستدعائهم إلى مقر القيادة بعد أن أرهقتهم فترة طويلة من العمل

في ظروف قاسية ومناخ صعب . وقد أدى محمد أغا إهتماماً كبيراً بمهمة الكابتن سادلر ، وعرض عليه أن ينتظر ويصحبه في الإنسحاب إلى مقر القيادة الذي كان محدداً له يوم ٢٢ يوليو ، لكن محمد أغا بعد أن قدم للكابتن سادلر بعض الإمدادات تسلل وحده يوم ٢١ يوليو وتبعه كابتن سادلر في اليوم التالي مع الجزء الأكبر من القوات المصرية . وفي يوم ٢٤ يوليو وقبل أن يخرج من إقليم الأحساء إلى نجد مر كابتن سادلر - مرة ثانية - بآبار أم ربيعة . وأثناء وجوده في الهفوف عرف أن الغزاة المصريين كانوا قد انتهجوا كل وسيلة ممكنة لتعزيز سلطتهم في الإقليم الذي إحتلوه ، وعرف ايضاً أن الأهالي كانوا ينتظرون رحيلهم بفارغ الصبر .

ويبدو ان إبراهيم باشا كان يعتقد أنه حين يضع حامية في عنيزة في وسط الجزيرة يستطيع أن يظل على الإتصال بالأحساء وأن ياخذ الجزية بشكل منتظم من شيوخ بني خالد الذين أطاح (الوهابيون) بسلطتهم ، لكنها عادت بعد رحيل القوات المصرية .

وجود وكيل بريطاني في القطيف ١٨٢٣م / ١٢٣٩هـ :

ووقت زيارة الكابتن سادلر لم يكن بالقطيف هندوكي أو مسيحي واحد ، ولم يكن يجرؤ أحد على التفكير في أن يعمل وسيطاً أو سمساراً أو ماإلى ذلك . فكل من كانت تبدو عليه إمارات الثراء يطالبه المصريون بالمساهمة المادية ، ولكن في سنة ١٨٢٣م وأثناء رحلة المقيم السياسي على طول الشاطيء العربي كان يوجد وكيل وطني لمقيمية بوشهر في القطيف إقترح الملازم ماكلاود إنتقاله إلى الشارقة على ساحل (القراصنة) .

أعمال رحمة بن جابر

١٨١٨- ١٨٢٦ م / ١٢٣٣- ١٢٤٢هـ

ترتيبات لإحلال السلام بين رحمة بن جابر والعتوب في البحرين . ١٨٢٤م / ١٢٤٠هـ :

بعد أن عاد رحمة بن جابر مرة اخرى للإستقرار في الدمام سنة ١٨١٨م أثناء إحتلال القوات المصرية للأحساء بداء في مضايقة العتوب في البحرين وأصاب فى ذلك نجاحاً متزايداً ، وأدى هذا الصراع العنيف إلى اضطراب الأمن فى البحر إضطراباً جعل السلطات السياسية البريطانية تتبع كل الوسائل فيما بين ١٨٢٢م و١٨٢٤م كما هو مذكورفى تاريخ البحرين لتسوية الأمور بين الطرفين المتنازعين وأخيراً في فبراير ١٨٢٤ م وكما جاء في تاريخ البحرين - عقد الصلح بين الطرفين بشرط ألايتدخل رحمة لمنع شيخ البحرين من إيقاع العقاب بقبيلة آل بوسميط المتمردة التى كانت إستقرت مؤخراً تحت حماية رحمة فى الدمام (أ) .

أحداث أخرى فى سنة ١٨٢٤م /١٢٤٠هـ

ثم قام رحمة بن جابر بزيارة لمسقط ، ولدى عودته إلى الدمام سار مباشرة لحصار القطيف التى كان أهلها قد توقفوا عن دفع الجزية - أو فلنقل الإتاوة - التى كانوا يؤدونها له فى مقابل حماية تجارتهم فى البحر. وكان رحمة فى ذلك الوقت يقترب من السبعين وقد أدى سوء الحظ إلى ضياع جانب كبير من مصادره المادية ، لكنه كان كما هو دائماً من حيث قوة العزم وروح الإصرار . وقد عمد شيخ بوشهر بأمر من حكومة شيراز التى أسخطها عقد الصلح بين رحمة والعتوب إلى إحتجاز عائلة أحد أبناء رحمة هناك . ولجأ هذا إلى السلطات البريطانية يطلب منها أن تأذن له بإعلان الحرب على شيخ بوشهر ، لكن المسألة سويت بعد إطلاق سراح هؤلاء المحتجزين وعودتهم إلى الدمام بفضل تدخل المقيم البريطانى فى

---

*(أ) رحمه بن جابر الجلاهمه شيخ الجلاهمه الفرع الثالث لتحالف العتوب (آل خليفه وآل الصباح وآل الجلاهمه) للمزيد أنظر حياة محمد البسام ، أعمال رحمه بن جابر البحرية في الخليج العربي بين القرصنة والأنتقام .

بوشهر . وفى نفس الوقت فإنه بسبب خضوع أهل القطيف وربما إستيلاء رحمة على بعض السفن أثناء عملياته ضدهم إستطاع التخفيف من مشاكله المالية .

حصار رحمة بن جابر للقطيف ١٨٢٥ م / ١٢٤١ هـ :

وفى أوائل سنة ١٨٢٥م عاود رحمة زيارة مسقط ، وحصل فى نفس الوقت على ترخيص من المقيم السياسي البريطاني بأن يتدخل لمناصرة الشيخ طحنون فى الحرب التى كانت دائرة وقتذاك بين حكام أبو ظبى والشارقة فى عمان المتصالحة . وقرب نهاية سنة ١٨٢٥م بدأت المشاكل مرة أخرى حول الإتاوة التى كان يدفعها أهل القطيف ، وبدأ رحمة وهو يتجاهل تحذيرات المقيم البريطاني تجاهلاً تاماً ينهب سفن هذا الميناء غير المسلحة ، ووضعت سفينتان حربيتان بريطانيتان نتيجة ذلك خارج الدمام وأبلغ رحمة بأنه إذا لم يكف عن هذه الغارات فستتخذ السفن الحربية عملاً حاسماً ضده . لكنه تقرر أخيراً عدم القيام بأى عمل ضد رحمة إلا إذا امتدت غارته إلى سفن أخرى غير سفن القطيف كما وجه اليه إنذار آخر. ويبدو أن عناد رحمة كان يرجع لثقته بانبعاث قوة (الوهابيين) من جديد. وهو يعرف أنها قوة ترحب بوجود عمليات (القراصنة) فى البحر ولا ترفضها(أ) .

نزاع جديد بين رحمة وشيوخ البحرين :

وفى نفس الوقت تجددت القطيعة ثانية بين رحمة والعتوب فى البحرين لكن الأعمال العدوانية بين الطرفين لم تبدأ إلا بعد إتخاذ السلطات البريطانية قرارها بعدم التدخل بين رحمة وأهل القطيف ومغادرة السفن الحربية البريطانية للدمام . ولم يكن أى من هذين الطرفين مستعداً للدخول فى حرب شاملة منظمة ، وطلب كلاهما من المقيم البريطاني عقد الهدنة ، لكن المقيم إشترط أن يكون أهل القطيف

---

*(أ) يشير الكاتب هنا إلى تلك العلاقة الوثيقة بين الدولة السعودية الأولى والقواسم عندما كانوا هؤلاء جزء من الدولة ،والقرصنة هنا تهمة ألصقها البريطانيين بالقواسم للقضاء عليهم عندما شاركوا هؤلاء بأساطيلهم البحرية العربية البريطانيين في مصالح الخليج التجارية وعائدات النقل والمواصلات البحرية.

طرفاً في هذه الهدنة ، فرفض رحمة وتركت السلطات البريطانية الأمور تسير في مجراها .

المعركة الأخيرة وموت رحمة ١٨٢٦ م/ ١٢٤٢هـ :

وقرب نهاية سنة ١٨٢٦م حين وجد رحمة نفسه محاصراً من أعدائه الذين احتلوا الدمام ، عبر الخليج إلى بوشهر محاولاً كسب المقيم إلى جانبه في هذه القضية . وحين فشل في تحقيق ذلك إختار معه عدداً من البلوش يقاربون الثلاثين رجلاً وعاد بهم في سفينته إلى الدمام التي كان يرابط بها أسطول للبحرين . ولدى وصول رحمة إلى الدمام أطلق مدافع سفينته تحية على سبيل الإهانة . واستفز هذا العمل العتوب إستفزازاً جعل أحمد بن سلمان ابن شقيق الشيخ الأكبر يقترح متطوعاً أن يهاجم سفينة رحمة بسفينته هو ، وقبل رفاقه إقتراحه . فاقترب من سفينة رحمة ودار بين السفينتين قتال حاد وحاسم ثم انسحبت سفينته إلى البحرين لتأخذ مزيداً من الرجال من بقية سفن العتوب ، ثم عادت إلى القتال حتى أيقن رحمة الذي كان قد كف بصره تماماً في ذلك الوقت أن سفينته لابد سيتم الإستيلاء عليها من جانب هذه السفن الكثيرة التي تفوقه عدداً ورجالاً .. وأيقن أيضاً ألا مهرب له .. فأمر بأن تندفع سفينته إلى سفينة العدو. واسترشد رحمة باصغر أبنائه- وهو صبي في الثامنة - ليقوده إلى مخزن البارود في السفينة وأشعله بيده وانفجرت سفينته وترامت أشلاؤه هو ورفاقه جميعاً ... وأشعل هذا الإنفجار النار في السفينة المهاجمة بطبيعة الحال ... وغرقت ولكن بعد أن تم إنقاذ الرجال الذين كانوا على ظهرها[١].[أ] .

---

(١) هذا مايروى عادة بهذا الصدد . ولكن نظراً لأن رجال رحمة جميعاً قد قتلوا ولم يبق منهم أحد ممن كان في السفينة .. فإننا لانعرف المصدر الذي نقلت عنه كيفية حدوث الإنفجار فيها.

*(أ) ذكر ابن بشر هذه الحادثة في شهر جمادى الأولى ١٢٤٢هـ وأن سفينة رحمة (ثار بارودها) فاشتعلت نيرانها ولم يذكر تعمد رحمة في إشعالها بل إنه أثنى على رحمة وذكر قصيدة له تنبني عن حسن عقيدة هذا الرجل ولهذا إستبعد أن يتعمد رحمة إشعال سفينته أنظر ابن بشر ـ عنوان المجد جـ٢، ص :٣٢ ـ ٣٤ .

وكان مظهر رحمة بن جابر ، كما وصفه بكنجهام وصفاً تفصيلياً حياً في سنة ١٨١٦م، يدعو إلى النفور . فثيابه غاية في الإتساخ ووجهه " قاسي قبيح بطبيعته زادته قبحاً الندوب والجروح وفقدان عين من عينيه . أما جسمه فكان " نحيلاً ذا أطراف ضامرة .. كلها قد عملت فيها الجروح والندوب والقطوع من السيوف والحراب والرصاص .. في كل جزء منها وربما كان عددها يتجاوز عشرين جرحاً مختلفاً " وكانت العظمة التي تصل الكتف بالساعد مفقودة في ذراعه اليمنى نتيجة ضربة سيف لكنه كان يستطيع أن يقبض على الخنجر بيده اليمنى .. ويضرب به بمساعدة اليسرى . وكانت نفسية رحمة بن جابر قاسية ضارية ميالة للإنتقام لكنه كان يستطيع أن يضع على وجهه قناع الهدوء بنفس البرود الذي يواجه به الآلام التي يعانيها . وبين أتباعه ـ ومعظمهم من العبيد ـ كان يقال أنه يحفظ النظام بأحقيته المطلقة في الأمر بعقوبة الإعدام ، ولم يكن هناك رجل يجرؤ على عصيان أمره . وقد أثبت رحمة حصافته في تجنبه طوال حياته أي تواطؤ مباشر مع الحكومة البريطانية ، ويحفظ علاقته الودية والوثيقة ببعض المسئولين البريطانيين في مقيمية بوشهر ، ولابد أن نقول بان رحمة كان يتمتع بمؤهلات قيادية حقيقية ، ورغم ذلك فقد تنفس الخليج كله الصعداء يوم قتل[١] .

---

(١) الوصف الوحيد لرحمة بن جابر ممن رأوه هو الموجود في كتاب بكنجهام : "أسفار بلاد الآشوريين .. إلخ" ص: ٣٥٦ إلى ص ٣٥٨ . وواضح أن هذا الكاتب المنافق بعض الشيء لم يستطع أن يتقبل ذئب البحر العجوز .

(الوهابيون) يعودون لفتح الأحساء

١٨٢٤ ـ ١٨٣١ م/ ١٢٤٠هـ ـ ١٢٤٦هـ

إشتباكات غير حاسمة بين (الوهابيين) وبني خالد .

١٨٢٤ ـ ١٨٣٠م/ ١٢٤٠ ـ ١٢٤٥هـ :

نجح بنو خالد وشيوخهم الذين استعادوا سلطتهم في الأحساء عن طريق القوات المصرية في المحافظة على مكانتهم هذه لعدة سنوات . غير أن أمير (الوهابيين) بعد أن اعترف بولائه للمصريين ودفع لهم الجزية ثم اشتبك في حرب مع بني خالد جعل من المتعذر وصول الأموال التي كانت تدفع لهم كل سنة من الأحساء . وقد اتخذ بنو خالد من الهفوف عاصمة لهم كما استولوا أيضاً على الميناء البحري في القطيف . وكان بدء الإشتباكات بين (الوهابيين) وبني خالد سنة ١٨٢٤م غير أنها ظلت حتى سنة ١٨٣٠م دون أن تصل إلى نتيجة حاسمة .

(الوهابيون) يوقعون الهزيمة النهائية ببني خالد ١٨٣٠م / ١٢٤٥هـ :

وفي بداية سنة ١٨٣٠م أخذ بنو خالد زمام المبادرة بأن ساروا إلى نجد في قوات ضخمة خرج إليها فيصل بن تركي ابن الأمير على رأس قوات (الوهابيين) لمناجزتها . وهنا أصاب سوء الحظ بني خالد بمرض وموت أعظم قوادهم العسكريين وهو الشيخ ماجد ، وتولى الشيخ محمد الذي كان السن قد تقدم به كثيراً قيادة هذه القوات بموافقة شقيق الشيخ ماجد ، لكن الشيخ محمداً كان يعرف أنه عاجز عن أن يتحمل القيادة فعهد بها إلى ابن شقيقه برغش . وسار القائد الجديد بقواته – بعد تردد ـ لمقابلة (الوهابيين) .. لكن هؤلاء تراجعوا أمام قواته .. وفي ليلة ٢٣ مارس سنة ١٨٣٠م خرج تركي بن عبد الله أمير (الوهابيين) بنفسه من الرياض على رأس ١٢٠٠ رجل من أتباعه ؛ ونجح في أن يطوق جناح جيش بني خالد ويصل إلى وبرة قاعدة عملياتة ومصدر الماء له – فاستولى عليها نظراً لقلة الحراسة الموضوعة عليها . وهكذا وجد بنو خالد أنفسهم بعيدين عن الماء

محرومين منه ومحاصرين بين جناحين من جيش العدو . وبعد مهلة يوم واحد باشر الهجوم فى الصباح التالى كلا جناحى (الوهابيين) ، وفى هذه المعركة هزم بنو خالد واستولى (الوهابيون) على نسائهم وأطفالهم وخيامهم وخيلهم وإبلهم وماشيتهم ، واستطاع الشيخ محمد وبرغش الفرار إلى الهفوف حيث واصلا المقاومة منها بعد قليل . لكن معظم بنى خالد أعلنوا خضوعهم (للوهابيين) ، فتقدم هؤلاء إلى الهفوف عاصمة الأحساء ، وسرعان ما سقطت بين أيديهم وتبعتها القطيف بعد قليل.

السياسة المستنيرة لأمير (الوهابيين) فى الأحساء ١٨٣١م /١٢٤٦هـ :

وتميزت سياسة الفاتح الجديد الذى لم يكن على غرار أسلافه أو من سبقوه بالتسامح والمصالحة فاستتب له الأمر فى الأحساء ، ووضع فيها بعض الحاميات واكتفى بجمع الزكاة المعتادة فقط وعاد إلى داخل الجزيرة سنة ١٨٣١م ولاشك فى أن هذا التغير جاء فى مصلحة إقليم الأحساء نفسة لأن تلك الفوضى والحروب الأهلية التى سادت أثناء حكم بنى خالد قد أنتهت ، وقد قام شيخ بنى خالد الذى بقى على قيد الحياة ببعض أعمال المقاومة ضد (الوهابيين) لكنها كانت جميعاً ضعيفة وبلا جدوى.

الأحداث خلال إحتلال (الوهابيين) الأول للأحساء

١٨٣٠ – ١٨٣٨م /١٢٤٥– ١٢٥٤ هـ :

بدأ الحكم (الوهابى) يحاول الامتداد من الأحساء التى اتخذها قاعدةً له إلى جزر البحرين ، لكن نجاحه فى هذا الإتجاه لم يكن كاملاً أو مطلقاً كنجاحه فى الأحساء . وظل الاحتكاك بين (الوهابيين) والعتوب بالبحرين مصدر تهديد دائم للرفاه الاقتصادي والهدوء في المنطقة .

إقامة بشير بن رحمة على جزيرة تاروت ١٨٣٠ ـ ١٨٣٢ م/ ١٢٤٦ ـ ١٢٤٧ هـ :

وحين طلب أمير (الوهابيين) من شيوخ البحرين الإعتراف بالولاء له فى سنة ١٨٣٠م كان يهدف إلى أن يجعل بشير بن رحمة ابن (القرصان) رحمة بن جابر على الدمام كمصدر إزعاج للعتوب ، وكان سيد عمان يوافق على هذا المشروع كما أنه آوى بشيراً منذ موت أبيه فى سنة ١٨٢٦م .. وكان يلتمس عونه فى حملة جديدة يعدها من مسقط على البحرين غير أن (الوهابيين) بموجب التسوية التى عقدوها مع العتوب فى سنة ١٨٣١م تجاهلوا المشروع ولكنهم بعدها مباشرة وربما بفضل تدخل السيد سعيد سمحوا لبشير بالإستقرار في جزيرة تاروت المواجهة لمدينة القطيف ، وسرعان مالحق ببشير معظم قبيلة آل بوسميط التي كانت ـ كأسرة بشير نفسه ـ على عداء صريح لشيوخ البحرين لكنه من جرّاء عداوة أهل القطيف له وجد أن معونة آل بوسميط وحدهم لاتكفي لاستمرار بقائه في دارين .

وفي سنة ١٨٣٢م وعقب هدم القلعة التي كان أقامها بشير مؤخراً رجع وأنصاره المقربون معه إلى مسقط مرة أخرى(أ) .

مشاكل (الوهابيين) في الأحساء ١٨٣١ ـ ١٨٣٥ م/ ١٢٤٦ – ١٢٥٠هـ :

وفي سنة ١٨٣١م ولعلّه من جرّاء المشاكل التي كانت قائمة في نجد بين تركي بن عبد الله وواحد من أقربائه كان يزعم أنه الجدير بإمارة (الوهابيين) هاجم بعض بني خالد من العماير الهفوف والقطيف لكن هجومهم فشل .

وحدث نزاع بين بني العماير من جنة ومعهم بعض أفراد قبيلة سودان وبين سكان القطيف . وكان السبب الرئيسي هو رفض أهل القطيف الإستمرار في دفع الإتاوة التي يسلبها منهم العماير .

---

*(أ) قتل بشير بن رحمة سنة ١٨٥٢م / ١٢٦٧هـ ـ في نزاع أسري بين آل خليفة حكام البحرين عندما كان بشير يساند أحد الفريقين وبعدها إختفى إسم الجلاهمة من المصادر ولم يعد لهم أي دور في أحداث الخليج العربي.أنظر محمد خليفة النبهاني – التحفة النبهانية ، ص: ١١٥ .

غير أن مشاعر الناس قد إستثيرت نتيجة الخسائر التي حدثت ، خاصة ماتعرض له أحد الشيوخ على أيدي العماير في محاولات منهم لفرض مطالبهم بالقوة ، ولم يجد توسط أمير (الوهابيين) بين الطرفين شيئاً . وكان من نتائج هذا الصراع أن هاجم العماير في سنة ١٨٣٢م سفينة بحرينية خارج القطيف وقتلوا ١٢ رجلاً من ٣٠ كانوا على ظهرها . وفي سنة ١٨٣٣م وبتشجيع مستتر من جانب العتوب في البحرين إتخذ العماير مستقراً لهم في الدمام ، وحاصروا القطيف وبدأوا يتدخلون في تجارتها .

وحين تضايق شيوخ البحرين من هذه الإضطرابات أعلنوا في سنة ١٨٣٣م ولاءهم لأمير (الوهابيين) ، واستنجد بهم الحاكم (الوهابي) في القطيف وكان يظن سيده في موقف حرج .. لكن تركي بن عبد الله إستطاع بهمته الفائقة أن يتغلب على الصعوبات التي يواجهها في الأحساء .. وتم جمع الزكاة - ربما للمرة الأولى - من سكان ساحل الأحساء .

إستيلاء العتوب على جزيرة تاروت ١٨٣٤م / ١٢٤٩هـ :

وفي سنة ١٨٣٤م حاصر شيخ البحرين مينائي (الوهابيين) في القطيف والعقير ، وبعد اغتيال تركي بن عبد الله ضم جزيرة تاروت إلى البحرين وحرض بني خالد على مهاجمة (الوهابيين) في الهفوف والقطيف لكن الحاكم (الوهابي) في الهفوف عمرو بن عفيصان إستطاع أن يصد هجومهم وكبدهم خسائر فادحة . وأرغم بنو خالد على اللجوء إلى جزيرة تاروت في حماية حامية البحرين هناك .

القوات المصرية تؤكد سيطرتها على الأحساء ١٨٣٥م / ١٢٥٠هـ :

وحوالي منتصف سنة ١٨٣٥م وصل إلى مسقط قادماً من مكة المكرمة تاجر معروف كان يقيم من قبل في البحرين ، واسمه عبد الله بن مشاري وكان يحمل خطابات من أحمد باشا الحاكم المصري في الحجاز موجهة إلى سيد عمان وشيخ البحرين وأمير (الوهابيين) .. وجاء في هذه الخطابات أن لحاملها حق الإلتزام بالعوائد في القطيف لمبلغ بين ٢٠ _ ٢٤ ألف روبية في السنة من قبل

الحكومة المصرية وهو يرجو السماح له بتأدية هذا العمل دون معارضة من أحد . ويبدو أن المصريين كانوا يهدفون إلى التمهيد لإعادة فتح نجد من الغرب متوسلين لذلك بإقامة قواعد على حدود أمير (الوهابيين) في الشرق . وقد استقبل السيد سعيد عبد الله بن مشاري إستقبالاً حافلاً ، وقدم له سفينة تنقله من مسقط إلى القطيف ، أما فيصل بن تركي الذي استطاع الآن إبعاد قتلة أبيه وأصبح أمير (الوهابيين) الجديد فقد أرسل قوات كبيرة للدفاع عن حقوق اهل القطيف ، وسرعان ما اختفى جامع العوائد المنتظر من القطيف بعد وصوله إليها مباشرة . وقد تبين أيضاً أن أبناء بن مشاري كانوا قد استطاعوا الحصول على خطابات توصية من حكومة بومباي وحاولت القوة (الوهابية) التي أرسلت لطرد بن مشاري أن تعيد الإستيلاء على جزيرة تاروت من شيخ البحرين لكن جهودها فشلت ، وانتقم العتوب لأنفسهم بأن جددوا حصار مينائي القطيف والعقير بعد أن كانوا رفعوا الحصار عنهما .

فشل (الوهابيين) في استعادة جزيرة تاروت وتملك العتوب للدمام

١٨٣٥م / ١٢٥٠هـ

الصلح بين العتوب (والوهابيين) ١٨٣٦ - ١٨٣٨م / ١٢٥١- ١٢٥٤هـ :

وفي منتصف سنة ١٨٣٦م ، كانت القوات الإيرانية تهدد البحرين والقوات المصرية تهدد نجد ، فوجد كل من (الوهابيين) وشيوخ العتوب من الأفضل تصفية الخلافات القائمة بينهم ، وبدأت المحاولات الأولى في هذا الإتجاه من جانب شيخ البحرين لكنها صادفت قبولاً فورياً من جانب الأمير ، ووضع العتوب أنفسهم تحت حماية (الوهابيين) ورفعوا الحصار عن ساحل الأحساء . وفي سنة ١٨٣٧م كانت قوى أمير (الوهابيين) مستنفدة تماماً في الصراع العنيف الدائر في نجد بينه وبين والي المصريين هناك وكان يدعى خالداً . وشرع العماير من بني خالد ، وانضم إليهم بعض بني هاجر المستقرين في الدمام تحت حماية العتوب في البحرين ، يرتكبون أعمال القرصنة ضد قوارب القطيف والعقير ، غير أن شيخ البحرين

حصل على ترخيص من المقيم البريطاني في بوشهر ، وقام فوراً بأعمال حاسمة ضدهم أنهت محاولاتهم لتعكير الأمن في البحار .

الإحتلال المصري الثاني للأحساء

١٨٣٨ –١٨٤٠م / ١٢٥٤– ١٢٥٦هـ

القوات المصرية تطرد (الوهابيين) ١٨٣٨ ـ ١٨٣٩م / ١٢٥٤ ـ ١٢٥٥هـ :

في نهاية سنة ١٨٣٨م إنتهت عمليات المصريين العسكرية في نجد باستسلام أمير (الوهابيين) فيصل بن تركي في الدلم بالخرج حيث أرسل سجيناً إلى مصر ، وقبل هذا حدث أن دبر العماير من بني خالد في الهفوف مؤامرة لحساب القوات المصرية لكنها انكشفت وعاقبهم عمرو بن عفيصان أمير (الوهابيين) في الأحساء عقاباً رادعاً إذ أمر بإعدام ثلاثة من كبار المشتركين فيها . وحين سقطت الدلم خضعت واحتا الأحساء والقطيف تلقائياً للقوات المصرية ، على حين لجأ ممثل (الوهابيين) إلى البحرين . وألقى المصريون القناع الذي كانوا يتقنعون به وهو مساعدة خالد المطالب بالحكم فأعلنوا أنهم يفتحون هذه الأرض باسم محمد علي باشا والي مصر . ولانعرف على التحديد ما إذا كان خورشيد باشا القائد العام المصري الذي كان يتخذ مقر قيادته أولاً في السلمية بالخرج ثم بعد ذلك في ثرمدة بالوشم ـ قد زار الأحساء بنفسه أم لا .. لكن إدارة مصرية منظمة أقيمت هناك على الفور[أ] ، كما وضعت حامية من ٣٠٠ جندي غير نظامي في الهفوف ووضعت حاميات أخرى صغيرة في القطيف وسيهات والعقير على ساحل الأحساء .

---

*[أ] لم تذكر أي من المصادر العربية والأجنبية أن خورشيد باشا القائد المصري وصل إلى الأحساء حيث بعد ان أنهى عملياته العسكرية باستسلام الإمام فيصل بن تركي ذهب ليستقر في ثرمدا ليصبح رجل الإدارة المصرية الأولى في نجد والخليج وبقي خالد بن سعود الحاكم في الرياض .

أعمال القوات المصرية في الأحساء ١٨٣٩م / ١٢٥٥هـ:

وفي وقت من الأوقات بدا محتملاً أن القائد المصري يود أن يمد فتوحاته لتشمل جزر البحرين وعمان أما ماعملته الحكومة البريطانية التي استطاعت أن تستبق هذا الهدف فهو موجود بالتفصيل في تاريخ عمان المتصالحة وجزر البحرين .. ولكن لم يحدث صدام فعلي من جانب أي من الطرفين لذلك كان إعلان شيخ البحرين في سنة ١٨٣٩م خضوعه للمصريين شيئاً سابقاً لأوانه ولاضرورة له على الإطلاق . وفي سنة ١٨٣٩م وأثناء إحتلال المصريين للأحساء أرسلت حملة تتكون أساساً من بعض القوات النظامية المصرية إلى جانب عدد من عرب المخضبة من بني هاجر ضد بني نعيم في قطر ممن رفضوا أن يدفعوا الجزية ، لكن إغتيال محمد أفندي الحاكم المصري في الأحساء على يد بعض الأعراب في الهفوف حتم رجوع هذه الحملة .

جلاء القوات المصرية عن الأحساء ١٨٤٠م / ١٢٥٦هـ:

وكان وضع خورشيد باشا في نجد يزداد حدة وصعوبة ، فعداء أهل البلاد جعل من المتعذر عليه أن يرسل الإمدادات إلى مواقعه أو يحافظ على خطوط مواصلاته دون انقطاع ، كما أنه كان ينتظر وصول أربع سفن مسلحة تحمل أسلحة وذخائر عن طريق البحر الأحمر لكنها لم تصل ، ووصل بدلها قارب واحد في نوفمبر ١٨٣٩م كان يحمل شحنة من الذخائر . وشيئاً فشيئاً بدأ يتضح أن غزو البحرين - وهو الهدف المحتمل لتقدم المصريين حتى شواطيء الخليج - شيء لن تسمح به الحكومة البريطانية وهناك أخيراً أن سيده محمد علي باشا بدأ ينظر بغيرة وكراهية إلى نجاح قائده خورشيد باشا .

وفي هذه الظروف أصبح التراجع الشامل أمراً لامفر من حدوثه . وفي الأحساء وهي أول الأقاليم التي تم جلاء القوات المصرية عنها يبدو أن ذلك قد بدأ تنفيذه في إبريل أو مايو سنة ١٨٤٠م . وكان آخر ماعملته القوات المصرية هناك

هو تنفيذ حكم الإعدام في الشيخ برغش شيخ فرع آل حميد من بني خالد[أ] ، وقيل إنه أعدم إنتقاماً من إطلاق النار على محمد أفندي حاكم الأحساء المصري . وأثناء إنسحاب القوات المصرية كانت الحكومة البريطانية مهتمة إهتماماً كبيراً بالحصار الذي كان المصريون قد فرضوه على ساحل الأحساء ، شاملاً موانى القطيف والعقير وسيهات .

الحالة الداخلية في الأحساء منذ إحتلال المصريين الثاني لها حتى إحتلال الأتراك ١٨٤٠ ـ ١٨٧١ / ١٢٥٦ ـ ١٢٨٨هـ

إن تقسيم الأحداث التي وقعت في الأحساء خلال الجيل الذي قام بعد جلاء القوات المصرية عن هذا الإقليم في سنة ١٨٤٠م تحت عناوين الحالة الداخلية والعلاقات مع البحرين والعلاقات مع الحكومة البريطانية هو تقسيم يبدو بالضرورة سطحياً جداً .. غير أننا نطبقه هنا إبتغاء الوضوح فقط .

الأحساء تحت حكم الأمير خالد ١٨٤٠ – ١٨٤٢ م/ ١٢٥٦– ١٢٥٧هـ :

حين انسحب المصريون من نجد جعلوا من خالد ـ دميتهم التي أعدوها ـ أميراً لنجد تعاونه فرقة من قواته تبلغ حوالي ٨٠٠ جندي نظامي [ب] . وبدأ الحاكم

---

*[أ] الشيخ برغش يبدو أنه الشاب الذي أوكل له محمد بن عريعر قيادة الجيش الخالدي بعد وفاة ماجد بن عريعر أثناء معركة المهمري (السبية) سنة ١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م وكان قليل الخبرة وانهزم جيشهم أمام جيش الإمام تركي بن عبد الله وابنه فيصل .

* [ب] خالد بن سعود أخ لأخر قادة الدولة السعودية الأولى الإمام عبدالله بن سعود وقد كان ضمن من سافروا إلى مصر من أسرة آل سعود بعد تدمير الدرعية ... وقد أرسله محمد علي باشا بمساعدة جيش مصري لإزاحة الإمام فيصل بن تركي وتنصيبه على نجد .

الجديد وكان لايعي ضعف قواته في الواقع يحلم بالتوسع والفتح .. وهكذا خرج في أكتوبر سنة ١٨٤١م متجهاً نحو الأحساء وفي نيته إرسال حملة على عمان .. لكن الإضطرابات التي حدثت بالقرب من مقر حكمه أجبرته على الرجوع إلى نجد . وفي ديسمبر ١٨٤١م - أو أوائل سنة ١٨٤٢م - إستطاع عبد الله بن ثنيان – وهو أحد منافسيه الأقوياء – أن يطرده من الرياض ، فتراجع إلى القطيف مع قواته الأجنبية التي كان وجودها نفسه أمراً يرهق رعاياه ، كما كان احد الأسباب الرئيسية لسقوطه . وكان أهل الأحساء قد بدأوا بالفعل يراسلون عبد الله الأمير الجديد . وسرعان ماأرغم أهل القطيف خالداً على إبعاد جنوده المصريين ، وطلب اللجوء لحماية مبارك إبن شيخ البحرين في قلعة الدمام المواجهة للبحر ، وقد إستقبله مبارك مرحباً به كضيف ، وفي إبريل ١٨٤٢م زار شيخ البحرين في خور حسان في قطر وعومل هناك معاملة كريمة كما لقي تشجيعاً ووعداً بالمساعدة في استعادة القطيف ، وانتهت العمليات التي تمت باسمه ضد واحة الأحساء وميناء العقير ببعض النجاح ، لكن مبارك بن عبد الله تراجع بسرعة قبل وصول جيش الأمير عبد الله المنتصر ، وبعدها رحل خالد من الدمام إلى الكويت.

الأحساء تحت حكم الأمير عبد الله ١٨٤٢ – ١٨٤٣م / ١٢٥٧ – ١٢٥٩هـ :

ولم تكن تحدث أحداث داخلية هامة تستحق التنويه خلال حكم عبد الله الذي تبع الأمير خالداً في الأحساء . وفي نهاية سنة ١٨٤٢م كان أهل الأحساء الذين رحبوا بهذا الأمير في البداية قد بدأوا يسخطون عليه بسبب أعماله في القطيف .. ولكن لم تتبلور أي حركة ضد سلطته بين أهل الأحساء . وقد رفض بعض قبائل البدو المجاورة الخضوع له في البداية ولكن يبدو أنها أرغمت على هذا الخضوع . وفي سنة ١٨٤٣م كانت سلطته قد انتهت تماماً .

الأحساء تحت حكم الأمير فيصل سنة ١٨٤٣ – ١٨٦٣ م/ ١٢٥٩ – ١٢٨٠هـ :

وفي سنة ١٨٥١م قام فيصل الذي خلف الأمير عبد الله بزيارة قطر . وربما قام بجولة في الأحساء قبل هذا التاريخ ، ويبدو إنه كان يهدف من هذه

الجولة إلى تأديب قبائل البدو . وحتى ذلك اليوم مايزال يقال إنه الحاكم الوحيد من نجد الذي إستطاع أن يحقق بعض النجاح في إخضاع آل مرة المتمردين الأقوياء .

علاقات الأحساء بالبحرين خلال نفس الفترة

١٨٤٠ -١٨٧١م / ١٢٥٦ - ١٢٨٨هـ

ولايبقى شيء في شئون الأحساء يستحق الذكر خلال هذه الفترة اللهم إلا علاقتها بالبحرين .. وهذه موجودة بالتفصيل الكامل في تاريخ البحرين .. لذا نجمل هذه الأحداث باختصار هنا .

دعوة لشيوخ البحرين كي يضموا إليهم الأحساء ١٨٤٠ م/ ١٢٥٦هـ :

وفي ١٨٤٠ م وأثناء إنسحاب القوات المصرية من البلاد دعا بعض السكان بواسطة مشرف وهو شيخ بني خالد على الأرجح[١] الشيخ محمد بن خليفة شيخ البحرين لاحتلال الأحساء وطرد خالد صنيعة المصريين منها . وكان رفض هذه الدعوة بإيحاء من عبد الله الشيخ الكبير أحد أسباب الإنقسام الذي تحول إلى حرب أهلية سرعان مانشبت بين شيوخ البحرين .

الخلاف بين (الوهابيين) وعبد الله شيخ البحرين :

وخلال المرحلة الأولى من مراحل هذا الصراع بين الشيوخ المتنافسين في البحرين كان النصر لعبد الله الشيخ الكبير ، وانسحب محمد إلى الأحساء سنة ١٨٤٢م ومنها رحل إلى الرياض حيث أبدى عبد الله الأمير (الوهابي) الجديد

(١) لاشيء يشير ـ على أية حال ـ إلى أن هذا المشرف كان هو نفسه الذي لقي كابتن سادلر على يديه معاملة غير إنسانية في سنة ١٨١٩م .

إستعداداً لتبني قضيته وكانت نتيجة هذا العمل القطيعة بين أمير (الوهابيين) وشيخ البحرين القائم ، وحاصر الشيخ ساحل الأحساء ومنح معظم سكان سيهات الذين هاجروا فراراً من مظالم الحاكم (الوهابي) في القطيف مأوى في البحرين ، وألقى الأمير من ناحيته القبض على شيخ بني هاجر المدعو شافي وكان وثيق الصلة بشيخ البحرين. وكانت الدمام على ساحل الأحساء ماتزال تابعة للبحرين لكن بشير بن رحمة كان يزعم أيضاً أنه ورثها عن أبيه . ومن مجرى المفاوضات التي دارت لإطلاق صراح شافي يتضح أن ميناء العقير كان أيضاً في ذلك الوقت تابعاً لشيخ البحرين لكنه لم يستمر طويلاً في حوزته .

وحين طرد الشيخ عبد الله من البحرين في إبريل ١٨٤٣م أقام مع أبنائه في الدمام ـ المكان الوحيد الذي بقي من ممتلكاته ـ وهناك حاصره الشيخ محمد بعد زمن قصير يساعده بشير بن رحمة وعيسى بن علي .. أما البر فقد كانت تحتله قوة من (الوهابيين) إبتداء من نهاية ١٨٤٣ م/ ١٢٥٩هـ . وفي مارس ١٨٤٤ م/ ١٢٦٠هـ إستسلمت الدمام (للوهابيين) ، بل إن الشيخ عبد الله نفسه كان معرضاً للأسر في وقت ما خارج النطاق الذي كان يحاصر المدينة ، واحتلها (الوهابيون) باسم أميرهم فيصل بن تركي مما أسخط بشير بن رحمة الذي كان الشيخ محمد شيخ البحرين قد وعده بتسليمها إليه . وهذه الأمور جميعاً تتعلق بتاريخ البحرين أكثر منها بتاريخ الأحساء .

الأئتلاف بين (الوهابيين) والشيخ عبد الله شيخ البحرين السابق

١٨٤٥- ١٨٤٧م / ١٢٦١ - ١٢٦٣هـ :

وفي سنة ١٨٤٤م أو ١٨٤٥م بدأ الشيخ عبد الله مفاوضاته مع (الوهابيين) بهدف الإستعانة بهم ، وقدم هؤلاء العون له بسرعة ربما لأنهم وجدوا أن الشيخ محمد بمجرد أن أصبح حاكم البحرين أصبح معارضاً لنفوذهم . وفي ١٨٤٥م حين أعلنت الحرب بين (الوهابيين) والبحرين حاصر شيخ البحرين ساحل الأحساء وجعل في خدمته (قرصاناً) معروفاً يدعى حميد بن مجدل الذي سيكون لدينا الكثير

لنقوله عنه حين ننتقل إلى علاقات بريطانيا بالأحساء ونزل الشيخ السابق عبد الله سراً على ساحل الأحساء بالقرب من رأس تنورة ، وخلال إتصالات أجراها الشيخ مع إبنه مبارك الذي ظل منذ سقوط الدمام مقيماً وسط بدو بني هاجر في البر ـ ومع عبد الله بن سعود الوالي (الوهابي) في القطيف ، كان الشيخ السابق يعد حملة على البحرين ، لكن خططه أحبطت جميعاً ـ لحظة البدء في تنفيذها نتيجة إنتقال أخبارها إلى شيخ البحرين . وظل حصار الشيخ لشواطيء الأحساء مستمراً طوال سنة ١٨٤٦ م . وفي سبتمبر من هذه السنة إستقر الشيخ عبد الله مؤقتاً في الدمام تحت حماية (الوهابيين) ثم انتقل عقب فترة قصيرة إلى جزيرة تاروت ، وحدثت إشتباكات طفيفة على البر بين الفريقين لم يشترك فيها الشيخ السابق بنفسه . وفي بداية ١٨٤٧م تخلى (القرصان) حميد بن مجدل وأنصاره من قبيلة العماير عن شيخ البحرين . وحين عرف الشيخ عبد الله بهذه الخيانة إنتقل من الدمام ولم يتخذ الأحساء قاعدة لعملياته بعد ذلك .

(الوهابيون) يجعلون أبناء الشيخ عبد الله شيخ البحرين السابق على الدمام ١٨٥٢ م / ١٢٦٩هـ

وفي ١٨٥٠م توترت العلاقات مرة أخرى بين شيخ البحرين وأمير (الوهابيين) وعاد الشيخ مرة أخرى في سنة ١٨٥١م إلى حصار شاطيء الأحساء . لكن أبناء الشيخ السابق عبد الله إستطاعوا إختراق هذا الحصار بأسطولهم من الشاطيء الإيراني ودخلوا إلى ميناء القطيف حيث وضعوا الأسطول في خدمة الأمير فيصل . وأدى وصول أسطول بريطاني إلى خارج البحرين إلى إيقاف العمليات العدائية على هذه الجزر من جانب (الوهابيين) وحلفائهم . لكن أبناء الشيخ عبد الله تلقوا مكافأة من (الوهابيين) على مساعدتهم بأن سمحوا لهم بإعادة إحتلال الدمام .

محاولة لغزو البحرين من القطيف والدمام ١٨٥٩م / ١٢٧٦هـ :

وفي ١٨٥٩م ـ وكما هو مذكور بالتفصيل في تاريخ البحرين ـ بدأت الإستعدادات في القطيف من جانب واليها (الوهابي) ، وفي الدمام من جانب محمد بن الشيخ السابق عبد الله لغزو البحرين .. لكن خطتهم هذه أحبطها وصول الأسطول البريطاني بقيادة القائد بلفور الذي أدى إلى إيقاف كل نشاط من جانب (الوهابيين) إيقافاً كاملاً .

السلطات البريطانية تطرد محمد بن عبد الله من الدمام ١٨٦١ م / ١٢٧٨هـ :

وظل وجود محمد بن عبد الله في الدمام على علاقة وثيقة بالدولة (الوهابية) مدى سنوات طويلة خطراً ماثلاً يتهدد البحرين ، وبعد مناقشة أعقبت أحداث سنة ١٨٥٩م قررت حكومة الهند ضرورة طرده منها .

ومن قبل حين أقترح كابتن فليكس جونز المقيم السياسي على أمير (الوهابيين) إبعاد محمد بن عبدالله ... أجابه هذا الأمير بخطاب ساخط والآن حين تكرر هذا الطلب لنفس الأمير حسب أوامر حكومة الهند لزم هذا الصمت التام . وهكذا في نوفمبر سنة ١٨٦١م - وكما هو مذكور في تاريخ البحرين - أرغمت نيران السفن الحربية البريطانية محمد بن عبدالله وأنصاره على الهجرة من الدمام .

هذا وإن شئون إقليم الأحساء من حيث كان قاعدة للعمليات التي أدت إلى نجاح الشيخ السابق محمد بن خليفة بمعاونة قبيلة بني هاجر من البر في غزو البحرين مذكورة بالتفصيل في تاريخ إمارة البحرين .

علاقات بريطانيا بالاحساء خلال نفس الفترة

ضم الاحساء إلى تركيا ١٨٧١م / ١٢٨٨هـ

عملية (قرصنة) يرتكبها قارب من الدمام ١٨٤٠- ١٨٤١م/ ١٢٥٦- ١٢٥٧هـ :

في أوائل سنة ١٨٤٠م /١٢٥٦هـ حدثت عملية (قرصنة) على قارب كويتي من المنطقة الواقعة بين خور موسى ومدخل شط العرب ، وظل الفاعلون مجهولي الهوية حتى أغسطس سنة ١٨٤١م حين تبين أن أحد أنصار مبارك ابن عبدالله الذي كان يحكم الدمام باسم أبيه كان من المشتركين في هذا العمل . وعلى هذا الأساس طلب إلى شيخ البحرين دفع مبلغ ٢٧٤ روبية " من روبيات محمد شاه" أو تسليم (القرصان) وقاربه . وقد رضى الشيخ بالمطلب الأول .

بعثة الملازم جوب في الإحساء ١٨٤١م / ١٢٥٧هـ :

وكان لبعثة جوب الذي زار أمير (الوهابيين) بالإحساء في نوفمبر ١٨٤١م علاقة بالخطط التي تردد أن الأمير ينوي تنفيذها بالنسبة لعمان والتي سنشير إليها تفصيلاً في مكان آخر .

قرصنة حميد بن مجدل وعقابه ١٨٤٥- ١٨٥٤ م/ ١٢٦١- ١٢٧١هـ :

وفي خلال المدة من ١٨٤٥م إلى ١٨٥٤م تركز اهتمام السلطات البريطانية عدة مرات في ساحل الاحساء نتيجة أعمال السوء التي اقترفها حميد بن مجدل – وهو أحد بني العماير من قبيلة بني خالد وحليف شيخ البحرين ، كما أشرنا وذلك ضد (الوهابيين) وفي سنة ١٨٤٥م . وكان انتقل للجانب الآخر سنة ١٨٤٧ م . ففي أوائل ١٨٤٥م خرج حميد – ومعه بعض قبيلته – إلى مأواه المعتاد في جزيرة أبو علي بعد أن أصبح يعمل لصالح شيخ البحرين ، واستولى في طريقه على سفينة تابعة لخرج كانت على وشك دخول ميناء القطيف تحمل شحنة قمح من

ريق [أ] ، وحمل السفينة وشحنتها إلى جزيرة أبو علي ، أما البحارة فقد سمح لهم بالعودة إلى بلدهم بسفينتهم الفارغة بعد أن جردهم من كل ممتلكاتهم ، وقدرت الخسائر بمبلغ ١٥٠٠ روبية شاهية ... وذكر أن حميد بن مجدل وجه اليه تحذير بأن هذه الشحنة التي نهبها تخص فرداً تحت الحماية البريطانية ، ضحك سافراً وتساءل : " ومن هم هؤلاء البريطانيون ؟ " .

ولم يكن ممكناً تحمل هذا الاحتقار الواضح للأمن في البحار والقائمين على حمايته ، وفي مايو سنة ١٨٤٥م أرسل المقيم مساعده الكابتن كمبول لعقاب هذا القرصان الذي اتخذ لنفسه الآن مقراً في جزيرة جنة . وتم تنفيذ هذه المهمة التي تولاها القائد هوكنز بسفينة صاحبة الجلالة رافعة العلم " كووت " والطراد " كونستانس " يعاونهما قاربان مسلحان ، بعد عدة صعوبات ملاحية ، وقد رد حميد - الذي كان يتصور أن جزيرة جنة هذه لايمكن الوصول اليها - على الإنذار الأول الذي وجه اليه بالاستسلام بوقاحة سافرة ، لكنه حين طلع الصباح ووجد جزيرته محاصرة من كل جانب بالسفن والقوارب المسلحة سارع إلى الإعتذار ، وقد ارغم على تسليم سفينته التي ظلت محتجزة حتى أكتوبر التالي ولم تسلم إليه إلا بعد أن دفع ٢٠٥٩ روبية شاهانية نقداً و ١٤١ عيناً .

وكانت هذه العمليات مرهقة أشد الإرهاق للذين قاموا بها بسبب حرارة الجو الملتهبة تلك الأيام في شهر يونيو ، وقد أثنى مجلس المديرين ثناء حاراً على الطريقة الناجحة التي سيرت بها الحملة .

التحركات البريطانية البحرية في القطيف ١٨٤٦م / ١٢٦٣هـ :

وفي صيف سنة ١٨٤٦م وجد الوالي (الوهابي) في القطيف في نفسه من الجرأة ما يجعله يوجه خطاباً للمقيم البريطاني يطلب فيه أن تقوم السلطات

---

*(أ) خرج جزيرة في الشمال الشرقي تتبع حالياً إيران أما ريق أو كما تسمي أيضاً بندر ريق فهي بلده أكثر سكانها من القبائل العربية وكانت تحكمها تلك القبائل المهاجرة من الجزيرة العربية وتقع على الساحل الإيراني للخليج العربي .

البريطانية بطرد حميد بن مجدل من المنطقة وبإعادة سفينة كبيرة وخمسة قوارب كان هذا قد استولى عليها من القطيف . وهدد الأمير المقيم في حالة عدم تنفيذ هذه المطالب بالسماح لبني هاجر وغيرهم من قبائل البدو بارتكاب عمليات القرصنة . وقد اجيب المسئول (الوهابي) الغاضب على خطابه هذا إجابة ودية لكنها حاسمة نقلها اليه طرادان من بحرية صاحبة الجلالة .

تكرار القرصنة من جانب حميد بن مجدل وتكرار عقابه ١٨٥٤م/ ١٢٧١هـ :

وفي سنة ١٨٥٤م ارتكب حميد بن مجدل عملية قرصنة أخرى وكان يبدو أنه استقر في عنك بالقرب من مدينة القطيف - بأن استولى على سفينة كبيرة ورفض إطلاقها رغم أن المقيم البريطاني ، كابتن كمبول - ذهب إليه بنفسه يطلب تسليمها ، ويبدو أنه كان يظن نفسه تحت حماية العلم التركي حماية مطلقة ، مادام قد رفعه حيث يقيم ، وحين رفع الأمر إلى حكومة بومباي صدرت أوامرها بتحطيم السفينة التي يملكها القرصان بالقوة لو لزم الأمر ، دون تورط مع ذلك في أية اشتباكات برية .

وفي نوفمبر ١٨٥٤م وصل أسطول من سفن البحرية الهندية خارج عنك ، وكان يتكون من السفينة رافعة العلم " كليف " يقودها القائد روبنسون ، والسفينة " تيجرز " يقودها الملازم فوليرتون والسفينة " فوكلاند " يقودها القائد هيويت ، والسفينة " كونستانس " يقودها الملازم كرين . وكان الوصول إلى عنك نفسها بحراً غير ممكن ولكن شوهدت بالقرب منها سفينة أقام العرب حولها استحكامات رملية وكانت على وشك الإبحار ، فهاجمها أسطول مكون من ١٣ قارباً ... كان أحدها مجهزاً بالبنادق والبقية يحمل كل منها مدفعين عيار ١٢ رطلاً و٦ مدافع عيار ٣ أرطال إلى جانب قوة من ٢٤٠ جندي وبحار . وخلال هذا الإشتباك انحسر المد عن القوارب البريطانية فأصبحت على أرض جافة ، فسارع إليها العرب يريدون الإستيلاء عليها ، ولكن صدتهم عنها نيران حامية من البنادق والمدفعية ، وحين

انحسر الجزر ظن حميد بن مجدل الا مناص له من طلب الهدنة . فرفعت سفينته العلم الابيض ، واستسلمت السفينة ثم احرقها في الصباح التالي الأسطول الذي عاد إلى الساحل لهذا الغرض . ومن جانب البريطانيين جرح عدة رجال فقط في هذا الاشتباك ، لكن خسارة العرب كانت جسيمة . كما أن الصواريخ والقذائف ثبطت من هممهم .

وقد أشرنا من قبل إلى مظاهرات البحرية البريطانية في القطيف والدمام سنة ١٨٥٩م، وطرد القوات البريطانية محمد بن عبدالله من الدمام سنة ١٨٦١م ضمن علاقة ذلك بأحداث البحرين . وقد أثارت أعمال البريطانيين في الدمام سنة ١٨٦١م إحتجاجاً عنيفاً من جانب الوالي التركي في بغداد في السنة التالية ... على أساس أن الدمام تابعة " لفيصل بك قائمقام نجد " وهي بالتالي " جزء من أملاك السلطان الموروثة " ، ورد المقيم البريطاني على هذا الاحتجاج باستنكار زعم تركيا وتأكيد حقوق بريطانيا في التعامل مباشرة مع الدولة (الوهابيية) وأميرها .

عمليات بريطانيا في القطيف والدمام ١٨٦٦م / ١٢٨٣هـ :

وفي سنة ١٨٦٦م، وعلى أثر انقطاع العلاقات بين الحكومة البريطانية وأمير (الوهابيين) بدأت سفينة صاحبة الجلالة " هاي فلاير " بقيادة الكابتن باسلي العمل في القطيف والدمام ، وهي الاماكن الوحيدة – باستثناء العقير – التي يمكن الوصول اليها بحراً من أرض الدولة (الوهابية) وورد هذا العمل وخططه العامة بالتفصيل في الجزء الخاص بتاريخ نجد . وفي ١٣ يناير سنة ١٨٦٦م وجه إنذار مدته ١٧ يوماً – إلى أمير (الوهابيين) في الرياض عن طريق ممثله في القطيف وفي ٣٠ يناير – وبعد مقابلة في خليج الفينستون مع الرائد بيللي المقيم السياسي – عاد كابتن باسلي مرة أخرى بسفينة صاحبة الجلالة " هاي فلاير" إلى القطيف حيث تأكد من عدم وصول رد على الانذار ، وعلى هذا فقد دخلت القوارب بقيادة الملازم فيلوز ميناء القطيف يوم ٢ فبراير وحطمت الحصن الصغير المعروف

باسم برج أبو الليف كما دمرت سفينة وطنية لم تكن تستحق أن يستولى عليها ، وفي اليوم التالي ارسلت القوارب يقودها الملازم بونج لتدمير قلعة الدمام اذا تيسر لها ذلك . ونزلت فرقة منها إلى البر، وكان عليها أن تتقدم مسافة طويلة ثم تهاجم القلعة ، لكنها فوجئت بوجود حامية فيها أكبر مما كان متوقعاً ، وتأكد المهاجمون بأنهم لن يجدوا مدخلاً اليها ، وعلى هذا تراجعوا إلى قواربهم بعد أن فقدوا ثلاثة رجال قتلى وجرح ضابطان وثلاثة جنود . وفي يوم ٤ فبراير جدد الملازم لونج هجومه على الدمام وقت ارتفاع المد ، ومالت القلعة نتيجة ما أصابها من طلقات الرصاص والقذائف والصواريخ ، لكنها لم تدمر تماماً وبقيت في أيدي الأعداء ، وعادت السفينة البريطانية بعد ذلك من الإحساء إلى طرف الخليج وقامت بعمليات أخرى حققت فيها مزيداً من النجاح في صور .

وربما يرجع فشل العمليات البريطانية التي تمت على شاطئ الأحساء إلى عدم وجود مسئول بريطاني ذي معرفة وخبرة على ظهر السفينة " هاي فلاير " فقد كان الممثل السياسي الوحيد الموجود مع كابتن باسلي هو وكيل المقيمية (الوطني) في الشارقة الذي أنابه الرائد بيللي بدلا منه أثناء اضطراره للتغيب .

المصالح التجارية البريطانية :

وخلال هذه الفترة استقرت جالية صغيرة تحترف التجارة من مواطني الهند البريطانية في القطيف وكانت تعمل أساساً في استيراد التجارة العامة من الهند وتصدير التمور المجففة إليها . وكانت أول وكالة تجارية هندية في القطيف هي التي يمتلكها كالونجا وهو تاجر ثري من كاش بدأ عمله في الأحساء سنة ١٨٦٤م/ ١٢٨١هـ . وتبعتها وكالتان آخريان في سنة ١٨٦٦م/ ١٢٨٣هـ .

ضم الأحساء لتركيا

معنى حركة تركيا إلى الدمام :

كشف مواقف المسئولين الاتراك في العراق تجاه شيخ الكويت عن مخطط للتوسع الاقليمي في شرق الجزيرة منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٨٦٦م . وفي سنة ١٨٧١م بدأت سياسة التوسع من جانب الحكومة العثمانية أو مسئوليها المحليين تزداد وضوحاً ، ولم تكن الأسباب المؤدية إلى هذه السياسة موجودة في الخليج نفسه، بل ربما كانت ذات طبيعة أعم وأشمل ترتبط برغبة الحكومة التركية في تأكيد سلطنها على القارة العربية ككل .

وفي الخليج كشفت إتجاهات المسئولين الأتراك من زمن بعيد عن غيرتهم من الوضع الذي اكتسبته الحكومة البريطانية في الخليج ، ويبدو أن هدف الباب العالي كان مد سلطته إلى الساحل العربي وجزره من الكويت إلي مسقط ، لكن تحقيق هذا الهدف اعترضته عقبات طبيعية إلى جانب معارضة بريطانيا .

وكان المنفذ الأول لهذا التوسع هو مدحت باشا الحاكم التركي للعراق في ذلك الوقت . وأتاحت الخلافات التي نشبت بين الأسرة (الوهابية) الحاكمة في نجد فرصة مناسبة للتدخل . فقد نشب الصراع بمجرد موت الأمير فيصل بن تركي في سنة ١٨٦٥م/ ١٢٨٢هـ بين ابنيه عبدالله وسعود ، وأفاد الاتراك من هذه الفرصة ليجعلوا من عبدالله قائمقاماً لنجد باسمهم ويحصلوا منه على اعتراف بسيادتهم على وسط الجزيرة العربية .

محادثات بين الباب العالي والحكومة البريطانية :

ويبدو أن إشارة عن نوايا الحكومة التركية قد وصلت إلى مسامع حكومة الهند في أوائل سنة ١٨٧١م ، ففي فبراير من نفس السنة صدرت الأوامر للرائد

هربرت المقيم السياسي في بغداد بتحري الأمر . ولم يجد في البداية مايعزز هذه الشائعة لكنه أخيراً - في اواخر مارس - كتب تقريره الذي جاء فيه أن حملة تركية سترسل قريباً عن طريق البحر من العراق للقطيف للوقوف إلى جانب عبدالله في وسط الجزيرة . وعلى الفور ، لفتت حكومة الهند نظر حكومة صاحبة الجلالة إلى عدم رغبتها في نشوب هذه الحرب من جانب الباب العالي لأنها ستخرق السلم في البحار ، وقد تؤدي إلى تدمير التجارة البريطانية ، إلى جانب المشكلات السياسية التي ستنجم عن حرب مثلها ، وبالإضافة إلى ذلك فقد أبلغ الرائد هربرت في بغداد بأن النية تتجه إلى مد السيادة العثمانية إلى " البحرين ومسقط والقبائل العربية المجاورة في جنوب الجزيرة العربية " ، وأجرت حكومة الهند اتصالا جديداً بحكومة صاحبة الجلالة ، وفي نهاية إبريل أو أوائل مايو ورد تأكيد من الباب العالي في القسطنطينية بعدم وجود أية نوايا توسعية في هذه المنطقة، وأضاف الأتراك في ردهم يقولون إن هدفهم الوحيد هو عودة الهدوء إلى نجد ، وأنهم لايودون أبداً إحداث ما من شأنه تعكير السلم في البحار ... لكنهم سيقتصرون على نقل قوة عن طريق البحر إلى أقرب نقطة على الساحل يمكن منها السير إلى نجد في الداخل .

وفي مايو تأكد أن مدحت باشا - الذي وصف البحرين سنة ١٨٧٠م بأنها " بلاد تابعة للسيطرة العثمانية ... وهي جزء من قائمقامية نجد - كان يعرف يقيناً الأعذار التي تعلل بها الباب العالي ، فأعلن أن قائد الحملة قد صدرت له أوامر صريحة بعدم التعرض لجزر البحرين على الإطلاق " .

وفي نفس الوقت سأل شاه إيران ممثل بريطانيا في طهران عن نوايا الحكومة التركية فيما يتعلق بالبحرين ، وأبلغ بالتأكيدات التي صدرت عن الباب العالي . أما رئيس الوزراء في القسطنطينية فقد وضح أنه ساخط بعض الشيئ على المصالح البريطانية واهتمامها بحركة التوسع التركية ، وأصبح ضرورياً تخليصه

من اعتقاده الراسخ بأن السلطات البريطانية هي المحرض الأول للقبائل العربية كي تتمرد على سلطة تركيا في الجزيرة والخليج .

السياسة البريطانية في الخليج من حيث علاقتها بالحملة التركية :

وكان احتمال اضطراب حبل الامن في الخليج ، وهو حدث مستبعد قد اوقع حكومة الهند في مأزق ، ووضح الآن أكثر من أي وقت مضى عدم كفاية الأسس الرسمية ، أي المعتمده على اتفاقيات قائمة بالفعل ، للتدخل العسكري في الأمر . ولم تكن المشكلة هي الاعمال العدائية بين الموقعين على اتفاقية السلم الشاملة ، بل الحرب المحتملة بين الموقعين عليها وغير الموقعين ، ولم يكن في الاتفاقية نص يتعلق بهذه الحالة . وتقدم بعض مشايخ العرب إلى الرائد بيللي المقيم العام في الخليج يتساءلون عما اذا كانت السلطات البريطانية ستمنع القبائل البحرية من الوقوف إلى الأمير سعود (الوهابي) في نجد ضد الأتراك ، كما ارسل سعود كتاباً إلى المقيم يخطره فيه بضرورة منع شيخ الكويت من تقديم العون للأتراك ، وإلا فانه حر في أن يقوم بأعمال بحرية ضده ، ومن ناحية ، كان ثمة إحساس من جانب السلطات البريطانية بأن منع القبائل العربية من تقديم عونها لسعود يعني تأييداً بشكل غير مباشر للحملة التركية ، ومن الناحية الآخرى ، كان ثمة خوف من أن يؤدي إطلاق حريتهم الكاملة إلى اضطراب التوازن القائم في الخليج ، والى تقديم تبريرات للأتراك يمارسون بمقتضاها مزيداً من التدخل وضم أرض هذه القبائل إلى الدولة العثمانية .

وأخيراً في ٣٠ مايو سنة ١٨٧١م صدرت التعليمات للمقيم السياسي بزيارة البحرين ليؤكد للشيخ أنه طالما ظل ملتزماً باتفاقية سنة ١٨٦١م مع الحكومة البريطانية فان هذه الحكومة - بدورها - ستوفي بالتزاماتها نحوه[١] . وفي ٥ يونيو صدرت تعليمات جديدة للرائد بيللي بأن يمنع شيوخ عمان المتصالحة من القيام بأية

---

(١) يبدو أن الهدف كان هو تأكيد تقديم المعونة . أما الاتفاقية فلم تعد الحكومة البريطانية بأن تتجاوز حمايتها " زعماء وقبائل الخليج .." فقط

عمليات بحرية سواء في صف الأتراك أو ضدهم ، وأن يستخدم نفوذه مع غيرهم من الشيوخ لتحقيق السلم في البحار . ولم يرسل أي رد حتى ذلك الوقت إلى سعود أمير (الوهابيين) وحين نشبت هذه الأزمة لم تكن ثمة سفينة بريطانية واحدة في الخليج . ولكن أخيراً وصلت السفينة " بولفينش " إلى البحرين يوم ٣ يونيو ، ومرت السفينة " مجباي " بجاشك يوم ٥ يونيو ووصلت السفينة " لينكس " هانجام في ١٦ يونيو .

وأبلغت الحكومة التركية بالتعليمات التي صدرت للمقيم السياسي وقدم كبير الوزراء شكره وامتنانه ، لكنه أضاف ، أنه اذا شاء بعض مشايخ عمان المتصالحة الوقوف إلى جانب تركيا فان الحكومة التركية لابد أن تقبل هذا من جانبها ، فهي لاتعرف شيئاً عن اتفاقيات السلم البحرية هذه . ولتفادي هذا المأزق قدمت فوراً نسخ من الاتفاقيات المعقودة بين الحكومة البريطانية والشيوخ المتصالحين للوزير التركي.

إحتلال الأتراك واحة القطيف :

لكن تفاصيل هذه العملية من جانب تركيا ناقصة في معظمها فالجانب البحري من الحملة- كما وصفه الرائد هيربرت في البصرة في أوائل مايو - كان يتكون من السفينة البخارية " برونزة " المسلحة بخمسة وعشرين مدفعاً ، والسفينة " نيبتون " وهي أصلاً سفينة غير مسلحة ولكنها زودت بأربعة مدافع ، والسفينة " خوجة بك " وهي سفينة حراسة خشبية قديمة عليها ١٨ مدفعاً قديماً معظمها لايساوي شيئاً ، وثلاث سفن صغيرة - أصغر من " خوجه بك " من صنع البصرة تحمل ١٢و٦و٤ مدافع ، وقد اضيفت إلى الاسطول سفينتان أخريان . لكن معظم السفن المستخدمة في النقل كان على شيخ الكويت أن يقدمها ، وقد لحق هو بنفسه بالحملة ومعه ٣٠٠ سفينة من سفن مينائه ، واصطحبت القوات التركية السيد محمد سعيد ابن نقيب البصرة منصور شيخ المنتفق وغيره من وجهاء العرب في العراق ... ربما " كناطقين بلسانها " أو وسطاء سياسيين لها . ونزلت القوات التركية التي

كانت تتكون من حوالي ٤٠٠٠ جندي نظامي و١٥٠٠ عربي و٩ مدافع إلى رأس تنورة في ٢٦ مايو سنة ١٨٧١م وسارت براً إلى القطيف دون أن تلقي معارضة تذكر ، ولما رفض الحاكم (الوهابي) في القطيف أن يستسلم هوجمت المدينة براً وبحراً في ٣ يونيو ، وتم الاستيلاء عليها بعد أن استمر ضربها ثلاث ساعات . وارسلت فرقة احتلت عنك بعد مقاومة طفيفة

واستولت هذه الفرقة على ثلاثة مدافع وكمية من الذخيرة ، ثم سارت إلى الدمام التي سقطت يوم ٥ يونيو . وهرب عبد العزيز - ابن الأمير سعود (الوهابي) - من الدمام قبل سقوطها، تاركاً وراءه سجيناً أطلق سراحه الأتراك هو محمد بن فيصل ، كما استولى الأتراك أيضاً على تسعة مدافع جديدة ومدفعين من النحاس وبعض مخازن الأسلحة الصغيرة والذخائر . وفي نهاية يونيو عاد اسطول الكويت إلى مينائه وكانت القوات التركية ما تزال في واحة القطيف لكنها لم تتقدم بعدها .

الاعلان التركي في القطيف :

وحين وصل الأسطول التركي مدينة القطيف أصدر قائده نافذ باشا بياناً أعلن في أنه جاء على رأس هذه الحملة لاسترجاع سلطة عبدالله قائمقام نجد من معارضيه ، وأن غريمه سعود وأنصاره سيصفح عنهم اذا جاءوا وأعلنوا خضوعهم، أما القبائل التي تظل هادئة مسالمة في القطيف فستحظى ولاشك بحماية تركية وإحسانها .

تقدم القوات التركية إلى واحة الاحساء :

وفي أوائل يونيو خرجت القوة التركية من القطيف إلى الهفوف ، واستغرقت هذه المسيرة عبر الصحراء - رغم عدم وجود أية مقاومة - حوالي ١٥ يوماً ، وبعدها احتلوا واحة الأحساء دون قتال ، وأبعدت الفرقة العربية - كذلك

أبعد المتكلمون الوسطاء السياسيون – وأعيدوا إلى ديارهم ، ويبدو أن السبب في ذلك كان ناشئاً جزئياً عن عدم توافر الإمدادات في الجيش . وخسر آل المنتفق أثناء العودة إلى ديارهم عبر الكويت كثيرا من خيولهم لندرة الماء والكلأ . وكانت القوات التركية – منذ نزولها إلى شاطئ الأحساء – معرضة لنقص الزاد وكذلك لانتشار الحمى والكوليرا ، وقد زادت المسيرة إلى الهفوف من ضعفها ... والآن أصبحت معرضة للإبادة التامة في الأحساء كلها حوالي ٣٤٠٠ رجل موزعين على النحو التالي : ٢٥٠٠ في الهفوف و٥٠٠ في القطيف و١٥٠ في العقير و ٢٥٠ في مواقع صغيرة على الطريق – ذكر أن ثلث هذه القوات كانوا من الجنود المرضى غير القادرين على العمل – وسجل القائد التركي الذي أصبح الآن يجد صعوبة كبيرة في الاتصال بالساحل اسماء ٩٠٠ رجل من أهل البلاد كجنود أتراك في مقابل ست روبيات في الشهر لكل منهم . وصدمت مشاعر المسلمين في الإقليم كله من جراء وصول سفينة محملة لآخرها ببائعي النبيذ والبغايا من بغداد ، لكن يبدو أن الطبقات المشتغلة بالتجارة كانت تفضل مساوئ الإدارة التركية على القيود الرهيبة التي يفرضها الحكم (الوهابي) .

أعمال (الوهابيين) :

وفي الوقت الذي نزلت فيه القوات التركية إلى الأحساء لأول مرة كان الشقيقان عبدالله وسعود يقاتل واحدهما الآخر في الداخل على بعد حوالي ٢٠٠ ميل من الساحل ، ويبدو أن الكفة كانت تميل في ذلك الوقت لصالح سعود – الذي يعارض مصالح الأتراك – والذي كان يسيطر على العاصمة الرياض . وفي أغسطس وصل عبدالله إلى مقر القيادة التركية بعد أن منعته أخطار الطريق من بلوغها قبل ذلك التاريخ ، لكنه هرب في أكتوبر بعد أن تبين أن الباب العالي لاينوي إعادته إلى السلطة . بل إلى حرمانه منها ، ثم سار من الهفوف إلى نجد يسبقه شقيقه محمد ويصحبه ابنه تركي . وفي شهر أكتوبر لم يتخذ أي من الطرفين عملا إيجابياً، وفي نوفمبر هاجم سعود الأتراك في الأحساء لكنه هزم وارتد على

أعقابه هو وجماعة من البدو إلى الصحراء باتجاه قطر حيث بقي زمناً طويلا ؛ وفي ذلك الوقت بدأ يراسل شقيقه عبدالله من أجل الصلح والتحالف معاً لقتال الأتراك ، ولكن بلا جدوى.

زيارة مدحت باشا للأحساء نوفمبر – ديسمبر ١٨٧١م / ١٢٨٨هـ :

وفي ٩ أو ١٠ نوفمبر سنة ١٨٧١م سافر مدحت باشا وكان حريصاً على أن يرى آثار عمله بأم عينيه ، من شط العرب إلى الكويت حيث قضى فيها يوماً واحداً ومنها سار في ثلاث سفن بخارية تحمل قوارب كبيرة إلى القطيف فوصلها يوم ١٣أو ١٤ من نفس الشهر ، وفي ٢١منه نزل في فرقة قوامها ٣٠٠ جندي إلى العقير وسار منها إلى الهفوف . وكان هدف زيارة مدحت باشا – كما جاء في حديث القائد التركي للرائد بيللي – هي أن يحقق في بعض الإتهامات بالتخريب . وأن يقر الإدارة في الأحساء ، ثم يضع ترتيبات تقدم القوات التركية نحو الرياض . ولكن حين وجد أن حامية الأحساء في حالة يرثى لها ولا تستطيع سوى الدفاع عن نفسها ... تخلى عن هذا الهدف الأخير ، واكتفى مدحت باشا بأن أعلن عزل الحكام (الوهابيين) من أسرة آل سعود وعين نافذ باشا بدلهم متصرفاً في نجد . لكنه لم يتخل عن بقية خططه التي لم يستطع نتفيذها وفي طريق عودته إلى بغداد – التي وصلها في ٢٨ ديسمبر – اشترى الوالي السفينة البخارية "سينوب" التي كانت بريطانيا من قبل تهدف لاستخدامها في تنظيم الاتصال بين البصرة والقطيف . وقد عاد مع مدحت باشا عدد كبير من الجنود غيرالصالحين للعمل ، وفي أول يناير ١٨٧٢م أرسل فرقة جديدة قوامها ٣٠٠ جندي إلى الأحساء .

نتائج الحملة التركية على أحوال قطر والبحرين :

ولم يكن القائمون على تنفيذ السياسة التركية ملتزمين ألتزاماً تاماً بتأكيد الحكومة التركية عدم ارتكاب أي عمل عدواني ضد جزر البحرين أو ضد القبائل العربية المستقلة في المنطقة ، ففي يونيو ١٨٧١م تقريباً أنكر مدحت باشا ضمن

مراسلات بينه وبين الرائد هربرت إمكان وجود أية قبائل مستقلة في نجد . وكان تعبير " نجد " الذي يستخدمه مدحت باشا معتمداً على قائمة نشرت في جريدة بغداد الرسمية تحمل بين " بيوت وحدائق نجد " مدن الشارقة ودبي وأبوظبي في عمان المتصالحة .

وكما ذكرنا في تاريخ قطر ، كان العلم التركي مرفوعاً على ميناء الدوحة في هذا الإقليم في يوليو سنة ١٨٧١م ، وكانت حامية تركية مقيمة هناك في يناير ١٨٧٢م ومحتمل أن تكون مثل هذه المحاولات قد بذلت أيضاً في البحرين - لولا اهتمام الحكومة البريطانية بهذه الجزر بوجود سفنها الحربية دائماً هناك - وقد حاول الأتراك غير مرة واحدة إغراء شيخ البحرين بالوقوف إلى جوارهم كما ذكرنا ذلك في مكان آخر . فمنذ المرحلة الأولى للعمل تبين أن اللاجئ البحريني ناصر بن مبارك موجود في الجزر على رأس قوة تركية ، وأفصح شيخ أبوظبي في وقت من الأوقات عن رغبته في التآمر مع الأتراك ، لكن اتجاهه تغير بعد زيارة قام بها لسلطان عمان سنة ١٨٧٢م ، وفي أوائل سنة ١٨٧٢م أكدت الحكومة التركية من جديد تأكيدها بأن عملياتها هذه قاصرة على تثبيت سلطتها في الأقاليم الصحراوية المتمردة ، وأشارت إلى استدعاء مدحت باشا مؤخراً إلى القسطنطينية كدليل على رغبة الباب العالي في عدم توسيع هذه العمليات .

احتلال الأتراك العسكري للاحساء ١٨٧٢- ١٨٧٤م/ ١٢٨٩- ١٢٩١هـ

المفاوضات مع (الوهابيين) :

وفي ربيع سنة ١٨٧٢م بدأت المفاوضات بين سعود ورءوف باشا الوالي الجديد على العراق التركي . ووصل إلى الأحساء عبد الرحمن شقيق سعود يصحبه رجل يدعى فهد بن صنيتان لبدء المحادثات مع الأتراك ، ودعي عبد الرحمن لزيارة بغداد ، حيث ألقي به في السجن حتى أغسطس سنة ١٨٧٤م. ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى وجهت إلى فهد بين صنيتان تهمة التآمر على مدحت باشا

- الذي كان قد أصبح في ذلك الوقت متصرف الأحساء خلفاً لنافذ باشا - وأرسل مكبلا بالأغلال من الأحساء إلى بغداد . وفي سنة ١٨٧٣م حين سرح جنود الحامية وبذلت الجهود لإقامة اتصال دائم منتظم بين البصرة والقطيف ، بدأ أن مخطط التقدم إلى الرياض قد صرف النظر عنه مؤقتاً على الأقل .

الحالة الداخلية :

وفي نفس الوقت بدأ أهل الأحساء يضيقون بحكم العثمانيين ويجهرون بالشكوى من مظالم جندهم وموظفيهم ، وتردد أن أهل البلاد العرب لم يكونوا يضمرون أية مودة للحكومة التركية وظلت الأوبئة على انتشارها بين جنود القوات التركية .

العلاقات ببريطانيا :

وفي ١٨٧٣- ١٨٧٤م قامت السفينة البريطانية " كونستانس " باجراء عملية مسح بحرية لساحل الأحساء باتفاق خاص مع الباب العالي والسلطات التركية في العراق .

حكم الاتراك للاحساء بواسطة شيخ قبيلة بني خالد

١٨٧٤م / ١٢٩١هـ

تعيين بركة بن عريعر مارس ١٨٧٤م :

وفي مارس ١٨٧٤ م ، حين تبين الأتراك أن سيطرتهم على إقليم الأحساء تشكل عبئا جسيماً على مصادرهم المالية والعسكرية ، قاموا بتجربة لم تعمر طويلاً في الإدارة الإقتصادية للإقليم : وكانت تنحصر في خفض عدد جنود الحامية إلى أقصى حد ممكن ، ووضع بركة بن عريعرشيخ قبيلة بني خالد التي كانت حاكمة في يوم ما كمتصرف للأحساء بدل المسئول التركي . وقد عين بركة بن عريعر

ناصر باشا شيخ المنتفق الذي وصل إلى رأس تنوره على رأس السفن " آشور " و " أبوس " و"لبنان" و" سينوب " ، وجاء بصحبته أحمد باشا بوصفه قائداً لما تبقى من القوات التركية . وكان على السفن أيضاً شحنة من الحبوب للقوات التركية . وعقد مؤتمر كبير في الأحساء أعلن فيه تعين بركة بن عريعر[أ] .

ثم عاد ناصر باشا إلى البصرة مع معظم القوات التركية وعدد من الأسرى من الذين يعارضون تعيين بركة متصرفاً للأحساء ، وأمد المتصرف الجديد بقوة من رجال الضبطية ، أو الشرطة العسكرية ، وكان الأمل أن يستطيع بها وببدو القبائل أن يحافظ على سلطته .

التمرد والإطاحة ببركة :

وقد استمرت هذه الإجراءات عدة شهور ، بدأت تتواتر بعدها الشكاوى من أعمال المتصرف الجديد وغيرها من أعراض سخط الأهالي على الحكم التركي . وبدأت الامور في التطور . ففي مطلع خريف ١٨٧٤م أطلق سراح الأمير عبدالرحمن (الوهابي) وسمح له بمغادرة بغداد فسار إلى البحرين ومنها بدأ يتراسل سراً مع بعض القبائل العربية في البر . وبعدها بعدة أسابيع نزل إلى العقير ، فأسرع الوف الناس يلتفون حوله ، ووجد الشيخ بركة نفسه محاصراً في قلعة الهفوف ، وأرسل الأتراك – بسرعة غير معهودة فيهم – ٢٤٠٠ جندي وأربعة مدافع بقيادة ناصر باشا الذي كان مسئولا عن تعيين بركة [١] . ووصلت القوة بحراً إلى موقع المتمردين .

وكان ما عملته هذه القوة التركية سريعاً وحاسماً ومخيفاً . فقد استطاع عبد الرحمن الفرار[٢] وتفرقت قواته في كل الاتجاهات ، واستولت القوات التركية مرة

---

* [أ] الصحيح أن الأسم لهذا الحاكم من قبل الأتراك هو بزيغ شيخ بني خالد كما ورد في المصادر المحلية وليس بركة. أنظر عبد الكريم المنيف الوهبي – بنو خالد وعلاقتهم بنجد ، ص: ٤٠٠ .

[١] يرد هذا الأسم أحياناً " بازه ... " أو " بازي " . إلخ ، غير أننا نعتقد أن " بركة " هو الأسم الصحيح .

[٢] احتجت تركيا على أعمال عبد الرحمن في البحرين كما هو مذكور في تاريخ هذه الامارة .

أخرى على واحة الأحساء وراحت تمارس فيها الفظائع ، وبعد أن استقرت الأمور على هذا النحو رجع ناصر باشا في فبراير سنة ١٨٧٥م إلى العراق وترك أبنه فريد باشا مسئولا عن الأحساء بدل بركة الذي عزل وبعدها بوقت قصير تم فصل الأحساء وغيرها من الأقاليم التابعة للبصرة عن بغداد وأصبحت ولاية مستقلة عهد بها إلى ناصر باشا ، وظل هذا الإجراء متبعاً حتى سنة ١٨٨٠م / ١٢٩٨هـ .

الأحداث التالية في الاحساء

١٨٧٥ – ١٨٧٧م / ١٢٩٢ – ١٢٩٤هـ

أمور أخرى ١٨٧٥ – ١٨٧٨ م :

وخلال السنوات الثلاث التالية لم ترد تقارير كثيرة عن الحالة الداخلية في الأحساء اللهم إلا ما يتعلق بانتقال القوات التركية الموسمي . وفي ١٨٧٦م خلف سعيد بك فريد باشا في حكم الأحساء ، وفي سنة ١٨٧٧م بدأت مفاوضات – لم تصل إلى نتيجة – بين الأتراك وعبدالله بن فيصل (الوهابي) بهدف تعيين هذا الأخير متصرفاً لتركيا في الأحساء .

تفشي القرصنة على ساحل الاحساء

١٨٧٨ – ١٨٨٠م / ١٢٩٥ – ١٢٩٨هـ

جرائم القرصنة في أغسطس إلى نوفمبر ١٨٧٨ م :

لقد ركز اهتمام كبير بساحل الأحساء سنة ١٨٧٨م نتيجة اندلاع عمليات القرصنة اندلاعاً خطيراً أوضح عجز الأتراك حيالها ، وقد بدأت جزر البحرين وإقليم قطر يتأثران بهذا الاضطراب الخطير في الأحساء ، وتبعاً لهذا أثيرت مشاكل كثيرة بشأن سياسة الحكومة البريطانية ناهيك عن مسئوليات الحكومة

التركية ووضعها في شرق الجزيرة العربية ودارحول ذلك جدل شديد . ويبدو أن لهذه الاضطرابات من حيث أصلها علاقة وثيقة بالتمرد في القطيف .

ولكي نفهم الأبعاد الحقيقية لخطورة هذا الموقف علينا أن نشير باختصار إلى الغارات التي ارتكبها القراصنة . ولا بد أيضاً أن نذكر بعض هذه الجرائم المتعلقة باقليم قطر لاننا لا نستطيع الإشارة اليها إلا في هذا المقام .

قامت عصابة من بني هاجر بعبور الخليج ، حيث هاجمت عدة سفن إيرانية ونهبتها في مكان قريب من جزيرة الشيخ شعيب وجرحوا رجلين من بحارتها ، ثم قاموا أيضاً بمهاجمة قارب غير معروف الجنسية ، وقتلوا بحارته واستولوا على مبلغ ١٠,٠٠٠ روبية نقداً ، وعادوا إلى قطر وثمة عصابة أخرى كان أفرادها من بني هاجر وبعض بني مرة قامت بالاستيلاء على قارب مملوك لبني عمير في القطيف ، ونزل أفرادها به إلى البحر حيث استولوا على سفينة أخرى من سفن القطيف أيضاً وحملوها إلى الدمام حيث نهبوها ، ثم واصلوا سيرهم في سفينة القطيف حتى ساحل قطر حيث استولوا على سفينة تابعة لميناء الدوحة في مكان قريب من رأس لفان ... وأخيراً حملوا غنائمهم إلى دوحة " سلوى " حيث تخلصوا مما حصلوا عليه في جولتهم .

وقد نزلت جماعة من بدو بني هاجر يقودهم زيد بن محمد أحد رجال بني هاجر في الظهران إلى الدوحة كمسافرين على ظهر سفينة من رأس الخيمة ، وأرغموا قائد السفينة على الرسو بها في مكان على ساحل قطر ، وهناك أجبروه ، بمعاونة ١٧ بدوياً آخر كانوا في الموقع على الاتجاه نحو الساحل الإيراني . وبين جزيرتي قيس وهندرابي استولوا على سفينة صغيرة تابعة للساحل الإيراني ، وجرحوا ملاحها وابنه ، ثم عادوا إلى رأس لفان على ساحل قطر حيث نقلوا أربعة من ضحاياهم إلى قارب تابع لرأس الخيمة وسمحوا له بالسير ، واحتفظوا باثنين منهم كأسرى كما هاجم بنو هاجر سفينة بحرينية صغيرة كانت في سبيلها من القطيف إلى البحرين ونهبوها بالقرب من الدمام وحملوا اثنين من العبيد كانوا على

ظهرها، كما لقيت سفينة بحرينية أخرى نفس المصير في نفس المكان على يد نفس العصابة في أغلب الظن. وفي ٤سبتمبر هوجمت سفينة قطرية كانت في طريقها إلى العقير أثناء مرورها بالزبارة، هاجمها أهل هذا المكان في سفينتين وقتلوا ثلاثة من المسافرين وجرحوا ستة مات منهم واحد متأثراً بجراحه وخطفت فتاة صغيرة، وتم الأستيلاء على ٧٠٠روبية نقداً، وكان يقود هذا الهجوم محمد بن رشيد ابن شيخ الزبارة الذي كان ابوه يطل عليه من قمة حصنه ولم يجد شيئاً يعترض عليه سوى ترك بعض الضحايا دون ان يقتلوا .

وفي دارين بجزيرة تاروت استولت عصابة من ٢٥رجلاً من بني هاجر على قارب للمدعو إبراهيم بن يوسف، وهو تاجر محايد من رعايا بريطانيا وحمله زايد بن محمد زعيم العصابة إلى الدمام. وهناك أطلق سراح من على ظهر القارب ماعدا غلام وعبد احتفظ بهما (القراصنة) كما استولى بعض البدو – والراجح من العماير – على قارب كان راسياً داخل ميناء القطيف، ووضعوه على ظهر سفينتهم المحملة بالتمور، كما خطفوا الملاح وبحارين كانوا على ظهره، ثم وجد هذا القارب وهو يعمل في خدمة (القراصنة) خارج جزر البحرين. كما كانت ثمة سفينة صغيرة راسية في المرسى الداخلي لميناء القطيف فأحاطت بها اربعة قوارب للعماير فنهبت منها ٢٠٠روبية وسارية كبيرة وقارباً صغيراً .

كما هاجم سبعة من العماير قارباً تابعاً لرأس الخيمة على الشاطئ تحت أسوار قلعة القطيف نفسها، ونهبت بضائع قيمتها ٣٦٠روبية تقريباً، وأطلق اللصوص النار على ضحاياهم حين حاولوا الهرب منهم سباحة فجرحوا الملاح وسحب القارب إلى عنك، كما حملت عصابة من العماير أيضاً سفينة مسافرين تابعة للبحرين وحملوها خارج مدينة القطيف. وفي ٢٧سبتمبر هاجم قارب وسفينة صغيرة تحملان ١٣و١٦رجلاً من بني هاجر قارباً بحرينياً وصل إلى قرب مدينة القطيف ونهب اللصوص قلاعه وقاربه الصغير ومرساته، كما نهبت أيضاً ممتلكات البحارة الشخصية وخطف (القراصنة) أحد العبيد ونزلوا بغنائمهم إلى الدمام .

كل هذه الحوادث التي ذكرناها - والتي ربما لم تكن مرتبة ترتيباً زمنياً متتابعاً - قد وقعت خلال شهري سبتمبر وأكتوبر سنة ١٨٧٨م .

عمليات (القرصنة) من ديسمبر ١٨٧٨ م حتى يوليو ١٨٧٩م/ ١٢٩٥- ١٢٩٦هـ :

وفي نهاية ديسمبر ١٨٧٨م استولى منصور بن مناخير، وهو شيخ من شيوخ عجمان، وزايد بن محمد الذي أشرنا اليه قبلاً بالقوة على قارب تابع للبحرين ونزلا به إلى البحر فنهبا سفينتين بالقرب من مدينة القطيف حملا من إحداهما ما قيمته ٢٠ألف روبية ... وكانت على مرمى النظر في ذلك الوقت عشر سفن تركية تنقل جنوداً من القطيف إلى العقير لكنها جميعاً تجاهلت استغاثة الضحايا. وفي اوائل ١٨٧٩م قامت عصابة جديدة من بني هاجر شجعها نجاح زيد بن محمد بعمليات (قرصنة) جديدة فاستولت على حمولة سفينتين تابعتين للبحرين من التمور، وبعد ارسال غنيمتهم إلى البر ونقلها إلى الداخل، واصلت العصابة سيرها بحثاً عن صيد جديد. وفي ١١فبراير حدثت غارة جريئة على جزيرة البحرين قام بها حوالي ثلاثين رجلاً من بني هاجر نزلوا من الظهران إلى عقارية وقتلوا أحد مواطني البحرين، وتبعتها سلسلة كاملة الحلقات من أعمال (القرصنة) ارتكبها زايد بن محمد من الظهران وبقية أنصاره من بني هاجر بمعاونة بعض رجال من العجمان، ووصلت هذه الأعمال قمتها في يوليو سنة ١٨٧٩م بهجوم على سفينة بحرينية من سفن اللؤلؤ، وقتل أحد بحارتها وجرح ثلاثة آخرون ونهبت السفينة نفسها وكان عليها ما قيمته ٢٠٠٠ عزان بالإضافة إلى عبدين استولى عليهما القراصنة ... لكن أمكن استرداد السفينة بعد فترة طويلة .

وفي يونيو ١٨٧٩م قدرت الخسائر المادية التي نتجت عن هذه الحوادث بما قيمته ٦٧,٠٠٠ غران تقريباً كانت الحكومة البريطانية تهتم منها فقط بمبلغ ٨٨٣٤ غران هو قيمة ما يخص رعاياها، وفي إحدى هذه الحالات هوجمت سفينتان متجهتان نحو كراتشي هما " هارسنجر " و" افتخار" وأطلق عليهما

القراصنة النيران ونهبوها على بعد ميلين من مدينة القطيف . وفي يونيو و يوليو ١٨٨٠م ذكرت حوادث قرصنة جديدة ارتكبها زايد بن محمد وأنصاره [أ] .

العمليات التي قامت بها كل من السلطات المحلية البريطانية والتركية :

وكان مما يسر السلطات التركية أن تتجاهل هذه الحوادث جميعها، رغم أنها كلها قد ارتكبت من مواطنين تابعين – اسمياً على الأقل – لتركيا وفي مياه إقليمية تركية. لكن الحكومة البريطانية التي حققت السلم في الأحساء من قبل لم يسعها أن تقف طويلاً مكتوفة اليدين .

١٨٧٨ :

ففي أكتوبر ١٨٧٨م ، ونتيجة الجريمة التي ارتكبت آنذاك مؤخراً في الزبارة صدرت التعليمات للرائد روس المقيم السياسي بأن يطلب من الوالي التركي في بغداد عقاب الذين ارتكبوا هذه الحادثة ... وأن يعرض عليه المساعدة البحرية من جانب بريطانيا. وفي نفس الوقت تقريباً استطاعت سفينة صاحبة الجلالة " فليتشر" بقيادة القائد برنجل أن تستولي على ١٥ قارباً للعماير خارج القطيف، كما استولت أيضاً على ثلاث سفن واربعة قوارب للعماير كان من بينها قاربان مملوكان أصلاً للبحرين، وذلك في المياه جنوبي القطيف، وسلمت كل هذه السفن والقوارب إلى الحاكم التركي للقطيف، وقد أشادت بعمل قائد السفينة كل من حكومة الهند ووزارة الخارجية في لندن .

وفي لقاء ودي بين الرائد روس وعبدالله باشا الوالي التركي في البصرة رفض الوالي معونة السفن الحربية البريطانية لكنه وعد بتوقيع العقوبة على الزبارة إذا ثبت له أنها ارتكبت هذا العمل. وفي هذا الوقت تقريباً لم تعد الزبارة على قيد الوجود ... فقد دمرتها تماماً القبائل العربية المعادية على نحو ما جاء في تاريخ قطر .

---

*[أ] ما ذكره هذا الكاتب هنا ولاحقاً من قرصنة بحرية يعتبر جزءاً لايتجزأ من أعمال السلب والنهب والغارات المتبادله على اليابسة بين القبائل والبلدان في الجزيرة العربية عندما يفلت زمام الأمن وتضعف قوه السلطة المركزية .

١٨٧٩م / ١٢٩٧هـ:

وفي يناير ١٨٧٩م ، وكانت هذه الاضطرابات ما تزال مستمرة سارت قوة تركية عن طريق البر إلى القلعة الصغيرة المعروفة باسم قلعة الحسين في الظهران لكنها لم تنجح في القاء القبض على أي من القراصنة ولا في استعادة شيئ من الأشياء التي نهبت. وفي نفس هذا الوقت تقريباً جنحت السفينتان الحربيتان التركيتان "بروسا " و "الاسكندرية " اللتان ارسلهما وزير الحربية التركية إلى ساحل الأحساء. وفي شهر فبراير من نفس السنة – وبهدف أساسي هو حماية البحرين – رست سفينة صاحبة الجلالة " سبارتان " خارج القطيف، وعين مساعد المقيم السياسي كابتن دوراند مؤقتً في البحرين. وفي إبريل استعادت سفينة صاحبة الجلالة " فليتشر " سفيتتين للبحرين كان القراصنة قد استولوا عليهما، وبدا أن الأمور قد استقرت بعض الشيئ. وفي يوليو من نفس السنة، وبعد تجدد أعمال القرصنة على يد زايد بن محمد لفت تظر الباب العالي والإدارة التركية في البصرة غير مرة واحدة دون أية نتائج مرضية... بل دون نتائج على الأطلاق. وفي نوفمبر بذلت محاولة لإغراء ضابط باشا – الذي خلف عبدالله باشا على ولاية البصرة – ليقوم بعمل لمنع القرصنة في الأحساء لكنه لم يكن مستعداً لمثل هذا العمل بحال من الأحوال. وفي ديسمبر وجه المقيم البريطاني في الخليج خطابات إنذار إلى شيوخ قطر سلمها لهم الضابط البحري الأول في الخليج بتجنب الاشتراك في جرائم بني هاجر .

١٨٨٠م / ١٢٩٨هـ:

وفي إبريل وجه خطاب إلى ضابط باشا بخصوص القرصان زايد بن محمد، ورد هذا بأنه لم يستطع بعد القاء القبض عليه .

١٨٨١م / ١٢٩٩هـ:

وأخيراً في مارس ١٨٨١م وحين ضجر والي بغداد من فقدان السلطات البريطانية صبرها خاصة وقد قدمت شكاوى جديدة من أعمال زايد بن محمد، أبلغ

الوالي ممثل بريطانيا بأنه " ليست هناك جرائم قرصنة أو نهب سفن قام بارتكابها زايد " وأن "الحالة في قطر هادئة تمام الهدوء في البر والبحر " . وباختصار ... فرغم أن الأحساء إقليم تركي اسمياً إلا أن الأمن على طول ساحله إن كان موجوداً أصلا لم يتحقق إلا نتيجة العمل البريطاني الذي لم يكن يستند في تلك الفترة إلى مبررات شرعية بالنسبة للأحساء .

مناقشة لحقوق تركيا في السيادة ومسئوليتها عن ساحل الأحساء وصدور الاوامر للسلطات البريطانية بالعمل في المستقبل على أساسها ١٨٧٨- ١٨٨١م / ١٢٩٨- ١٢٩٩ هـ

لقد ثارت مشكلة حادة بسبب تداخل استبدال السيادة التركية الاسمية على ساحل الأحساء بالسيادة البريطانية الفعلية ونتيجة عدم وضوح حدود هذه الحقوق التركية المزعومة، أو التي يطالب الأتراك بالاعتراف بها. فمن ناحية، كانت لدى بريطانيا الرغبة في عدم الاعتداء على تركيا، ومن الناحية الاخرى كان أي تنازل للباب العالي يعني مزيداً من عمليات القرصنة .

رأي حكومة الهند :

وجاء رأي حكومة الهند وكانت بدأت مناقشة هذه المشكلة في سنة ١٨٧٨ وأوضحت آراءها تحديداً في مايو ١٨٧٩م منكراً الاعتراف بأي حق لتركيا بالسيادة على أي مكان جنوبي العقير باستثناء مدينة الدوحة بقطر التي تقيم فيها حامية تركية. واعتبرت حكومة الهند مشيخات عمان المتصالحة خارج النفوذ التركي تماماً سواء مناطقها الساحلية أو الداخلية كما أوصت بضرورة ترتيب الأمور مع شيخ البحرين بحيث تفرض الحماية البريطانية على إمارته، وبألا تمنعه السلطات البريطانية من مطاردة المعتدين على الجزر حتى الأرض التركية. ولضمان تحديد الوضع السياسي لهؤلاء المشايخ العرب - من وجهة نظر العلاقات الدولية - اقترح أن يدفعوا في المستقبل جزية صغيرة للحكومة البريطانية في مقابل تعليماتها باستمرار مطاردة السفن الحربية البريطانية للقراصنة في المياه التركية بل

وحتى على الأرض التركية مادامت في نطاق مرمى مدافع السفن، على أن يعهد إلى المقيم السياسي البريطاني في الخليج بمعاقبة القراصنة الذين يتم القبض عليهم تحت هذه الظروف، وتكون السلطات التركية مسئولة عن دفع التعويض في كل الحالات التي يرتكب القرصنة فيها رعايا أقاليم تابعة لتركيا .

رأي حكومة صاحبة الجلالة :

وكان مفروضاً أن يتولى مكتب الهند تنفيذ توصيات حكومة الهند غير أن وزارة الخارجية كانت تعتقد أن قبول الباب العالي هذا المخطط - الذي كان يعني تنازلاً من جانبها عن بعض المطالب الإقليمية واعترافاً بحق دولة أخرى في التدخل في مياه تركية ليس متوقعاً. كما أن إعلان الحماية البريطانية الواضحة كان - في رأي لورد سالسبوري سيؤدي إلى نتائج أوخم وأخطر من هذه التي تبذل الجهود لتجنبها، وكانت وزارة الخارجية تميل إلى الأخذ بأن يكون تدخل البحرية البريطانية في المياه التركية قاصراً على الأمور الخطيرة فقط وبعد موافقة السلطات التركية المحلية على ذلك .

وقف عمل السفن الحربية البريطانية على شاطئ الاحساء مايو ١٨٧٩م/ ١٢٩٧هـ :

وفي نفس الوقت، كان موضوع استخدام السفن الحربية البريطانية ضد القراصنة في المياه التركية أو على الساحل التركي قد صدر به تفويض من حكومة الهند في مارس ١٨٧٩م ورفعه قائد عام البحرية في الهند إلى الاميرالية البريطانية التي أبلغته بدورها إلى وزارة الخارجية. وفي مايو ١٨٧٩م صدرت الأوامر بإقاف عمل هذه السفن الحربية. وأفاد المستشارون القانونيون لحكومة صاحبة الجلالة بأن هذا العمل - حتى بالنسبة للظروف الخاصة على ساحل الأحساء - أمر يمنعه القانون الدولي .

مفاوضات مع تركيا :

وبمضي الوقت، ولعدم وجود أية دلائل تشير إلى أن هذا الاضطراب سيتوقف في القريب، أصبح ضرورياً توجيه الانتباه بإصرار من وقت لآخر عن طريق ممثلي بريطانيا للحكومة التركية، لكن هذه لم تقابل تلك المحاولات كلها إلا

بالإرجاء والمراوغة، وهكذا صدرت التعليمات لسفير صاحبة الجلالة في القسطنطينية بأن يتخذ من الإجراءات مايجعل الحكومة التركية تسمح بتدخل بريطاني يهدف أساساً لوقف القرصنة على مدى ثلاثة أميال شمالي العديد، كذلك كان من المقرر التعاون مع الحكومة التركية لفرض هيبة هذه الحكومة نفسها في مياهها، ودامت المفاوضات على هذا الأساس في القسطنطينية معظم سنة ١٨٨٠، لكنها لم تؤدي إلى نتيجة تذكر .

ولما فشلت كل السبل المؤدية إلى تسوية هذه المشكلة تسوية ودية قررت حكومة صاحبة الجلالة أخيراً سنة ١٨٨١م ألا يتقيد ضباط البحرية البريطانية في الهند الشرقية بمسافة الاميال الثلاثة في مطاردة سفن وقوارب القراصنة في المياه التركية، وبعدها شرح وزير الدولة لشئون الهند الأمر لحكومة الهند فأشار إلى أن الهدف من ذلك أشمل مما يبدو في الظاهر، فهو يعني في الحقيقة أن لقادة السفن البريطانية في الخليج حرية العمل وقت الضرورة لمنع الاضطراب في البحر أو توقيع العقاب على مرتكبيه، على أن يتجنبوا – بطبيعة الحال – إثارة مشاكل لاداعي لها مع الحكومة أو السلطات التركية حيث لها وجود، وان يتجنبوا أيضاً المساس بسيادة السلطان في المناطق التي يتمتع فيها بسيطرة فعلية على طول الساحل شمالي العديد. ولم ينتج عن المفاوضات والمحادثات التي دارت من قبل – وأشرنا اليها – أي تحديد دقيق لأملاك تركيا في شرق جزيرة العرب، والواقع قد تجنبت السلطات البريطانية إثارة هذه المشكلة مع تركيا. فقد كان من المعروف أن مزاعمها في هذا الصدد مبالغ فيها وتشمل البحرين وكل عمان. ورغم أنه لم يكن في النية الاعتراف بسيادة تركيا على البحرين أو على أي مكان شرقي خور العديد على الإطلاق، إلا أن حكومة صاحبة الجلالة تجنبت الوصول إلى قرار بهذا الشأن.

الحكام الاتراك في الاحساء
١٨٧٩- ١٩٠٧م / ١٢٩٥- ١٣٢٥هـ

يمكننا الآن مواصلة استعراض الشئون الداخلية في الأحساء من سنة ١٨٧٨م . وسنذكر أولاً الحكام الذين تتابعوا على هذا الإقليم، ثم نشير إلى الأحداث التي وقعت خلال هذه الفترة، والتي لم يكن لأشخاص الحكام تأثير كبير عليها .

المتصرفون في الأحساء ١٨٧٦- ١٨٧٧م / ١٢٩٣- ١٢٩٤هـ :

عين سعيد بك في سنة ١٨٧٦م ، وظل متصرفاً طوال السنة التالية ثم استدعي إلى العاصمة بعد أن ذاع صيته كاداري ناجح .

١٨٧٧- ١٨٧٩م / ١٢٩٤- ١٢٩٦هـ :

وكان سعيد باشا الذي خلفه مواطناً من بغداد وليس تركياً بحكم البلاد. وكان رجلاً على شيئ من الذكاء والنشاط، وخلال فترة حكمه للمرة الأولى اكتسب سمعة طيبة حببت أهل الأحساء وأكسبته رضاهم فأستطاع أن يحكم الإقليم بكفاءة. وكان عزله في سنة ١٨٧٩ نتيجة الفضيحة ثم الطرد اللذين حصلا لولي نعمته عبدالله باشا والي البصرة، الذي كان قد عينه متصرفاً في الأحساء .

١٨٨٠- ١٨٨١م / ١٢٩٧- ١٢٩٨هـ :

وفي ديسمبر ١٨٧٩م أعيد تعيين سعيد بك متصرفاً في الأحساء، وواصل سعيد سيرته الطيبة حتى عزل نهائياً سنة ١٨٨٠م . وفي نفس السنة تقرر ضم إقليم الأحساء وغيره من الأقاليم التابعة للبصرة إلى ولاية بغداد مرة أخرى .

وأرسل عبدالغني باشا من القسطنطينية خلفاً لسعيد بك، وقيل إنه متعصب ديني وقليل الذكاء وقد أدت ثورة قبيلة العجمان في سنة ١٨٨٠م إلى إيقاف هذا

الوالي وتغريمه من قبل قائد القوات العسكرية، ورغم أن اللجنة التي ارسلت لتحقيق الأمر جاء تقريرها في صف عبدالغني باشا إلا أنه عزل في العام التالي .

١٨٨١ - ١٨٨٥م / ١٢٩٨ - ١٣٠٢هـ:

وعين سعيد باشا بعده متصرفاً للمرة الثانية، وظل قائماً على أداء واجبات منصبه بكفاءة وروح ودية من ١٨٨١م إلى ١٨٨٥م . وفي سنة ١٨٨٤م فصلت أقاليم البصرة بما فيها الأحساء فصلاً نهائياً عن بغداد وأصبحت ولاية مستقلة .

١٨٨٥ - ١٨٨٦م / ١٣٠٢ - ١٣٠٣هـ:

وجاء نظيف باشا خلفاً لسعيد باشا في نوفمبر ١٨٨٥م، لكن المدة التي قضاها متصرفاً كانت مدة قصيرة انتهت في سنة ١٨٨٦م .

١٨٨٧ - ١٨٩٠م / ١٣٠٤ - ١٣٠٨هـ:

وظل خلفه محمد صالح باشا متصرفاً خلال المدة من مارس ١٨٨٦م إلى أوائل ١٨٨٧م . ومن ١٨٨٧م إلى ١٨٩٠ م كان يحكم الأحساء رفعت بك، وخلال مدة حكمه قام نافذ باشا والي البصرة بزيارة القطيف والعقير. ويرجع عزله في الاحساء حسب إحدى الروايات إلى خلاف بينه وبين السلطات العسكرية فيها، لكن الأكثر احتمالا هو ان عزله جاء نتيجة تغيير والي البصرة . ففي ذلك الوقت ترك نافذ باشا الولاية لهداية باشا. ويبدو أن رفعت بك كان رجلا إدارياً ناجحاً .

١٨٩٠ - ١٨٩١م / ١٣٠٨ - ١٣٠٩هـ:

أما المدة من ١٨٩٠م إلى ١٨٩١م فقد قضاها عاكف بك متصرفاً للأحساء، وكان هذا ضابطاً عسكرياً لديه برامج مستفيضة للإصلاح السياسي والتوسع، لكنه كان عاجزاً عن تنفيذ معظمها. وقد ترك عاكف بك متصرفية الأحساء نتيجة اعتلال صحته في أوائل ١٨٩١م وقيل إنه مات في الطريق قبل أن يصل إلى منزله .

١٨٩١- ١٨٩٤م / ١٣٠٩- ١٣١٢هـ:

وفي مايو ١٨٩١م تولى سعيد باشا متصرفية الأحساء للمرة الثالثة، وظل بها حتى استقال في إبريل ١٨٩٤م ، وخلال فترة حكمه قام والي البصرة بجولة في الأحساء استمرت من أكتوبر ١٨٩٢م إلى مايو ١٨٩٣م وسنشير إليها تفصيلا فيما بعد. وقد بذلت بعض الجهود- فيما يبدو - لتحسين الإدارة، ونقل قائمقام القطيف في يوليو ١٨٩٣م وعين بدله رءوف أفندي في يناير ١٨٩٤م .

١٨٩٤- ١٨٩٦م / ١٣١٢- ١٣١٤هـ:

وكان الحاكم التالي هو إبراهيم باشا-الذي كان مسئولا من قبل عن الحديدة- وظل في عمله حتى سنة ١٨٩٦ م .

١٨٩٦- ١٩٠٠م / ١٣١٤- ١٣١٧هـ:

ثم عين سعيد باشا في الأحساء للمرة الرابعة. واستدعى نهائياً في ١٩٠٠م. وفي محادثة مع الوكيل السياسي البريطاني المساعد في البحرين - أثناء رحلته الأخيرة من العراق في يناير ١٩٠١م - أرجع سعيد باشا عزله إلى مؤمرات القائد العسكري في الأحساء الذي وصفه بأنه " تركي جاهل " ويبدو أن سياسة سعيد باشا الأخيرة في الأحساء كانت تعتمد على تكوين قوة عسكرية محلية من أهل البلاد، في مواجهة قوة الاحتلال التركية الموجودة بقيادة القائد العسكري. ويبدو أن هذا القائد قد أستطاع إقناع السلطات العليا بأن نتيجة سياسة سعيد باشا المتسامحة مع أهل البلاد هي تصدير السلاح بكميات كبيرة اليهم مما أصبح يهدد أمن جيش الاحتلال التركي. وقد مات سعيد باشا متقاعداً في بغداد سنة ١٩٠٥م .

وخلف القائد العسكري في الأحساء سعيد باشا كمتصرف للإقليم. ويبدو أن مبالغة أعدائه في وصف خلقه وشخصيته كانت تقوم على أساس أنه لم يبق في

وظيفته إلا لسبتمبر ١٩٠١م حين استبعد بعد أن ساد السخط الشامل من أعماله الاستبدادية .

١٩٠٠- ١٩٠١م / ١٣١٧- ١٣١٨هـ :

وخلفه قائد عسكري آخر هو توفيق بك متصرفاً للأحساء .

١٩٠٢- ١٩٠٥م / ١٣١٩- ١٣٢٢هـ :

وفي ١٩٠٢م عين مسئول مدني متصرفاً للأحساء هو السيد طالب باشا ابن نقيب البصرة الذي وصل الأحساء في يونيو من هذه السنة، وأبدى السيد طالب نشاطاً كبيراً في تسويه المشاكل القبلية. لكن تصرفاته غير المشروعة كانت بلا حدود، وقد بلغت قمتها في أوائل سنة ١٩٠٣م حين نهب بيت حاجي منصور باشا وهو رجل من البهرة في القطيف كان مدير أملاك الدائرة السنية في الأحساء وأغنى تاجر في الاقليم كله. وقد اتهمه السيد طالب بعدم الولاء للحكومة التركية كما أمر بسجن شقيقه أحمد بن جمعه. وبلغت الغنائم التي نهبت من بيت حاجي منصور حمولة ثلاث سفن ورد ذكر رحيلها في تقرير ممثل بريطانيا في البحرين. وأشار القنصل البريطاني في البصرة إلى ما يؤكد وصول السفن وحمولتها إلى مقر السيد طالب في صبيحات على شط العرب. واستدعى طالب باشا مؤقتاً في أكتوبر ١٩٠٣م وعين فائق باشا القائد العسكري متصرفاً خلال فترة غيابه، لكنه لم ينقل نهائياً من عمله إلا في فبراير سنة ١٩٠٥م ، ويبدو أن معاملته السيئة لحاجي منصور كانت هي السبب الرئيسي في عزله [١] .

وكان الحاكم التالي هو نجيب باشا، وفي عهده ظلت المشاكل قائمة بين حاجي منصور باشا وجامعي العوائد في الإقليم، وقد وقف إلى جانب هؤلاء - الذين كانوا تحت حماية طالب باشا - المسئولون عن السلطة العسكرية بشكل عام

---

(١) يبدو أن طالب باشا كان قد كتب مذكرة طويلة ذات طابع اسلامي شامل عن السياسة التركية في جزيرة العرب، وقد حصل السفير البريطاني في القسطنطينية على نسخة منها .

وبعض المسئولين المدنيين، وكان نجيب باشا ما يزال في الحكم في أوائل سنة ١٩٠٧م/ ١٣٢٥هـ .

الإدارة المالية والعامة في الأحساء ١٨٧٧- ١٩٠٧م / ١٢٩٤- ١٣٢٥هـ :

ومنذ البداية، كانت حكومة الأحساء عبئاً مالياً بالنسبة للحكومة التركية، ويرجع معظم المشاكل السياسية التي كان على الحكام المحليين مواجهتها إلى محاولات المتصرفين الدائمة بأوامر من الباب العالي لتنمية عوائد الإقليم حتى تتوازن الواردات والنفقات .

١٨٨٢م / ١٢٩٨هـ :

في بداية ١٨٨٢م وربما بأمر من عبدالغني باشا بدأ تحصيل عوائد الميناء في دارين على السفن الداخلة إلى ميناء القطيف أو الخارجة منه، كما بذلت محاولات كثيرة لتحصيل متأخرات الضرائب الزراعية المقدرة بمبلغ ١٧٠ألف روبية عن القرى المحيطة بواحة الأحساء. وبالنسبة لهذا المطلب الأخير. فقد كان معظم هذه المتأخرات مفروضاً على زراعات كان يملكها الأمراء (الوهابيون) ثم آلت إلى الحكومة التركية، وبار معظمها نتيجة الأهمال. وفي إحدى المرات خرجت قوات مسلحة بالمدافع لتطالب أهل إحدى القرى بدفع العوائد، وحين وصلت القرية وجدتها مهجورة من أهلها تماماً .

١٨٨٧- ١٨٨٨م/ ١٣٠٥ - ١٣٠٦هـ :

وفي سنة ١٨٨٧م بذلت محاولة محمومة لانشاء ميناء في دارين على المحيط بهدف تحويل تجارة الأحساء ووسط الجزيرة عن البحرين. لكن التجربة فشلت فشلاً ذريعاً. ولم تستمر في السنة التالية .

١٨٩١م / ١٣٠٩هـ:

وفي سنة ١٨٩١م ذكر أن سخطاً شاملاً ساد أهل القطيف نتيجة " القوانين الجديدة " الخاصة بضرائب الارض والأيلولة والوصية. وكان سبب هذه الاضطرابات فتح مكتب في الأحساء لقسم تسجيل الاراضي الذي أدخل إلى العراق لأول مرة سنة ١٨٨٩م وكان لابد أن يمتد إلى الأحساء بعد ذلك .

١٨٩٤- ١٨٩٥م / ١٣١٢- ١٣١٤هـ:

وخلال سنة ١٨٩٤م ظل الصراع قائماً في القطيف بين التجار وجامعي العوائد من الأتراك، وكان يتعلق بفرض ضريبة على التمور المعدة للتصدير، وكان جامعو الضرائب يطالبون التجار بمتأخر سنتين من هذه الضريبة. ورغم الوفود التي ارسلت إلى البصرة، ورغم الهجرة إلى البحرين يبدو أن السلطات التركية قد حققت ما كانت تريده. وقد حدثت هذه الأحداث أثناء حكم إبراهيم باشا الذي حاول أيضاً تحصيل مزيد من الضرائب من بدو العجمان وآل مرة وغيرهم لكن النتيجة النهائية لذلك كانت - كما سنرى - هي استدراج المتصرف إلى نزاع قائم بين قبيلتين من قبائل البدو.

١٩٠٠م / ١٣١٧هـ:

وقرب نهاية سنة ١٩٠٠م صدرت التعليمات لحاكم الأحساء بتحصيل ضريبة قدرها ١٢ألف ليرة من الإقليم لصالح الخزينة التركية - الأمبراطورية، وقد أثار هذا القرار مزيداً من السخط بين الأغنياء من أهل الإقليم الذين كان سيقع على كاهلهم هذا العبء الجديد .

١٩٠١م / ١٣١٨هـ:

وفي سنة ١٩٠١م ذكر المتصرف المتقاعد في الأحساء - أثناء وجوده بالبحرين أن العوائد السنوية للإقليم كانت ٦٠ألف ليرة تلتهم نفقات الجيش منها ٥٤ ألفاً، وما يتبقى لايكفي الخدمات المدنية .

١٩٠٣م / ١٣٢٠هـ:

وذكر أيضاً أن احصاء أشجار النخيل في واحة الأحساء الذي أجرى سنة ١٩٠٣ قد أدى إلى زيادة عدد الأشجار الخاضعة للضريبة فيما بعد .

١٩٠٤- ١٩٠٦م / ١٣٢٣- ١٣٢٤هـ:

وقد ارتفعت مدخلات الجمارك لسنة ١٩٠٥ - ١٩٠٦م بنسبة تزيد عن ٣٧٪ مما كانت عليه في السنة الماضية، وفي سنة ١٩٠٦- ١٩٠٧م زادت أيضاً بنسبة ١٢,٥٪ عما كانت عليه في ١٩٠٥- ١٩٠٦م ، وفي خريف سنة ١٩٠٥م وربيع سنة ١٩٠٦م بذلت محاولة لإحصاء السكان في القطيف وواحة الأحساء وكان واضحاً أن ذلك يهدف إلى فرض ضريبة على الرؤوس لكن الاضطرابات العنيفة التي حدثت في الهفوف والمبرز اوقفت هذا الإحصاء .

الادارة السياسية والاضطرابات بين القبائل

١٨٧٨- ١٩٠٧م/ ١٢٩٤- ١٣٢٥هـ

كان الوضع السياسي في الأحساء - اذا استثنينا الواحتين الكبيرتين- يسوده الاضطراب وفقدان الأمن بشكل عام، ولم يتحسن هذا الوضع خلال الثلاثين سنة التالية، بل لعله ازداد سوءاً على سوء .

تمرد سنة ١٨٧٨ م /١٢٩٤هـ:

ففي صيف ١٨٧٨م حدث تمرد على السلطة التركية تزعمه محمد وعبدالرحمن ابنا سعود أمير(الوهابيين) السابق في واحة القطيف، وسقطت الدمام بسرعة في أيدي (الوهابيين)، وحاصرت حشود البدو مدينة القطيف. لكن هؤلاء تفرقوا حين ظهرت سفينة صاحبة الجلالة " فلتشر " مصادفة على الساحل ثم وصلت تعزيزات تركية قوية من العراق وفي ديسمبر لم يستطع إبنا سعود مواصلة التمرد فلجأ إلى البحرين ولكن لم يسمح لهما بالبقاء فيها. كما لجأ أيضاً كثير من أهالي القطيف إلى البحرين بعد حصار البدو لمدينتهم .

١٨٧٩م / ١٢٩٥هـ :

وفي سنة ١٨٧٩م ، ونتيجة الغارات التي ارتكبها بعض بني خالد حول القطيف انتقل سعيد باشا اليهم على ظهر القارب المسلح " اسكندرية " ودمر حصناً من حصونهم، لعله المعروف باسم قصر آل صبيح على الساحل شمالا، وبعدها أعلن هؤلاء العصاة خضوعهم ووعدوا بالعدول عن هذا المسلك مستقبلا. لكن المتصرف لم يستطع أن يعمل شيئاً ضد قبيلة بني هاجر العنيدة المتمردة، فقد استطاع زايد بن محمد، القرصان الشهير من هذه القبيلة استدراج تاجر ثري من تجار الأحساء وقتله.

١٨٨٠- ١٨٨١م / ١٢٩٦- ١٢٩٧هـ :

وفي سنة ١٨٨٠م هاجمت قبيلة العجمان واحة الأحساء متصورة أنها ستأخذ الحامية التركية على غرة ، لكن السلطات التركية كانت تعرف نواياهم مسبقاً فأستقبلتهم استقبالا حامياً فقتلت ٦٠رجلاً من رجالهم وأسرت اثنين من شيوخهم. ويبدو ان المتصرف المدني عبدالغني باشا كان يعتبر هو المسئول محلياً عن هذه الحادثة ... حتى إن قائد القوات العسكرية مضى إلى حد القبض عليه نتيجة اتهامات وجهت اليه بصدد هذه الحادثة كما أشرنا من قبل. وأثناء عودة سعيد باشا إلى الأحساء في سنة ١٨٨١م حاول استدراج شيوخ قبيلة العجمان للعودة إلى الأحساء التي هربوا منها؛ لكنهم ظلوا فترة مصرين على رفض هذا الاستدراج .

١٨٨٠- ١٨٨٢م / ١٢٩٦- ١٢٩٨هـ:

وخلال عدة سنوات تلت، ظل إقليم الأحساء في سلام، ولكن الاضطرابات عادت مرة أخرى في سنة ١٨٩٠م ، ففي اواخر هذه السنة أو أوائل سنة ١٨٩١م قام بدو آل مرة بنهب قافلة تمور ضخمة وأشترك معهم بنوهاجر وسواهم من القبائل . وأدى هذا العمل إلى توقف الحكومة التركية عن دفع الإعانات التي كانت تدفعها للقبائل، وأعدم بعض البدو نتيجة هذه الغارة . ويبدو أن عاكف بك المتصرف في ذلك الوقت قد شرع بتكوين قوة على ظهور الجمال لتولي مثل هذه الامور مع قبائل البدو ولحراسة القوافل بين الهفوف والعقير، كما اقترح أيضاً إقامة عدد من المراكز يوضع بكل منها عدد من الجند وأقيمت بالفعل عدة مراكز.

١٨٩٢- ١٨٩٣م / ١٣١٠- ١٣١١هـ:

وربما نتيجة هذه الإجراءات ظل المسافرون بين الهفوف والعقير لايتعرضون لأية مضايقات مابقي من سنة ١٨٩١ وجزء من ١٨٩٢م ، ولكن في ١٤مايو ١٨٩٢م قام بدو قبائل المناصير وبني هاجر وآل مرة - وقد تجمع منهم أكثر من ٣٠٠رجل - بتمرد خطير فهاجموا قافلة مسافرة من الهفوف إلى العقير في حراسة فرقة تركية من ٢٥جندي، فقتلوا ١٥ منهم وجرحوا ١٠ وحملوا معهم ٥٠ألف روبية نقداً وما قيمتة ٢٠ألف من البضائع، كما نهبوا أيضاً ٤٠ حاجاً كانوا مسافرين بصحبة القافلة، وبدأت حوادث سرقات عديدة - تنسب إلى بني هاجر وآل مرة - تحدث في الهفوف مما جعل أهل المدينة لايجرأون على الخروج في رحلات إلا مصحوبين بحماية مالايقل عن ٢٠ مسلحاً وبصحبة أدلاء وأصدقاء من القبائل .

وحوالي منتصف اكتوبر ١٨٩٢م وصل والي البصرة إلى القطيف ليحقق في أحوال الأحساء وسار عن طريق العقير إلى الهفوف . وكان أول مافعله في الهفوف هو أن أخذ الأمان من أهل المدينة وما جاورها على ألا يشتركوا مع أهل القبائل المتمردة الذين تراجعوا إلى الصحراء .

وفي فبراير ١٨٩٣م حين كان الوالي في نزهة قصيرة بقطر - كان الاعراب يتولون حماية القوافل المسافرة بين العقير والهفوف والقوات النظامية تتكفل بالإغارة على القبائل البدوية الهاربة إلى داخل الصحراء . وحققت في ذلك بعض النجاح، وفي هذا الوقت تقريباً يبدو أن الأتراك قد طلبوا معونة شيخ الكويت الذي جاء بعدها إلى الأحساء مع فرقة من الرجال المسلحين . وفي مايو ١٨٩٣م عاد والي البصرة عن طريق القطيف بعد أن شهد بعينه كارثة كانت تحيق بالأتراك في قطر، لقد فشل في أن يعيد الأمن والنظام في الإقليم وظل طريق العقير - الهفوف يعتبر طريقاً غير مأمون . وفي يونيو ١٨٩٣م كان يتوقع حدوث هجوم شامل من المناصير وبني هاجر وآل مرة على قبيلة بني خالد، وزودت القوافل الخارجة من العقير مرة أخرى بالحرس العسكري، لكن هذه الغارة المنتظرة لم تحدث .

١٨٩٤- ١٨٩٥م / ١٣١٢- ١٣١٣هـ :

وفي فبراير ١٨٩٤م هوجمت قافلة في الطريق من الهفوف إلى القطيف هاجمها بدو قبيلة الدواسر لكنهم تراجعوا عن القافلة حين وجدوا أنها في حماية دليل من الدواسر . وفي ١٨٩٥م حين طلب المتصرف من القبائل زيادة الضرائب التي تدفعها تعللت قبيلة العجمان بعدم استطاعتها دفع شيئ الا اذا استرجعت الغنائم التي نهبها بنومطير، فقام الحاكم، بمعاونة العجمان وغيرها من القبائل بمهاجمة بني مطير والاستيلاء على بعض ماشيتهم .

١٨٩٨م /١٣١٦هـ :

وفي إبريل استدرج بعض بني مرة قافلة البريد ونهبوها في الطريق بين القطيف والهفوف، وتولت قوات الخيالة مطاردة هؤلاء اللصوص من الهفوف. وفي هذا الوقت نفسه هاجم الدواسر عصابة من آل مرة وحين وصلت القوات التركية حملت على الدواسر، وكانت النتيجة هي قتل اثنين من الجنود الأتراك وجرح اثنين آخرين واستيلاء الدواسر على ثلاثة من خيول الفرسان .

١٩٠١- ١٩٠٢م / ١٣١٨- ١٣١٩هـ :

وفي ١٩٠١م ازدادت مرة أخرى خطورة الطريق بين الهفوف والعقير وفي ٣٠ إبريل سنة ١٩٠٢م هوجمت قافلة كانت على الساحل في حماية ١٢٠ فارساً نظامياً و٣٠جندياً نظامياً من المشاة و٨٠رجلاً من خيالة الضبطية . وقد هاجم القافلة واستولى عليها رجال آل مرة وبني هاجر، وكان ابرز المشتركين في هذا الهجوم الذي حدث في القفطية على بعد ١٥ميلا من العقير فرع آل بحيح من آل مرة .

وقد قتل رجال الحرس أو أسروا حيث أخذهم البدو كرهائن في مقابل أقربائهم المسجونين في الهفوف، وتجاوزت أسلاب هؤلاء اللصوص مبلغاً يقارب المليون روبية بالإضافة إلى حوالي ٦٠٠بعير و٣٠٠حمار . وفي يونيو ١٩٠٢م وصل طالب باشا متصرفاً للأحساء، وفي يوليو زودت الحامية التركية هناك بخمسمائة جندي من المشاة، و٢٠٠ فارس و٤ مدافع خفيفة .وفي ١٠سبتمبر استطاعت فرقة تركية أرسلت من الهفوف أن تفاجئ معسكراً كبيراً لآل مرة وتأخذهم على غرة في مكان يسمى الزرنوقة على بعد ٤٠ ميلاً جنوبي واحة الأحساء، وقد قتل في هذه المباغتة عرب كثيرون من بينهم شقيق أحد شيوخ آل بهية ووقع الكثير من أملاك البدو في أيدي الأتراك . ومنع المتصرف الجديد للأحساء أهل الأقليم من التجارة مع آل مرة، وفي أكتوبر من نفس السنة، وبعد اشتباك مع معسكر آل مرة استطاع الأتراك الاستيلاء على قافلة من ٨٠ بعيراً محملة بالأرز والتمر مملوكة لهذه القبيلة . وقد خسر الأتراك ارواح جنود كثيرين في هذا الاشتباك وبادر المسئول التركي فوضع مراكز للضبطية في جزر المسلمية وجنة هادفاً لتعزيز سيطرته على القبائل ولتأكيد سيادته على الساحل الشمالي .

وفي بداية ١٩٠٣، كان الوضع الداخلي مايزال في حالة سيئه لأن فرقة جديدة قد اضيفت في يناير من هذا العام لحماية الأحساء .

١٩٠٦- ١٩٠٧م / ١٣٢٤-١٣٢٥هـ:

وفي يناير ١٩٠٦م حدثت اشتباكات خطيرة في الرقيقة - وهي أرض واسعة تجمع بها البدو على مسافة ميل واحد جنوبي الهفوف بين قبيلتي العجمان وآل مرة .. لكن تدخل الأتراك اوقف هذا القتال بينهما . وبعدها بيوم أو يومين قتل محمد بن شريم آل مرة، ويبدو أن قبيلته قد اعتبرت الأتراك مسئولين بشكل من الاشكال عن هذا الحادث، وكانت النتيجة أنه في ٣ مارس التالي كمن آل مرة وبنو هاجر والمناصير لقافلة ضخمة بين الهفوف والعقير، واستولوا عليها بالقرب من مكان يدعى بريمان على بعد خمسة أميال فقط من القفطية حيث حدثت مثل هذه الكارثة سنة ١٩٠٢م . وفي هذه المرة قتل ٤٥ رجلاً من رجال الحرس التركي إلى جانب عدد من راكبي الجمال والمسافرين، وحمل اللصوص اموالا وبضائع تجاوزت ٣٠٠ألف روبية . ولم يتخذ الاتراك أية إجراءات بقصد الانتقام . وفي إبريل وأغسطس وسبتمبر نهبت قوافل أخرى عديدة على أيدي البدو في مختلف الطرق المؤدية إلى واحة الأحساء أو الخارجة منها . وفي أغسطس حدث اشتباك بين أهل المبرز وقبيلة العجمان ... ضاعت فيه أرواح بعض الأفراد من الجانبين، وفي اكتوبر من نفس السنة حدث صراع أكثر خطورة بين أهل مدينة الهفوف تعاونهم القوات التركية من ناحية، وبدو عدة قبائل من الناحية الأخرى، وفي هذا الاشتباك خسر أكثر من ٢٠ جندياً تركياً أرواحهم، كما خسرت القوات التركية مدفعاً [1]. وفي نهاية ديسمبر بدأ العسكريون المسرحون يصلون من البصرة إلى الأحساء، واستطاعت السلطات التركية من هذه الزيادة في عدد الحامية التركية لتخضع واحة الأحساء وما حولها وتنشر فيها السلم، ولكن بدأ انسحاب هؤلاء المسرحين بعد قليل بسبب الظروف الصعبة التي كانوا يؤدون واجباتهم في ظلها

(١) حسب ما ورد في خطاب جاء من الطابور الغازي في الهفوف إلى البصرة ، كانت خسائر الاتراك أكثر جسامة : ضابطان و ٧٦ جندياً من القتلى ، و٥٦ رجلاً جريحاً ، و٨٥ بغلاً ، و١٤١ بندقية ، ومدفع واحد . كما نهب العرب قرية شقيق وأحرقوها ، وهذا المدفع كما جاء في هذا المصدر نفسه - ثم استرجاعه بعد دفع مبلغ ٧٠٠ روبية .

في الأحساء. وفي فبراير ١٩٠٧م أسرع سعدون باشا زعيم المبرز وابنه إلى البصرة ليؤكدا للسلطات التركية هناك براءة ساحتهما من الاضطرب الدائر في الأحساء .

عمليات (القرصنة) على ساحل الاحساء

١٨٨١-١٩٠٧م / ١٢٩٩-١٣٢٥هـ

أحداث (القرصنة) من ١٨٨١ إلى ١٨٨٨م ووقوف الاتراك موقف المتفرج :

وفي نفس الوقت، استمرت عمليات (القرصنة) على طول ساحل إقليم الأحساء لكنها كانت بمستوى أقل من هذا الأجتياح الوبائي الذي حدث في الخروج على القوانين في البحر في ١٨٧٨ إلى ١٨٨٠م .

١٨٨١م / ١٢٩٩هـ :

في مايو ١٨٨١م حاول (قرصان) بني هاجر الشهير زايد بن محمد أن يستولي على بعض القوارب التي يملكها بنوعمير لكنه فشل، وتبعت ذلك عمليات (قرصنة) محدودة بالقرب من القطيف وبين القطيف والبحرين، وأخيراً هاجم بنو هاجر قارباً للعماير وقتلوا رجلين كانا فيه . ورغم أن هذه الاعتداءات كلها ارتكبت جوار القطيف مباشرة إلا أن السلطات التركية المسئولة لم تحرك ساكناً لمعاقبة المعتدين من بني هاجر .

١٨٨٣م / ١٣٠١ هـ :

وفي يونيو سنة ١٨٨٣م استولى (قراصنة) بني هاجر على سفينة تابعة للبحرين بالقرب من ساحل القطيف ونهبوها بعد أن أصابوا ملاحها بجراح مميتة. وبعدها بشهر استطاعت السلطات التركية في القطيف رد أربعة عبيد كانوا قد حملوا في هذا الهجوم إلى أصحابهم .

١٨٨٤م / ١٣٠٢هـ :

وفي أغسطس ١٨٨٤م ارتكب بنو هاجر عملية (قرصنة) جديدة على قارب لقطر كان راسياً خارج القطيف، وألقت السلطات التركية القبض على بعض رجال من بني هاجر .

١٨٨٦م / ١٣٠٤هـ :

وفي ١٨٨٦م حدثت عدة حوادث قرصنة في ميناء القطيف ... كانت الخسارة فيها جميعاً تقع على سفن وقوارب تابعة للبحرين، وكان استمرار هؤلاء القراصنة في أعمالهم دون أن تستطيع قوة ردعهم سبباً لسخط شيخ البحرين، وساد شعور بالخطورة وفقدان الأمن على طول الساحل، وجاءت سفينة بخارية تركية فرست خارج ميناء القطيف بعد أن تكررت هذه الأعمال ... ورغم ذلك وحتى ذلك التاريخ لم تبذل السلطات التركية أي جهد لردع المعتدين وعقابهم .

١٨٨٧م / ١٣٠٥هـ :

وفي سنة ١٨٨٧م حدثت اعتداءات كثيرة . في أول اغسطس استولى بنو هاجر على قارب بحريني ونهبوا منه ما قيمته ٦٤٥ روبية، وفي يوليو استولوا أيضاً على قارب كويتي يساوي حوالي ٤٠٠ روبية خارج رأس تنورة، وقد جرح أربعة رجال كانوا فيه. وفي سبتمبر هاجمت عصابة من ٣٠ بدوياً قارباً يملكه شقيق شيخ البحرين كان راسياً في ميناء القطيف وسلبوا منه كل شيئ له قيمة، وفي ١٤سبتمبر تعرض قارب كويتي خارج دارين لهجوم عصابة من البدو وتجاوزت الخسارة ٢٣١٨ روبية . وفي ١٦ أكتوبر قامت عصابة من بني هاجر بمهاجمة قارب بحريني خارج عنك، وفي ٢٧ أكتوبر هاجم بنوهاجر سفينتين – احداهما تابعة للكويت والأخرى للبحرين – بالقرب من العقير، وجرحوا بحارين وخمسة من المسافرين وحملوا كل شيئ أمكنهم حمله من السفينتين.

١٨٨٨م /١٣٠٦هـ :

وفي إبريل ومايو ١٨٨٨م حدثت حادثتان أو ثلاث حوادث جديدة في مياه القطيف رغم أن نافذ باشا والي البصرة كان قد زار القطيف في فبراير من نفس السنة وأخذ عهداً على محمد بن عبدالوهاب في دارين بأن يمنع ارتكاب عمليات (القرصنة) فيما جاوره .

محادثات حول هذه (القرصنة) بين الحكومة البريطانية والباب العالي .

١٨٨٣ - ١٨٨٩م / ١٣٠٠ - ١٣٠٧هـ

وفي ١٨٨٣م وعلى أثر حوادث (القرصنة) التي ارتكبت في هذه السنة لفتت حكومة صاحبة الجلالة انظار الباب العالي إلى ما يحدث، ولكن بالنظر إلى رغبة حكومة صاحبة الجلالة في عدم إثارة موضوع حق تركيا في السيادة على الساحل الشرقي لجزيرة العرب فانها لم تتخذ خطوات أخرى في هذا السبيل وأهملت الأمر . وفي ١٨٨٧م و ١٨٨٨م وجه قارب تركي مسلح عدة إنذارات (للقراصنة) على ساحل الأحساء . لكن هذا كان إجراءاً خاطئاً كل الخطأ فقبيلة بني هاجر التي كان يجب توقيع العقاب عليها بشكل خاص لم تكن قبيلة مشتغلة بالبحر وإنما كانت تمارس عمليات (القرصنة) دائماً باستخدام سفن وقوارب تحصل عليها عن طريق الإيجار أو السرقة، كما ان المياه التي كانت تقوم بعملياتها فيها كانت مياهاً ضحلة جداً حتى لاتسهل فيها حركة سفينة بخارية مسلحه. ثم إن زيارة القطع البحرية التركية المسلحة في الخليج لم تكن أمراً لاجدوى منه وحسب، ولكن غير مرغوب فيه أيضاً، وقد بذلت جهود كثيرة لاقناع الباب العالي بأن المطلوب هو القيام بعمل على البر، ولهذا أقيمت قاعدة عسكرية صغيرة لمنع (القرصنة) في رأس تنورة سنة ١٨٨٩م ، وهدأت حدة القلق الذي كان ينتاب حكومة صاحبة الجلالة، فقد توقفت عمليات (القرصنة) فترة قصيرة ، وحين بدأت مرة أخرى قام الاتراك بمحاولة للقضاء على (القراصنة) في البر .

انفجار جديد (للقرصنة)، وتدابير فاشلة للسلطات التركية .

١٨٩١- ١٨٩٢م / ١٣٠٩- ١٣١٠هـ :

وفي موسم صيد اللؤلؤ لسنة ١٨٩١م و١٨٩٢م تجددت حوادث (القرصنة) مرة أخرى على ساحل الأحساء . ففي ١٨ يونيو ١٨٩١م قامت عصابة من ١٤ رجلاً يعتقد أنهم من بني هاجر باطلاق النار على سفينة صغيرة راسية في سيهات فقتلوا أحد بحارتها والقوا بالباقين في البحر، وقد ارسلت قوات تركية - على ما يبدو لمطاردة المعتدين لكنها لم تستطع العثور عليهم. ثم هاجمت نفس العصابة قارباً آخر ودمرته تدميراً تاماً بعد أن قتل أفرادها واحداً من بحارته، وخرج قارب تركي مسلح للبحث عن العصابة لكنه ايضاً لم يستطع العثور عليها. وفي يوليو هاجم ١٨ رجلاً من بني هاجر سفينة تابعة للقطيف في مكان قريب من العقير، وجرح واحد من البحارة، ونقل كل ما كان على ظهر السفينة كذلك ساريها نفسه وعبدان وابن عم البحار، وفي هذه الأثناء خرجت قوة تركية لمطاردة هؤلاء المعتدين لكنها لم تفعل شيئاً . وفي ٢٠ اغسطس استولى ١٦ من بني هاجر على سفينة صغيرة تابعة للطاهري وهي مكان على الساحل الإيراني وكانت محملة ببضائع خاصة بالبحرين، فنهبوها وحملوا منها بضائع قيمتها ٢٤٩٥ روبية نقلوها إلى دوحة سلوى ولم يحرك الأتراك ساكناً في هذه المرة . وفي العام التالي وبدقة أول مايو سنة ١٨٩٢م هاجم ثلاثة من البدو قارباً لدارين كان متوجهاً إلى القطيف . وفي ٢١ مايو استولى بنوهاجر على سفينتين تابعتين للقطيف، وبعد مطاردة (للقراصنة) تولاها محمد بن عبدالوهاب من أبرز وجهاء القطيف أمكن استرجاع إحدى السفينتين، وفي ١٨٩٢م وضعت سلطات القطيف قارباً به ٢٠ جندياً تركياً لحماية القوارب المسافرة بين القطيف والبحرين ... ولكن رغم هذا حدثت عمليات (قرصنة) دون ان يتلقى القائمون بها أي عقاب .

تصرفات السلطات البريطانية حيال هذه (القرصنة) .

١٨٩١- ١٨٩٢م / ١٣٠٩- ١٣١٠هـ :

وبهدف إعادة الأمن والنظام قدم الرائد تالبوت المقيم السياسي في الخليج اقتراحاً صدق عليه الرائد موكلر المقيم في بغداد وهو ان تلتمس السلطات البريطانية موافقة الحكومة العثمانية على أن تقوم الطوافات البريطانية المسلحة بعمل للقضاء على (القرصنة) في ميناء القطيف، سواء بالتعاون مع السفن التركية او مستقلة عنها. غير أن حكومة صاحبة الجلالة قررت استمرار نظام العمل البحري المنفرد الذي كان متبعاً سنة ١٨٨١م ، بحيث لم تر داعياً لطلب موافقة الحكومة التركية اومعاونتها، وكانت السلطات التركية تقدم شيئاً من التعويض عن بعض عمليات (القرصنة) ... ولكن حكومة صاحبة الجلالة قررت عدم الرجوع إلى السلطات التركية بخصوص أية تعويضات .

عمليات (قرصنة) أخرى :

وفي سبتمبر ١٨٩٣م هاجم ١٥ رجلاً من اللصوص قارباً كويتياً كان راسياً في القطيف فأصابوا أحد بحارته بجراح، وقتلوا واحداً آخر . وقد قام بعض حرس الجمارك من الأتراك بمطاردة اللصوص بلا جدوى . وفي ١٨٩٥م قام رجل عربي بمفرده [1] - كان مسافراً في قارب من القطيف إلى البحرين بصحبة " تك تشاند داس " من الوكالة الهندية المعروفة باسم " جانجارام تيكام داس " وشركاه في البحرين- قام بهجوم وحشي غادر على رفيقه المسافر الهندوكي واستطاع هذا ان ينجو بنفسه بعد أن قطعت يده واصيب بجراح أخرى خطيرة حين القى بنفسه خارج القارب . ونزل العربي بعدها إلى الشاطئ ومعه كل ما كان في القارب - ومعظمه من اللالئ - وبلغت قيمته أكثر من ٤٠ روبية . ومن التقارير لايبدو أن أية مطالبة قدمت بالتعويض أو الاعتذار عما حدث لرجل من رعايا بريطانيا .

---

(١) يبدو أن هذا الرجل العربي المشار اليه هو أحمد بن سلمان الذي اصبح لاحقاً من مشاهير (القراصنة) .

١٨٩٦م / ١٣١٤هـ:

وفي ١٨٩٦م أصبح وجود القوارب التركية المسلحة في الإحساء أكثر من ذي قبل . لكن بني هاجر رغم ذلك ارتكبوا المزيد من عمليات (القرصنة) في مياه البحرين .

تفاقم عمليات (القرصنة) ١٨٩٩– ١٩٠٠م / ١٣١٧– ١٣١٨هـ:

وفي سنة ١٨٩٩م بدأ انفجار جديد خطير (للقرصنة) على ساحل الإحساء وكان موجهاً كالمعتاد ضد سفن البحرين وهي أغنى السفن وأقلها تسليحاً في هذه المياه . وبدأت اولى هذه الأعمال في ١١ أغسطس ١٨٩٩م بالهجوم على قارب بحريني على شاطئ اللؤلؤ في المكان المعروف باسم شيكاته شمال غرب البحرين.. وكان اللصوص من بني عمير أهالي دارين بجزيرة تاروت، وتجاوزت قيمة المسروقات ١٥٠٠ روبية .

وفي العام التالي في ١٧ أغسطس ١٩٠٠م هوجم قارب بحريني آخر خارج رأس تنورة ومرة أخرى هاجمه أهل دارين، واستطاعوا أن ينهبوا منه مسروقات بلغت قيمتها ٣٩٢٤ روبية . وفي ٢ سبتمبر سنة ١٩٠٠م استولى (قراصنة) بني هاجر على سسفينة بحرينية على بعد عدة أميال فقط من مدينة المنامة، وبلغت الخسائر في هذه الحادثة ٧٣٢ روبية، وفي نفس اليوم أغار بنوهاجر أنفسهم على بعض الأعراب في جزيرة أم نعسان . وفي ٦ سبتمبر هاجم آل محمد من بني هاجر قارباً بحرينياً بالقرب من العقير، وجرح رجلان ونهبت أشياء كثيرة كان معظمها لتجار الإحساء .

مسلك الاتراك تجاه حوادث (القرصنة) في ١٨٩٩– ١٩٠٠م / ١٣١٧– ١٣١٨هـ:

وفي آخر هذه الحوادث اهتم سعيد باشا متصرف الإحساء بارسال قوات نظامية استولت على إبل هذه القبيلة وألقت القبض على شيوخها . كما دفع

تعويضات مناسبة لتجار الأحساء الذين وقعت عليهم الخسارة ... غير أنه لم يدفع شيئاً على هذا النحو لرعايا البحرين. وفي حادثتي (القرصنة) برأس تنورة وشكانة لم يتلق مواطنو البحرين الذين نهبت أموالهم سوى تعويضات جزئية فقط . وقد لفت الريطانيون – عن طريق القنصل العام في بغداد – أنظار الوالي إلى هذه الحقيقة، لكن هذا الأخير ظل يعامل رعايا البحرين بفظاظة، ورفض في النهاية مبدأ مناقشة هذا الأمر لأن البحرين تابعة لتركيا كما زعم وليس لبريطانيا .

وفي أغسطس ١٩٠١م قدمت مطالب جديدة لوالي البصرة بطلب التعويض أو العمل على وقف عمليات (القرصنة) ولكن بلا جدوى . وبقدر معلوماتنا، نستطيع القول بأن الإجراءات التي اتخذت من جانب تركيا للمحافظة على السلام في البحر ظلت كما كانت عليه في الماضي، كما درج الأتراك في حالات نادرة على إرسال قارب مسلح من القطيف إلى البحرين، يقضي عدة أيام في المنامة ثم يعود أدراجه مباشرة إلى الساحل التركي .

زيارة سفينة صاحبة الجلالة سفنكس للقطيف ١٩٠٢م / ١٣١٩هـ :

وهكذا، ولتأكيد الخطوات التي اتخذت من جانب تركيا – اذا كان ثمة مثل هذه الخطوات – سمح لسفينة صاحبة الجلالة " سفنكس " بزيارة القطيف، وتمت الزيارة بالفعل في فبراير سنة ١٩٠٢م ، غير أن النتائج لم تكن مرضية ولم يتيسر الحصول على المعلومات المطلوبة . ومن الناحية الأخرى لقي قائد السفينة البريطانية والوكيل السياسي المساعد في البحرين الذي كان يصحبه – معاملة مهينة، فقد احتجزوا في مبنى الجمارك، ثم في الميناء بعد ذلك، وبصعوبة شديدة استطاعا مقابلة القائمقام ولكن لم يسمح لهما ابداً بالدخول إلى المدينة .

(قرصنة) أحمد بن سلمان ١٩٠٢- ١٩٠٧م / ١٣١٩- ١٣٢٥هـ :

وفي سنة ١٩٠٢م بدأت سلسلة جديدة من أعمال الاضطرابات البحرية وظهر قائد جديد (للقراصنة) سرعان ما أثبت جدارته بأن يكون خلفاً لزايد بن محمد هو أحمد بن سلمان - ابن أحد أفراد الأسرة الحاكمة في البحرين من ابنة شيوخ آل محمد من بني هاجر، وكان أحمد فاراً من البحرين منذ وقت طويل عاش بعضه في قطر . لكنه الآن كان مستقراً تماماً على أرض تركية .

١٩٠٢م / ١٣١٩هـ :

ففي أوائل يوليو سنة ١٩٠٢م قام هذا الرجل بصحبة بعض رفاقه من بني هاجر بسرقة قارب من سيهات بالقرب من القطيف ونزلوا به إلى البحر بهدف (القرصنة)، لكنهم اضطروا للرجوع إلى الشاطئ نتيجة رياح معاكسة . وهناك استعادت القارب جماعة مسلحة من سيهات . وفي ٤ أغسطس نجح أحمد في سرقة قارب آخر من سنابس على جزيرة تاروت، وعبر في نفس اليوم الخليج إلى جزيرة أم نعسان بامارة البحرين حيث استطاع الاستيلاء على قارب بحريني حمولته ٢٨ طناً، وساقة بحمولته وبحارته إلى الظهران . وفي ١٢ أغسطس استخدم أحمد القارب الجديد ليستولي على سفينة بحرينية أخرى كانت في الظعائن بقطر وعاد إلى القاعدة التي اتخذها لعملياته- وهي الأن دوحة ضلوم - وقد غنم ما قيمته أكثر من ٥٤٠٠ روبية معظمها من اللالئ .وحتى هذا الوقت، ظل أحمد على علاقة ما بقطر فحتى سبتمبر سنة ١٩٠٢م كانت عائلته ماتزال تقيم في السميسمة، وقد نقل إلى هناك جانباً مما غنم في أم نعسان ... لكنه جعل أسلاب (قرصنته) الثانية على الأرض التركية وسرعان ماتبعته عائلته إلى هناك . وفي أكتوبر ١٩٠٢م - ونتيجة طلبات قدمتها السلطات البريطانية إلى والي البصرة ألقى متصرف الأحساء القبض على أحمد، وقام المتصرف - بناء على اتصال مباشر به ودون وساطة بريطانيا- برد عبدٍ حمل في (القرصنة) الثانية لمالكه في البحرين ووعد برد بقية الأسلاب .

١٩٠٣م / ١٣٢٠هـ:

وفي يوليو ١٩٠٣م جاءت الأخبار بأن أحمد بعد أن أطلق سراحه أو سمح له بالفرار كان مقيماً مع أربعة رفاق من العماير في عنك، ثم في سيهات ينتظرون فرصة سانحة لتكرار قرصنتهم . ووضعت هذه الحقيقة تحت بصر السلطات العثمانية التي اعترفت في ردها لأنها تبذل الجهود لالقاء القبض عليه، وأنه قد استطاع الهرب بطول الساحل في اتجاه الكويت، لكن هذه التأكيدات كلها انكشف كذبها حين ظهر أحمد في الأحساء وقام في ١٢ أغسطس بعملية فاشلة للاستيلاء على قارب من الدمام، وفي هذه الأثناء حاكمته محاكم الأحساء غيابياً، وحكمت عليه " بالسجن خمسة عشر عاماً " .

١٩٠٤م / ١٣٢١هـ:

ولم يسمع شيئ بعد عن أحمد حتى صيف سنة ١٩٠٤م حين ظهر في أول أغسطس يقود قارباً على ساحل القطيف بالقرب من صفوى، وبعدها بعدة أيام قام و١٤ رجلاً من رفاقه باطلاق النيران على سفينة قطرية راسية في فشت الديبل، وحملوا منها اسلاباً تبلغ قيمتها ٣٦٤٢ روبية . وكانت هذه حادثة (القرصنة) الوحيدة التي تردد فيها اسم أحمد خلال سنة ١٩٠٤م ، وظل الشاطئ التركي على حالته من فقدان الأمن، ففي ليلة ٤ ديسمبر ١٩٠٤م وثب اللصوص إلى سفينة إيرانية راسية في القطيف وقتلوا ثلاثة من بحارتها ثم حملوا معهم ما قيمته ٢٠٠٠ روبية .

وفي هذه الحادثة ألقت السلطات التركية في البداية القبض على ثلاثة من سكان جزيرة تاروت واثنين آخرين من المشتبه فيهم ... لكن الإيرانيين لم يحصلوا على أي تعويض . وبعدها بعدة أسابيع عاد الايرانيون في قارب شراعي في قوة كبيرة، وهاجموا اول قارب محلي شاهدوه - وكان تابعاً لدارين- وقتلوا ثلاثة من الرعايا الأتراك .

١٩٠٥م / ١٣٢٣هـ :

وفي ٢٥ يونيو ١٩٠٥م عاد أحمد بن سلمان – وكانت عائلته آنذاك مستقرة في عنك بالقرب من القطيف – إلى الظهور واستولى على قارب، ثم استولى على آخر في اليوم التالي، وفي هاتين العمليتين قتل رجلان وجرح آخران ونهبت أسلاب قيمتها ٣٦٠٠ روبية . وبعدها بشهر قام عشرة رجال من البدو – كانوا يزعمون أنهم من أنصار أحمد بن سلمان – بالهجوم على سفينة بين القطيف والبحرين وحملوا منها – بعد أن قتلوا صبياً وجرحوا رجلين– أسلاباً قيمتها١٠٠٠روبية، وفي أكتوبر قام ثلاثة من البدو كانوا مسافرين في قارب من الدوحة بقطر إلى البحرين– بالانقضاض على بقية الركاب ونهب أموالهم وأمتعتهم، ثم ارغموا قائد القارب على تغيير طريقه إلى الظهران بساحل الأحساء .

١٩٠٦م / ١٣٢٤هـ :

وفي أوائل يوليو ١٩٠٦م عاد أحمد بن سلمان للظهور مرة أخرى فاستولى على قاربين صغيرين تابعين للبحرين على ساحل الظهران أثناء انشغال البحارة بالبحث عن اخشاب للنيران، فاغرق أحد القاربين وركب الآخر هو وبعض رفاقه وهم عشرة رجال من بني هاجر وآل مرة، وكان معظم (القراصنة) رجالا من غير المشتغلين بالبحر، لذلك أتعبهم دوار البحر كثيراً، واضطروا لقضاء اسبوع كامل على البر بالقرب من رأس البريكات – وكان الطقس خلالها سيئاً – واستطاعوا بعدها الإبحار إلى دوحة عين السيح وفي ١٤ يوليو وقعوا على قارب من البديع كان يحمل مسافرين إلى القطيف، ولم يكن بهذا القارب سوى بندقتين فقط لكن الرجال أحسنوا إستخدامها بحيث جرحوا أحمد بن سلمان نفسه وقتلوا مساعده الأول وهو رجل من آل مرة . وأدت هذه الحادثة إلى توقف العصابة عن نشاطها طوال ذلك الموسم .

عمل السلطات البريطانية حيال (قرصنة) أحمد بن سلمان .

١٩٠٥- ١٩٠٧م / ١٣٢٣- ١٣٢٥هـ :

وفي يونيو ويوليو ١٩٠٥م خرج الكابتن ف. ب. بريدو الوكيل السياسي في البحرين في رحلتين شراعيتين استغرقت كل منها أربعة أيام للبحث عن أحمد بن سلمان صحبه فيهما حوالي ٥٠ رجلاً مسلحاً من رجال شيخ البحرين لكنه لم يستطع اكتشاف مخبأ (القرصان) . لكن كابتن بريدو عثر على عبد هارب من عبيد أحمد شهد بعينيه عملية (القرصنة) الثانية التي ارتكبها سيده، وقد أرسل إلى القطيف ليدلي بشهادته أمام السلطات التركية . ويبدو أن القائمقام التركي هناك ألقى بالشاهد في السجن لكنه أيضاً ألقى القبض على أربعة رجال من أنصار أحمد. وردت العصابة على هذا العمل (بقرصنة) ثالثة ارتكبت في يوليو . وفي سبتمبر قام كابتن بريدو بزيارة القطيف حيث التقى بالقائمقام الجديد الذي وصل مؤخراً لقاء ودياً كانت نتيجته أطلاق سراح العبد الذي كان شاهداً، ثم أعتق فيما بعد . وفي صيف سنة ١٩٠٦م حين عاد أحمد بن سلمان إلى الظهور ظل قارب بريطاني مسلح موجوداً في البحرين أو على شاطئ اللؤلؤ طوال موسم الغوص . وفي أغسطس زار هذا (القرصان) الدوحة، ورغم أن زيارته هذه تمت خلسة فيما يبدو فقد طلبت السلطات البريطانية تفسيراً لزيارته من الشيخ جاسم . ولم يتخذ أي إجراء آخر .

١٩٠٧م / ١٣٢٥هـ :

وفي يونيو ١٩٠٧م وبعد ما أشيع من أن أحمد على وشك أن يعاود أعمال (القرصنة) قامت سفينة صاحبة الجلالة " لابونج " بزيارة القطيف لكي يناقش قائدها هذا الأمر في لقاء ودي مع القائمقام، الا أن الاخير رفض الاجتماع وقوبل الضابط البريطاني ورفاقه بمعاملة بلغت من السوء ما جعل حكومة صاحبة الجلالة تتقدم باحتجاجات على ذلك إلى الباب العالي .

علاقة بريطانيا بالاحساء

١٨٧١-١٩٠٧م / ١٢٨٨-١٣٢٥هـ

العلاقات العامة والسياسية :

نبدأ الآن الحديث عن علاقات بريطانيا بالأحساء وكان معظم هذه العلاقات متعلقاً بعمليات (القرصنة) مما أشرنا اليه فيما سبق، أو بأمور البحرين وسنشير اليه فيما بعد ونكتفي هنا بالإشارة إلى أنه في سنة ١٨٨٤م كانت السفينة " مبارك " وهي سفينة تاجر هندي في البحرين راسية في ميناء القطيف فأرغمتها السلطات التركية على أن تنقل جنوداً من القطيف إلى العقير . وحين رفع ممثلو بريطانيا الأمر إلى الباب العالي دفع التعويض عن هذا العمل وقد قدر بمبلغ ٥٠ روبية .

العلاقات التجارية :

وقد سبق أن أشرنا إلى وجود جالية هندية كانت تعمل في التجارة بالقطيف قبل أن يحتلها الأتراك، وسنواصل الآن متابعة أخبار هذه الجالية .

١٨٧١-١٨٩٠م / ١٢٨٨-١٣٠٨هـ :

وباحتلال الأتراك الفعلي للأحساء وإقامة دور للجمارك والعوائد انتهت الفترة الذهبية للتجارة الخارجية وإن ظلت حالة الجالية الهندية المشتغلة بالتجارة على حالها من الازدهار عدة سنوات تالية . وقد قدر حجم التجارة بين أيدي هؤلاء التجار - حين كانوا في قمة رخائهم - بما لايقل عن ١٥ لاكاً من الروبيات كل سنة وفي المواسم التي تزدحم بالعمل كان يضاف اليهم حوالي ٦٠ تاجراً هندوكياً أيضاً تصحب سبعة منهم عائلاتهم في القطيف .

وحوالي سنة ١٨٨٠م بذل هانجام رام تيكام داس وشركاه – وهو أحد كبار التجار الهنود في البحرين – جهوداً كبيرة لتحسين حال الجالية بأن أقام وكالة قوية تكون مسئولة عن تجارة الهنود في القطيف، وتبعته في ذلك وكالة هندية أخرى .

١٨٩٠-١٨٩٧م / ١٣٠٨-١٣١٥هـ :

وأخيراً بدأت تجارة الهنود في الانهيار بسبب تعسف جامعي الضرائب والعقبات التي يقيمها أمامهم المسئولون في الميناء بايعاز من التجار المحليين ولمصلحتهم . وكانت البضائع المصدرة إلى الهند خاضعة لضريبة قدرها١٪ . فقط لكن الضريبة التي كانت تجمع بالفعل كانت تصل إلى ٨٪. وكان المفروض أن ترد نسبة ٧٪ عندما يثبت وصول هذه البضائع إلى الهند . لكن محصلي الضرائب نادراً ما كانوا يفعلون ذلك، وقد قدرت الضرائب الزائدة التي حصلت من التجار الهنود في ثلاثة المواسم المنتهية سنة ١٨٩٤م بمبلغ يتجاوز ١٩,٥٠٠ روبية، بلغت ماتمت استعادته منه – بعد طلب ممثلي بريطانيا من الباب العالي– مبلغ ٥٠١٢ روبية فقط. وكانت المضايقات الأخرى التي يشكو منها التجار الهنود تتمثل في التأخير المتعمد لوزن بضائعهم أو حجز سفنهم مدداً طويلة دون مبرر في الحجر الصحي، وكذلك في الأوامر التي كانت تجعل من المتعذر عليهم الحصول على دواب يستخدمونها في نقل بضائعهم، وفي تقصير السلطات التركية في تقديم العون لهم لاسترجاع ديونهم . وزادت الاضطرابات السياسية ومظاهر الخروج على القانون من صعوبات الموقف، وبعد الهجوم العنيف الذي شن في سنة ١٨٩٥م على بيت أحد أصحاب وكالة السادة جانجارام تيكام داس وشركاه، انسحب التجار الهنود تدريجياً من القطيف كلها، وأصبح عملهم خلال سنة ١٨٩٧م هو نصف وربما ثلث ما كان عليه . وما بقي من العمل كان يسيرسيراً سيئاً عن طريق وكلاء مسلمين من أهل البلاد .

١٩٠١-١٩٠٣م / ١٣١٨-١٣٢٠هـ :

وحاول تجار الهند البريطانية في البحرين، بما عهد عنهم من إصرار، تعزيز مركزهم في القطيف، فعرضوا، في سنة ١٩٠١م أن يسهموا بدفع مبلغ ١٢٠٠ روبية في كل سنة - لمدة خمس سنوات- في مقابل تعيين وكيل قنصلي بريطاني في القطيف . وفي نوفمبر سنة ١٩٠٣م - وبمناسبة زيارة لورد كيرزون للبحرين- جددوا طلبهم بإجاد حماية قنصلية في الأحساء، وعرضوا أن يسهموا في نفقاتها بمبلغ ٢٠٠٠ في كل سنة . وكانت ضرورة القيام بعمل إيجابي ضرورة ملحة، مادام المبلغ الذي جمع دون وجه حق من تجار الهند البريطانية قد وصل في سنة ١٩٠٣م فقط إلى أكثر من ٢٥ألف روبية . وقد تم لفت نظر الباب العالي إلى هذه الإجراءات عن طريق ممثلي بريطانيا العظمى، وتم الحصول على وعد من والي البصرة بتصحيح هذا الوضع وبرد المبالغ التي سبق تحصيلها دون حق . ونتيجة هذا الوعد، تم التخلي عن المشروع المقترح وهو الحصول على اعتراف بالوكيل السياسي في البحرين كوكيل للأحساء أيضاً، ثم تعيين وكيل أهلي تابع له في القطيف .

علاقات الأحساء الخارجية بدول أخرى غير بريطانيا العظمى ١٨٧١-١٩٠٧م / ١٢٨٨-١٣٢٥هـ

ظلت العلاقة الوثيقة بين الإحساء والبحرين بسبب اعتماد هذا الإقليم تجارياً على إمارة البحرين مستمرة بحكم الضرورة في ظل الحكم التركي . وكانت هذه الإمارة هي التي تتأثر مباشرة بأعمال (القرصنة) على الساحل التركي مما وصفناها سابقاً، وكانت الأحساء هي القاعدة - كما شرحنا ذلك في تاريخ البحرين - التي تود تركيا أن تنطلق منها لتأكيد سيطرتها على جزر البحرين .

مذبحة شيوخ البحرين وأنصارهم في الإحساء وعمل السلطات البريطانية حيال ذلك ١٩٠٠ - ١٩٠٤م / ١٣١٧ - ١٣٢١هـ :

وقد وقعت حادثة مؤسفة - لاتتصل بأي من هذه المشاكل - لكننا لانستطيع إهمالها، ففي نهاية سنة ١٩٠٠م خرج سلمان بن دعيج ابن عم عيسى بن علي شيخ البحرين للصيد بالصقور على شاطئ الظهران في الإحساء،وكان بصحبته إبناه دعيج وبشير وابن شقيق له اسمه عبدالرحمن ابن راشد، وتبع الشيوخ ٢٠خادماً وأربعة أدلاء : أحدهم من آل مرة، والثاني من العجمان والباقيان من بني هاجر، وفي الصباح الباكر ليوم ٣ ديسمبر هوجم مخيم الشيوخ إلى جوار بئر ابن عقدان على مسافة خمسة أميال من دوحة عين السيح ... هاجمته عصابة مكونة من حوالي خمسين رجلاً من بدو آل مرة التابعين لآل بحيح يقودهم راشد بن مقارح شيخ فرع آل بحيح الذي قتل ابن من ابنائه في العام السابق في عراك نشب مع العمامرة رعايا شيخ البحرين . ولم ينج من هذه الجماعة كلها سوى بشيرابن الشيخ سلمان واثنين من رجال القبائل استطاعوا النجاة من الموت، وفروا جرحى . كما قتل أيضاً رجل من دواسر البحرين كان خارجاً للصيد مع جماعة أخرى ولكن تصادف أن كان في خيمة الشيخ سلمان وقت حدوث هذه المباغتة فشاركه المصير. ومن الجانب الآخر قتل القائد راشد وابن من ابنائه كما جرح واحد أو أكثر من رجال القبائل . وحمل آل بحيح معهم فيما حملوا ثلاثين بعيراً وعشرين بندقية . وكان يبدو أن هدفهم هو النهب لا الانتقام، وكان مسلكهم هذا منافياً لكل التقاليد العربية . وقد قام محمد بن عبدالوهاب من القطيف بالسفر إلى مكان الحادثة خصيصاً للقيام بدفن الشيخ سلمان ورفاقه.

وقام القنصل البريطاني في البصرة بابلاغ النبأ مباشرة إلى والي البصرة وكان من المتوقع أن تبادر السلطات التركية لتقديم التعويض العاجل، ويبدو أن هذه السلطات في البداية كانت تقلل من شأن الانتقام من آل بحيح، وكانت أيضاً تخشى الإجراءات الانتقامية التي قد يقوم بها شيخ البحرين ضد هذه القبيلة . والحقيقة إن

خطاباتهم لشيخ البحرين كشفت عن استعدادهم لقبول قيام الشيخ بالانتقام منهم، لكن هذه السلطات بمجرد أن عرفت قدرة هذه القبيلة على الإفلات والمراوغة، وعرفت أيضاً أن السلطات البريطانية ستحول بين شيخ البحرين والقيام بعمل انتقامي مفاجئ هدأت حماستها وأصبحت تنظر للقضية ببرود واضح .

وقد تأخرت حكومة صاحبة الجلالة في تقديم مطالبها واحتجاجاتها الشديدة إلى الباب العالي بسبب شكها فيما اذا كانت سلطة تركيا تمتد جنوباً حتى مكان وقوع الحادثة، لكنها أخيراً – في أغسطس سنة ١٩٠١م قدمتها على أساس أن آل بحيح يقيمون في أرض تابعة لتركيا، وقبل أن تقع الكارثة التي وقعت للاتراك كما ذكرنا سابقاً في القفطية بالقرب من العقير في إبريل ١٩٠٢م كانت الحكومة التركية قد خضعت لمطالب بريطانيا فيما يتعلق بمذبحة الظهران حتى أنها أرسلت أوامر صريحة مشددة إلى مسئوليها المحليين لإلقاء القبض على القتلة وعقابهم . وبما أن آل بحيح قاموا أيضاً بدور بارز في مذبحة الأتراك في القفطية فقد زود هؤلاء بمبرر جديد للعمل . وزاد احتمال نجاح المفاوضات المتعلقة بقضية شيخ البحرين خاصة بعد انتصار القوات العثمانية على آل مرة في سبتمبر سنة ١٩٠٢م .

وفي نفس الوقت طلبت حكومة الهند من شيخ البحرين أن يحدد التعويض الذي يرى أنه يستحقه . وأجاب الشيخ بأن قتل ثلاثة من أقربائه لابد أن يقابل بتسليم ثلاثة في مقابلهم ودون قيد أو شرط من آل بحيح . وبالنسبة لدية الدم فانه يستحق مبلغ ٢٣,٥٢٠ روبية عن العشرين تابعاً والضيف الدوسري . أما قيمة الممتلكات التي نهبوها فتصل إلى١١,٦٢٠روبية، وقد اعترض الأتراك على هذه المطالب، من حيث نوعها وكمها كذلك، ومن المحتمل أن نجاحهم وانتصارهم على تلك القبيلة كان لايكاد يكفي لتغطية تعويضاتهم هم عن كارثة القفطية، وفي الداخل، تقدم آل بحيح – عن طريق آل ثاني شيوخ الدوحة في قطر– بطلب لشيخ البحرين لتسوية الأمور تسوية ودية، وسمحت السلطات البريطانية للشيخ باجابتهم إلى مطلبهم، غير أن آل بحيح تراجعوا أخيراً ، ولم تبدأ المفاوضات المنتظرة .

وفي سنة ١٩٠٣م حين لم تكن أية خطوات قد أتخذت من جانب السلطات التركية لتعويض شيخ البحرين عن هذه الكارثة استمرت المفاوضات دائرة حولها بين الحكومة البريطانية والباب العالي، وثبت كذب إدعاء السلطات التركية بأن هؤلاء القتلة قد لقوا حتفهم في الاشتباكات التالية مع القوات التركية . وسرعان ما وضح أن الباب العالي لايود ولايستطيع أن يقوم بأي عمل بهذا الصدد، وقررت حكومة صاحبة الجلالة الترخيص لشيخ البحرين بالثأر من آل بحيح على ألا يقوم بعمله هذا في إقليم تابع لتركيا . وأبلغ هذا القرار للباب العالي في أكتوبر سنة ١٩٠٤م ، لكن الترخيص سحب من الشيخ نظراً لسوء تصرفه في بعض الأمور الوارد تفصيلها في تاريخ البحرين .

وفي فبراير ١٩٠٥م حدث اعتداء جديد على رعايا البحرين من جانب قبيلة آل بحيح في دوحة حويقيل في بر القارة، وكان الضحايا في هذه المرة هم بحارة سفينتين صغيرتين تابعتين للحد في جزيرة المحرق نزلوا إلى البر لجمع بعض الأخشاب فهاجمتهم عصابة من ٣٥ بدوياً، وجرح عبد كان مملوكاً لهم . وفي ١٩٠٧م يبدو ان آل بحيح كانوا يعتبرون أنفسهم بسبب منع الشيخ لهم من الدخول إلى البحرين على عداء دموي لكل أهل هذه الجزر من العرب .

العلاقات بقطر وعمان المتصالحة :

وكان المتصرفون الاتراك للأحساء - بعد احتلال هذا الاقليم - هم الادوات الرئيسية في التوسع التركي باتجاه قطر وعمان المتصالحة لكن أعمالهم بهذا الصدد تتعلق بتاريخ قطر ... وهي مذكورة في مكان آخر .

العلاقات مع الكويت :

وقد أشرنا من قبل إلى استخدام الكويت أحياناً كقاعدة عمليات، وكذلك أشرنا إلى المعونة التي قدمها شيخ الكويت للأتراك في احتلال الأحساء سنة ١٨٧١، كما ذكرنا كذلك تعاون المفرزة الكويتية بقيادة الشيخ مبارك نفسه لاستعادة الاحساء سنة ١٨٩٣م ، وقرب نهاية سنة ١٨٩٩م أصدر سلطان تركيا إراده

سلطانية بمد خط برقي بين البصرة والقطيف عن طريق الكويت، ولكن لم تتخذ أية خطوات لتنفيذ هذا المشروع .

العلاقات مع نجد :

وقد أشرنا قبلا إلى المفاوضات والمحادثات التي دارت بين الأتراك في الإحساء والحكام (الوهابيين) في وسط الجزيرة بقدر ما يتعلق هذا باحتلال الأحساء، وبخطط تركيا للتوسع في نجد .

وفي ١٨٩٢م قدم الأتراك ملجأ ومرتباً لعبدالرحمن زعيم آل سعود في نجد الذي طرده ابن رشيد في وسط الجزيرة العربية .

كما كان ثمة اتصال يتم أحياناً مع إبن رشيد أمير جبل شمر. وهكذا حين هاجم ابن رشيد قبيلة العجمان في مارس ١٨٩٤م في مكان يدعى سلوى ناحية الكويت لجأت هذه القبيلة إلى السلطات التركية تطالبها بالتعويض على أساس أنها تدفع الجزية للباب العالي . وكتب متصرف الأحساء باسمهم إلى الأمير إبن الرشيد لكن هذا أجابه ببساطة بأن أهل هذه القبيلة " لصوص ... وإنه اتخذت بحقهم اجراءات تكفل سيادة النظام والقانون " وفي ١٨٩٥م شكا ابن الرشيد بأن المواصلات بين الكويت ونجد تهددها قبيلة العجمان وآل مرة وغيرهما من القبائل الخاضعة اسمياً لتركيا وطالب إما أن يقوم المتصرف باخضاع تلك القبائل أو يسمح له بالقيام بذلك، ولكن يبدو أن الرد الوحيد الذي جاءه كان هجوماً من جانب قوات المتصرف بمساعدة قبيلة العجمان على قبيلة مطير، وهي القبيلة التي كانت تعتبر دائماً تحت حماية الأمير ابن رشيد، والتي سبق أن أشرنا اليها من قبل .

وفي يوليو واغسطس ١٩٠٥م زار عبد العزيز - ابن أمير(الوهابيين) الذي أصبحت له الغلبة على ابن رشيد في وسط الجزيرة - ناحية صحراء الجافورة المجاورة لدوحة سلوى . ويبدو أن وجوده هناك رغم كونة مسئولاً تركياً اسمياً على الأقل كان محرجاً للسلطات التركية في الأحساء . لكنه استقبل الطابور التركي الغازي الذي مر لزيارته في معسكره في دعيلج بصحراء الجافورة .

الفصل الثالث

تاريخ حائل

من

١٢٢٤ إلى ١٣٢٥هـ

١٨٠٩ إلى ١٩٠٧م

تاريخ مستقل

لإمارة جبل شمر أو شمال نجد

التاريخ الخارجي لشمال نجد موجود بالتفصيل في فصل سابق .. ولكن من المفيد أن نورد هنا بعض الملاحظات الإضافية التي تتناول أساساً الشئون الداخلية لهذه الإمارة :

التاريخ المبكر لجبل شمر

علاقاتها (بالوهابيين) ١٨٠٩م / ١٢٢٤هـ :

لانعرف إلا معلومات قليلة جداً عن الأحداث في جبل شمر قبل أن تتولى حكومة أسرة آل رشيد . وربما اجتاح (الوهابيون) هذا الإقليم فاتحين قرب نهاية القرن الثامن عشر في مرحلة مبكرة من انتصاراتهم الأولى في وسط الجزيرة لأن سلطتهم كانت راسخة منذ سنة ١٨٠٩م على الأقل في الواحة الشمالية المعروفة باسم جوف الأمير حتى أن الباشا التركي في دمشق فشل في أن يجمع القوات بهدف إجلائهم عنها [أ] .

علاقاتها بالقوات المصرية ١٨١٧م / ١٢٣٢هـ :

وفي سنة ١٨١٧م قام إبراهيم باشا فيما كان في طريقة للقضاء على عاصمة (الوهابيين) بهجوم من جنحية على جبل شمر ، ولكن يبدو أن حملته هذه لم تحقق النجاح . وأنها منيت بخسارة فادحة بين القبائل العربية التي كانت تقاتل في صفوفها.

---

*[أ] كانت أول غزوه للدوله السعوديه الأولى على منطقه جبل شمر سنه ١٢٠٠هـ / ١٧٨٦م بقيادة حجيلان بن حمد الوالي على القصيم وخلال عام واحد بعد تلك الغزوه أنضم أقليم جبل شمر للدوله ، عبدالله العثيمين، تاريخ المملكه ، ص: ١٠٩- ١١٠ .

قيام آل رشيد :

وكانت العائلة ذات السيادة في جبل شمر وقتذاك هي " بيت علي " من فخذ جعفر من بطن عبده من قبيلة شمر ، وكان مقرها حائل . وحوالي سنة ١٨١٨م حين قضت القوات المصرية مؤقتاً على سلطة (الوهابيين) إستطاع شاب من فخذ جعفر من بطن خليل أن يطيح بسيادة بيت علي ، وكان هذا الشيخ الشاب هو عبد الله بن رشيد مؤسس حكم آل رشيد الذي نجح في أن يكسب إلى صفه معظم أهل حائل ، لكن أهل مدينة قفار المجاورة التي لم تكن في ذلك الوقت تقل عن حائل من حيث مصادرها وعدد سكانها ظلت مناصرة لأعدائه ومعارضيه.

مغامرات عبد الله بن علي ١٨١٩- ١٨٣٤م / ١٢٣٤- ١٢٤٩هـ:

وأرغم عبد الله بن علي بن رشيد إثر خلاف دب في حائل على الهرب من البلاد متخذاً طريق جوف الأمير إلى الشام ، لكن جماعة من قبيلة عنزة هاجمته هو وأصحابه وراء جوف الأمير . وجرح هو جراحاً خطيرة حتى أن المهاجمين إعتقدوا أنه من القتلى ، لكن تاجراً مر بالطريق بعد ذلك حمله إلى دمشق حيث عولج بها وشفي من جراحاته .

وبعدها وضع عبد الله نفسه في خدمة (الوهابيين) . ويبدو أنه قام بدور هام في حملتهم الناجحة على بني خالد في الأحساء سنة ١٨٣٠م . وفي سنة ١٨٣٤م كان عبد الله مايزال في الأحساء يعاون فيصل بن تركي أمير (الوهابيين) في صد هجمات شيخ البحرين على هذا الإقليم . وحين اغتيل أمير (الوهابيين) في الرياض في نفس السنة كان أحد الذين عاونوا فيصل في استعادة الرياض وتولي إمارة (الوهابيين) ، بل إن عبدالله بنفسه هو الذي قتل المتمرد مشاري في الرياض .

عبد الله بن علي بن رشيد

١٨٣٥ - ١٨٤٧م / ١٢٥٠- ١٢٦٤هـ

الأمير (الوهابي) يعين عبد الله بن علي محافظاً لجبل شمر ١٨٣٥ م/ ١٢٥٠هـ:

ولم يكد فيصل يتولى عرش أسلافه في الرياض حتى بادر إلى مكافأة مساعده المخلص عبد الله بأن جعله حاكماً على جبل شمر ، وجعل لقبه محفوظ[١] ، وفوضه في إخضاع تلك الفرق الجنوبية من قبيلة عنزة الكبيرة ، وأمده في نفس الوقت بالمال والرجال . وكانت المهمة الأولى لعبد الله على أية حال هي التغلب على بيت علي ، وبسرعة طردهم من حائل إلى قفار ، ومن هذه تولى شقيقه عبيد طردهم أيضاً .

عبد الله يفتح حيات وجوف الأمير:

وأخيراً لجأ أهل بيت علي إلى القصيم ، حيث كان لهم كثير من الأنصار بين الأهالي. وطلب عبد الله مزيداً من عون أمير (الوهابيين) فقدم له العون بشرط أن تصبح أية أرض جديدة يفتحها تابعة لولايته هو ، بل تابعة مباشرة لحكم الرياض . وبهذه المعونة إستطاع عبد الله أن يجتاح القصيم ويستولي على قراه واحدة بعد الأخرى ، وكاد أن يبيد خصومه من بيت علي ، وأخيراً سلم هذه الأرض الجديدة حسب شروط تعاهدية لأمير (الوهابيين)[٢] . وقد أصاب عبد الله بعض النجاح في مهمته المتعلقة بقبيلة عنزة حين حرمهم من واحة حيات في الغرب . وهي أكثر الأماكن غِنى بالمياه . كما أنه بدهاء شقيقه عبيد الذي أرسله

---

(١) ربما كانت الكلمة الحقيقة هنا " محافظ .. " لا " محفوظ .. " لأنها هي التي تعني المعنى المراد بها .. لكنها هكذا وردت في الأصل .

(٢) ربما إستطعنا أن نستبعد هذه التفاصيل التي سبقت ونصفها بأنها غير تاريخية ، لكنها تعتمد فقط على روايات جمعها بالجريف بعد حدوثها بخمسة وعشرين عاماً ، وهي لاتتفق مع الرواية التي يذكرها (واليه) وهو أكثر دقة وأقدم عهداً . ويؤكد (واليه) على أي حال خدمات عبد الله في الأحساء ودوره في القضاء على مشاري .

إلى الواحة الشمالية في جوف الأمير كي يوجد بها الإنقسام إستطاع فرض سيطرته على المنطقة .

سياسة عبد الله في الداخل :

وكانت سياسة عبد الله في الداخل توصف بأنها لم تكن محبوبة من معظم رعاياه ، فقد أعلن أن (الوهابية) هي مذهب دولته [أ] ، وشجع الدعاة والمعلمين من (الوهابيين) ، كما كان يميل إلى محاباة قبائل البدو واستغلالها في كسر شوكة المدن والقرى . وهو أسلوب اضطر أبناؤه من بعده بالضرورة إلى انتهاج عكسه تماماً . وقد بدأ قبل نهاية حكمه يبني مقراً جديداً في حائل خصصه لإقامته هو وذوي قرباه.

علاقة عبد الله (بالوهابيين) :

ويبدو أن عبد الله قد ظل حتى نهاية أيامه مخلصاً وقانعاً بأن يكون تابعاً للأمير (الوهابي) فيصل ، فقدم له المساعدة سنة ١٨٤٣م - بعد عودته من مصر - ليستعيد سلطته في نجد . ويبدو أن الأمير لم يكن يأخذ منه جزية سوى هدية سنوية من الخيول .

علاقته بالقوات المصرية :

وربما لم يكن عبد الله على علاقة ودية بالمصريين فقد قيل إن حادثة الفرقة المصرية التي ضاعت في صحراء النفوذ حتى مات أفرادها جميعاً من الجوع والعطش - ومحتمل أنها إحدى الفرق التي كانت منسحبة من نجد سنة ١٨٤٠م - قيل أن هذه الحادثة لم تكن عارضة لكنها كانت مدبرة بإحكام من جانب المحافظ بواسطة شقيقه عبيد . ومن المعتقد أن السويدي المدعو جورج أوغسطس ويليم الذي زار حائل سنة ١٨٤٥م ثم سنة ١٨٤٨م بعد وفاة عبد الله بسنة واحدة .

---

* [أ] لايوجد مذهب وهابي كما يخيل لهذا الكاتب ومنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومذهبه هو مذهب أهل السنة والجماعة وعلى مذهب الإمام أحمد بن حبل .

إنما كان موفداً من قبل محمد علي باشا مصر ليتعرف على القوة السياسية الناشئة في جبل شمر ، بل ربما كان مكلفاً بهدف سياسي أكثر تحديداً .

طلال بن عبد الله

١٨٤٧ - ١٨٦٨م / ١٢٦٣- ١٢٨٥هـ

وترك عبد الله أبناء ثلاثة هم طلال ومتعب ومحمد ، وكان أكبرهم طلال في العشرين من عمره حين مات أبوه . ولم يعارض أحد تولي طلال الإمارة وقد أفاد كثيراً من تأييد عمه المخلص عبيد وشقيقه متعب . وعلى عهده إستمرت حدود جبل شمر في الإمتداد والتوسع ، وقام بحملة من حملاته الأولى عبر خيبر فخضعت له وأرسل حاكماً لها من حائل . وحوالي سنة ١٨٤٨م / ١٢٦٥هـ إنتهت مفاوضات سرية بإعلان من أهل القصيم ولاءهم المباشر لحائل بدلاً من الرياض ، ففي حائل إعتاد أهل القصيم الفارون من طغيان (الوهابيين) أن يجدوا ملجأهم ، واضطر الأمير (الوهابي) إلى القبول بهذا الوضع على مضض بعض الوقت [أ] ، ونجحت عملياته العسكرية على تيماء أيضاً ـ وكان يقودها بنفسه ـ واستطاع بالتالي أن يوسع حدود إمارته من ناحية الغرب . وأكمل في سنة ١٨٥٥م / ١٢٧٢هـ العمل الذي بدأ على عهد أبيه في جوف الأمير فأخضع هذه الواحة له وجعل عليها حاكماً من حائل يساعده ثلاثة حكام محليين عينهم بنفسه .

سياسة طلال في الداخل :

وكانت السياسة الداخلية التي انتهجها طلال سياسة تقدمية وسلمية وكان معظم إعتماده على أهل المدن ، ووضع نصب عينيه أن يقلص نفوذ البدو الذين رفع أبوه من شأنهم كثيراً . وكان الناس في عهده آمنين على أرواحهم وممتلكاتهم

*(أ) أعتاد أي نظام سياسي أن يرسل حملة تأديبية لمن يخرج عن طاعته ولهذا لا يمكن أن نوافق الكاتب هنا ونسمي ذلك طغياناً لأنه لو لم يكن هناك خروج عن النظام لما كان هناك تأديب .

في الطريق وفي القرى . وكانت سعادته القصوى تتمثل في بناء القصور والأسواق والمتاجر وشق الطرق وإقامة الحصون والقلاع ، ـ ولم يكن طلال (وهابياً) مخلصاً ـ كما فتح طلال أبواب إمارته للتجار الأغراب ، فاجتلب بعض التجار الشيعة من البصرة ومشهد علي ، وجاء أيضاً بتجار من المدينة واليمن ، ويقال أيضاً إنه حاول إغراء بعض اليهود والمسيحيين للإقامة في حائل لكنه فشل .

علاقة طلال بكل من (الوهابيين) والمصريين وتركيا وإيران :

ورغم الحماية التي كان طلال يسبغها على اللاجئين والمتمردين على (الوهابيين) من أهل القصيم ، ورغم أن عاداته المنافية للدين كارتداء الحرير وتدخين التبغ كانت تثير حفيظة (الوهابيين) ، فإن علاقته بسادته في الرياض ظلت ودية كما هي ، وكان طلال قد تزوج مؤخراً بابنة الأمير فيصل صديق أبيه ، وظل يقوم بزيارته السنوية للرياض حيث يقدم الهدايا المعتادة من الخيول بنفسه للأمير ، واعترف طلال في نفس الوقت بسيادة الباب العالي ، وأمر بالدعاء للسلطان في صلوات الجمع بمساجد حائل . وزعم أن فتوحاته كلها باسم السلطان ولأجل المصالح العثمانية ، وهذا الموقف الذي كان طلال مرغماً عليه إلى حدٍ ما نتيجة زيادة الإحتكاك بالأتراك في الغرب والشمال ، كان إشارة هامة إلى المصير الذي ستلقاه أسرة آل رشيد فيما بعد . فعلى حين أنه كان حريصاً على عدم توريط نفسه في مخطط عباس الأول والي مصر الذي كان يظن أن بوسعه ، إذا تحالف مع البدو في الشمال وتفاهم مع (الوهابيين) في الجنوب ، أن يعلن إستقلاله عن الباب العالي وسيادته على شبه جزيرة العرب . فقد ظل طلال على علاقة ودية بهذا الباشا وبخلفه سعيد . لكنه كان يعرف من الوهلة الأولى أن أياً منهما أضعف من أن يقدم له أية حماية ضد إعتداءات (الوهابيين) أو الأتراك . كما كان لطلال علاقة وثيقة بعض الشيء بإيران ، وذلك أساساً على أمل أن يتحقق مشروع من أهم مشروعاته وهو تحويل طريق الحج والتجارة الذي يمر ببريدة في القصيم إلى المرور بحائل .

موت طلال ١٨٦٧ / ١٢٨٤هـ :

وأثناء عودته من إحدى زياراته السنوية للرياض . سقط طلال مريضاً بعلة خطيرة ، وخشي أن يفقد قواه العقلية ، ولعله فقدها بالفعل ، فانتحر بأن أطلق على نفسه الرصاص سنة ١٨٦٧م .

متعب بن عبد الله

١٨٦٧ -١٨٧١م / ١٢٨٤ - ١٢٨٨هـ

موت عبيد ١٨٦٩ م / ١٢٨٦هـ :

وترك طلال عمه عبيد وإخوته متعباً ومحمداً وعدداً من الأبناء أكبرهم بندر سنة ١٨٥٠ . ووقع الإختيار على متعب الذي تميزت فترة حكمه القصيره وهي أربع سنوات فقط بنهايتها المؤسفة وبموت العم العجوز عبيد بعد أن تقدمت به السن كثيراً في سنة ١٨٦٩م . وكان عبيد (وهابياً) مخلصاً ، ولكنه رغم ذلك ، ورغم طبعه الحاد فقد كان محبوباً إلى أبعد الحدود ، كما كان مشهوداً له بالقدرة والنفوذ حتى إن أحد المصادر يذكر أنه كان الحاكم الفعلي لإمارة جبل شمر منذ موت شقيقه عبدالله وترك عبيد بعده ستة أبناء . وخلف لهم إرثاً ضخماً من الأراضي بحائل ، والنخيل في جوف الأمير ، ونصف العائد من حيات . لكن أكبر أبنائه أصيب بالجنون ـ وهو المرض الوراثي في العائلة ـ كذلك ظهرت إمارات مختلفة من الشذوذ والإنحلال على أبنائه الباقين جميعاً عدا حمود الذي سيتردد كثيراً فيما بعد .

إغتيال متعب ١٨٧١ م / ١٢٨٨هـ :

وكان متعب رجلاً معتدلاً وذكياً ، لكن دماثة خلقه لم تتجه من مطامع بندر وبدار ابني شقيقه طلال [أ] ، فاغتالاه في سنة ١٨٧١م على وجه التقريب ، وربما في خلال حكم متعب ، وجد الأمير (الوهابي) عبد الله بن فيصل الذي طرده أخوه سعود من الرياض ملجأ في جبل شمر لأول مرة .

بندر بن طلال

١٨٧١ -١٨٧٢م/ ١٢٨٨ - ١٢٨٩هـ

وبعد أن إغتصب بندر إمارة جبل شمر ، تزوج بالأرملة الصغيرة التي تركها عمه القتيل ، وولدت له إبناً هو عسار ويبدو أنه غضب السماء كان يلاحقه لذلك ، فعصفت الكوليرا بالبلاد في ذلك اليوم ثم فقد عرشه وحياته أيضاً قبل أن تنقضي على ذلك سنة واحدة . ولجأ محمد ـ الأخ الوحيد الباقي على قيد الحياة لمتعب ـ إلى الرياض حيث عاش هناك زمناً قصيراً في حماية ابن سعود . لكنه عاد أخيراً إلى حائل بعد وساطة (الوهابيين) ، وظل هناك يؤدي العمل الذي كان يؤديه وهو الإشراف على طريق الحج من بغداد لمكة تحت حكم ابن أخيه الأمير . ولم يتأخر الصدام بين هذين الغريمين طويلاً . وفي مشاجرة وقعت خارج أبواب حائل كان واضحاً أنها لم تكن مدبرة من قبل محمد . وفي وجود بدر وحمود الذين صحبا بندر إلى هذا اللقاء طعن محمد بندراً طعنة قاتلة ، وفر بدر وانحاز حمود

*[أ] عدد ضاري بن فهيد الرشيد أبناء طلال فذكر أن خلفه هم بندر وهو أكبرهم وبدر وسلطان ومصلط ونايف وعبدالله ونهار ولهذا فبدار الذي ورد هنا ليس إلا بدر .أنظر نبذه تاريخية عن نجد أملاها الأمير ضاري الرشيد وكتبها وديع البستاني ص ١٠٤ .

إلى جانب محمد الذي كان من الواضح أنه يناصره من البداية ، أما أهل حائل فقد ظلوا سلبيين كأن الأمر لايعنيهم في شيء .

محمد بن عبد الله

١٨٧٢ - ١٨٩٧م / ١٢٨٩ - ١٣١٥هـ

التاريخ العام لجبل شمر أثناء حكم محمد بن عبد الله

١٨٧٢ - ١٨٩٧م / ١٢٨٩- ١٣١٥هـ

تولي محمد ومقتل أبناء طلال ١٨٧٢ م / ١٢٨٩هـ :

وهكذا انتقلت السلطة إلى محمد الإبن الثالث الباقي على قيد الحياة من أبناء عبد الله أول محافظ لجبل شمر ، وشاء الله ألا تنتقل السلطة إلى جيل قبل أن يفنى الجيل الذي قبله . وكان أول ماعمله محمد فعلاً يدل على تعطشه للدم ، فباستثناء عسار الطفل الصغير ابن بندر ونايف ابن طلال أمر بقتل أبناء طلال من الذكور بمن فيهم بدر الذي ألقي القبض عليه ، كما قتل عبيدهم الذين كانوا معهم وعدداً كبيراً آخر من الرجال الذين يخشى منهم ، وبينهم حسبما تقول الروايات أربعة أبناء لأخت محمد من زوجها جبر أمر بقتلهم جميعاً يوم توليه الإمارة .

إستقبال الأمير (الوهابي) السابق ١٨٧٣ م/ ١٢٩٠هـ :

وفي سنة ١٨٧٥م طرد الأمير (الوهابي) عبد الله بن فيصل مرة أخرى من الرياض على يد شقيقه فالتمس اللجوء في إقليم شمر ، لكن محمداً ـ رغم انه أجاب كل مطالبه وأمن له كل احتياجاته ـ رفض السماح له بالإقتراب من حائل ، وتزوج عبد الله بنورا أخت محمد المحببة إليه ، وبعد موتها تزوج.بابنة من بنات عبيد ، وهكذا ارتبط بأسرة آل رشيد برباط مضاعف من المصاهرة .

فتح نجد الجنوبية على يد أمير شمر

١٨٧٧ - ١٨٩١م / ١٢٩٤- ١٣٠٨هـ

إنتهى في هذه الفترة الصراع الذي بدأ منذ مدة للسيطرة المطلقة على نجد ، والذي ذكرناه بالتفصيل في الفصل السابق بانتصار محمد ، وسنذكر فقط الحقائق التي تجعل روايتنا للأحداث هنا متماسكة دون ثغرات .

الإنتقاص الأول من أملاك (الوهابيين) ١٨٧٧ - ١٨٨٤م / ١٢٩٤ - ١٣٠١هـ :

في ١٨٧٧م أغار ابن رشيد على قبيلة عتيبة التي يفترض أنها كانت خاضعة للرياض ، وبعدها اقتطع إقليم سدير وجزءاً من القصيم من أملاك (الوهابيين) ، وتأكد استيلاؤه على هذه الأقاليم التي فتحها باتفاقية قصيرة الأجل عقدت مع (الوهابيين) في سنة ١٨٨٢م . وفي سنة ١٨٨٨م فشلت محاولة (الوهابيين) لاستعادة إقليم سدير ، وكان استرجاعهم لبريدة على يد القائد (الوهابي) محمد بن سعود في سنة ١٨٨٥ م / ١٣٠٢هـ مؤقتاً فقط . ومنذ سنة ١٨٨٤م فصاعداً أصبحت الغلبة في ميدان القتال من نصيب أمير شمر .

القضاء الكامل على الدولة (الوهابية) وإخضاع القصيم ١٨٩١م / ١٣٠٩هـ :

وفي سنة ١٨٨٧م / ١٣٠٥هـ إنتهز محمد فرصة وجود إنقسام عائلي في الرياض ليستولي على عاصمة (الوهابيين) وليحمل معه الأمير عبد الله حيث أبقاه مدة عامين سجيناً في حائل [أ] ، وجعل على الرياض حاكماً من شمر . وفي سنة ١٨٨٨م / ١٣٠٥هـ لقي محمد بن سعود ، اكثر أعضاء أسرة آل سعود عملاً ونشاطاً مصرعه في الخرج مع شقيقين له . وفي سنة ١٨٩٠م / ١٣٠٨هـ نجح عبد الرحمن ــ الأخ الأصغر للأمير (الوهابي) السابق ـ في استعادة الرياض ،

* [أ] لم أعثر في المصادر المحلية على ما يؤيد ما أورده هذا المصدر من سجن الإمام عبدالله بن فيصل في حائل ولكن قد يكون بقائه لدى آل رشيد تحت الإقامة الجبرية بعد أن عين على الرياض سالم السبهان والياً – أنظر إبراهيم جمعه – الأطلس ، ص: ١٢٨ .

وحاول محمد إسترجاع المدينة بضربها بالمدافع لكنه فشل . وفي نهاية نفس السنة تقريباً تكونت جبهة متحالفة ضد ابن رشيد من (الوهابيين) وأهل القصيم وعدد من قبائل البدو ، وفي مارس أو إبريل سنة ١٨٩١م إستطاع أمير شمر أن يقضي على هذا التحالف بعد المعركة الشهيرة التي تعرف بمعركة بريدة أو المليداء . ثم وقعت عنيزة - التي ظلت حتى ذلك الحين تقاوم عمليات ابن رشيد ضدها صامدة لقصفها بنيران المدافع – بين يدي الأمير المنتصر ، ودمرت مدينة الرياض ، وسادت سلطة محمد بن عبد الله مطلقة على وسط الجزيرة كلها وظلت هكذا حتى نهاية حياته .

علاقة محمد بن عبد ا لله بالأتراك

١٨٧٢ – ١٨٩٧م / ١٢٨٩ – ١٣١٥هـ

محاولة تركية لإقامة موقع تركي في جوف الأمير .

١٨٧٢ – ١٨٧٤م/ ١٢٨٩– ١٢٩١هـ :

في سنة ١٨٧٢م وعقب تولي محمد إمارة شمر مباشرة ، هاجمت قوة تركية صغيرة تضم عدد من الجنود السوريين والمغاربة غير النظاميين مدينة جوف الأمير في أقصى الشمال من معان ، واستطاعت الإستيلاء عليها دون مقاومة ، وسارع الأمير إلى المدينة ودخل في مفاوضات مع قائد القوة التركية ، وتم الإتفاق أخيراً على أن تبقى جوف الأمير تابعة لإقليم شمر بشرط أن يدفع ابن

رشيد عنها جزية سنوية قدرها ١٥٠٠ مجيدي للسلطان ،وأن يقبل وجود قائمقام تركي وحامية عسكرية فيها.

وفي سنة ١٨٧٤م تمرد الجنود المغاربة الذين يشكلون الحامية في جوف الأمير لعدم تسلم رواتبهم فسلموا المكان لابن رشيد الذي ضمه مرة أخرى إلى حكمه المباشر ، وجعل معظم جنود الحامية من رجال حرسه الخاص ، وكان محمد يهتم بمدينة جوف الأمير إهتماماً خاصاً فقد جرحت قدمه أثناء محاولة الإستيلاء عليها للمرة الأولى خلال حكم أخيه طلال .

الأمير يغزو حدود سوريا ١٨٨٠ م / ١٢٩٨هـ :

وفي سنة ١٨٨٠م إقتحم محمد إقليم حوران متوغلاً حتى بصرى على بعد سبعين ميلاً فقط من دمشق ، وكانت نتيجة هذه الغزوة إعادة الإتفاق مع القبائل الجنوبية واحتفل محمد بتوقيع هذه الإتفاقية إحتفالاً كبيراً .

علاقات وثيقة بتركيا، واحتكاك منقطع على حدود الأحساء .

١٨٨٥ – ١٨٩٧م / ١٣٠٢ – ١٣١٥هـ :

ويبدو أن علاقة الأمير محمد قرب نهاية حكمه قد أصبحت أكثر تقارباً وأكثر مباشرة بجيرانه الأتراك ، وربما كان نتيجة الإهتمام المتزايد به من جانب الأتراك الذين حاولوا دون شك الإستفادة من قوة ابن رشيد المتزايدة وتوسعه المطرد في وسط الجزيرة . وفي سنة ١٨٨٦ م/ ١٣٠٣هـ وبعد أن تم تمهيد الطريق بإرسال الهدايا في العام الأسبق جاءت بعثة تركية لزيارة حائل ، ولتحصل على موافقة الأمير بإقامة مسجد ومدرسة تابعين للحكومة العثمانية فيها . وقد رد الأمير أفراد البعثة محملين بالهدايا لكنه لم يجبهم إلى ماطلبوه منه . وفي ١٨٨٨م حين بدأ نجاح ابن رشيد في نجد الجنوبية يلفت النظر حرص على أن يبلغ

إنتصاراته للسلطان أولاً بأول ، مع زعمه أنه يقوم بهذه الفتوحات باسم المصالح التركية ، وفي نفس السنة وردت أخبار بأن ابن رشيد يعتزم غزو عمان المتصالحة بتأييد من الحكومة التركية ولكن ثبت أنها شائعات لاتقوم على أساس ، وقد أنكر الباب العالي وجود أية خطط على هذا المستوى .

وكما ذكرنا في تاريخ الأحساء ، كانت تقع إحتكاكات أحياناً نتيجة المشكلات القبلية والإغارات المتبادلة بين أمير شمر والسلطات التركية في الأحساء.

حكومة محمد بن عبد الله وشخصيته ، ثم موته

قمع مقاومة قبائل البدو على يد الأمير محمد :

في كل سنة تقريباً طوال حكم الأمير محمد كان لابد أن يقوم بغزوة لإحدى قبائل البدو المتمردة ، وقد عانت من سطوته قبائل عنزة وعتيبة ومطير كل بدورها وفي إبريل ١٨٨٥م – وانتقاماً لبعض المظالم التي أوقعت بعدد من رعاياه ـ أغار ابن رشيد بالفعل على معسكر لقبيلة العجمان ونهبه بعيداً عن عاصمته هناك قريباً من الخليج عند عودته في وادي المياه ، غير أن العجمان نجحت ـ بمطاردتها لحملة ابن رشيد ـ أن تسترد بعض الخيول التي استولى عليها . وقد أشرنا بالفعل إلى المشكلات والمصاعب التي واجهت الأمير في ١٨٩٤م و ١٨٩٥م من القبائل العربية على حدود الأحساء .

خلق الأمير محمد وشخصيته :

ويبدو ان تاريخ أعمال محمد بن رشيد يثبت أنه رجلاً ذا طاقة وقدرة غير عاديتين ، لكن كثيراً من الفضل يرجع دون شك إلى التأييد والتعضيد الذين كان يلقاهما من ابن عمه حمود بن عبيد . وقد تركت شخصية هذا الرجل في الزوار الأوروبيين الذين زاروا حائل إنطباعاً أعمق من شخصية الأمير نفسه . فخلال حكم

محمد زار نجد الشمالية كل من السيد و.س. والسيدة " آن " كذلك الفرنسي " س. هيوبر " و " س. م. دوتي " الذي كان بلا شك أعظم مكتشفي وسط الجزيرة وأكثرهم دقة وتفهماً .

وكان محمد أقرب إلى القصر منه إلى الطول ، لكنه كان قوياً متين البنيان، وكانت لحيته مهذبة على الطريقة التي نسميها الأسبانية .

تاريخه الشخصي وموته في ١٨٩٧م / ١٣١٥هـ :

وقد تزوج الأمير محمد مرات كثيرة ، لكن أكثر ذلك كان لإعتبارات سياسية فقد إرتبط مثلاً بالأسرة الحاكمة في بريدة بزواجه بشقيقة حسن بن مهنا لكن هدفه الأول بلاشك كان تكوين أسرة كبيرة له ، غير أنه لم يستطع تحقيق هذا الأمل ومات بلاأبناء في سنة ١٨٩٧م وهو مصير ربطت الخرافة الشعبية بينه وبين تلك القسوة التي ذبح بها أبناء أخيه طلال [أ] .

عبد العزيز بن متعب

١٨٩٧ - ١٩٠٦ م/ ١٣١٥- ١٣٢٤هـ

وضع عبد العزيز في بداية حكمه :

كان عبد العزيز هو أقرب الشبان إلى قلب الأمير السابق ، وهو ابن أخيه القتيل متعب ، فتولى إمارة شمر عقب وفاة عمه ، ولانعرف شيئاً عن موقف حمود وأبنائه من هذا الحدث ، وكان عسار بن بندر قد لقي حتفه من قبل . وكان وضع عبد العزيز صعباً في البداية بالنظر إلى إتساع الإقاليم التي كان عليه أن يحكمها وقلة مواردها المالية في نفس الوقت ، ويبدو أنه قد زاد هذه الصعوبات بظلم

---

*(أ) ذكر إبراهيم بن عيسى في تاريخ بعض الحوادث ص: ١٩٩ وفاته في ليلة الأحد ثالث رجب ١٣١٥هـ .

الرعايا البعيدين الذين كان يشك في ولائهم ، ويتجاهل ابن عم أبيه الرجل ذي النفوذ حمود ، وبمعاداة الشيخ مبارك شيخ الكويت . وكان النزاع مع الكويت قد بدأ بخلاف حول ولاء القبائل . وزادت من حدته المعونات التى قدمها أمير شمر لبعض أبناء إخوة شيخ الكويت المتمردين عليه والمقيمين فى حائل . وكان هذا النزاع يلحق الضرر بشكل خاص بمصالح عبد العزيز الذى كان يعول كثيراً على شخصية الشيخ مبارك المرموقة ونفوذه الواسع وخدماته . كما أن إغلاق ميناء الكويت فى وجه ابن رشيد جعل اعتماده كله قائماً على جيرانه الأتراك ، غير الموثوق بهم للحصول على السلاح والعتاد والذخائر . وكانت نتيجة ذلك أن ضاعت خلال عدة سنوات كل نجد الجنوبية والقصيم ، وخضع ابن رشيد نفسه مرغماً للإعتماد المطلق على الباب العالى .

إنحلال سلطة أميرشمر تدريجياً على يد (الوهابيين)

١٨٩٩ - ١٩٠٦ م/ ١٣١٧ - ١٣٢٤ هـ

وفى ١٨٩٩م ، وبتحريض على مايبدو من جانب الأتراك ، نهج ابن رشيد منهج التهديد إزاء شيخ الكويت . وفى العام التالى بدأت الحرب السافرة بين أمير شمر وعبدالرحمن زعيم الاسرة (الوهابية) الحاكمة الذي ظل فترة طويلة لاجئاً عند شيخ الكويت ، وغدا الآن يحصل منه على المساعدات بصورة علنية .

شيخ الكويت يغزو القصيم (والوهابيون) يعيدون فتح نجد الجنوبية .

١٩٠٠ - ١٩٠٣م / ١٣١٨- ١٣٢١هـ:

إن سير حملة (الوهابيين) ضد جنوب نجد موجود بالتفصيل في الفصل الخاص بتاريخ تلك البلاد . وهنا يكفي فقط أن نشير إلى أهم أحداثها . في أغسطس ١٩٠٠م ترك الزعيم (الوهابي) الكويت إلى الداخل وأصاب شيئاً من النجاح ، وبعدها بشهرين أو ثلاثة إستطاع الأتراك بجهد شديد بعد ان كان ابن رشيد قد طلب

عونهم أن يحولوا دون حدوث المعركة بين قوات ابن رشيد وقوات شيخ الكويت على حدود العراق . وفي أوائل سنة ١٩٠١م تقدم شيخ الكويت داخل القصيم يصحبه عبد الرحمن بن سعود ، ووضح ان وضع ابن رشيد أصبح غاية في الدقة والحرج ، لكنه إستطاع في ١٧ مارس أن يوقع هزيمة ساحقة بالغزاة في معركة الصريف . وقتل من قوات ابن رشيد سالم ومهنا ابنا حمود بن عبيد . وفي خريف السنة نفسها بادر ابن رشيد إلى مهاجمة الكويت التي سادها الفزع في شهر سبتمبر لإغارة أنصاره على ضواحيها . ومن نوفمبر ١٩٠١م إلى يناير ١٩٠٢م ثار القلق بعد تحرك ابن رشيد إلى صفوان بالقرب من البصرة حيث ظل بها على تراسل منتظم مع المسئولين الأتراك وقد توقع الجميع هجوماً على الكويت . واتخذت السلطات البحرية البريطانية كل الإجراءات الممكنة للدفاع عن شيخ الكويت ضد أي عدوان يتعرض له ، وفي النهاية رجع ابن رشيد إلى بلده مرة أخرى عن طريق آبار لينة .

وفي الوقت الذي تقدم فيه ابن رشيد إلى صفوان إستعاد ابن سعود الرياض وإقليمي الخرج وحريق ، واستنجد ابن رشيد بالوالي التركي في البصرة وبالصدر الأعظم في القسطنطينية ، وأرغمهما على معاونته زاعماً أن الحكومة البريطانية تؤيد المعارضين وتقدم لهم المساعدات . وقد أصبح إقليم القصيم الآن مؤيداً (للوهابيين) بشكل عام ، وفي نوفمبر سنة ١٩٠٢م ـ وبعد ان قام ابن رشيد بمحاولة لغزو نجد الجنوبية ـ منى أمير شمر بخسارة كبيرة ، فقد ضاع منه إقليم الخرج كله، باستثناء سدير ووشم ووادي السر. وفي بداية ١٩٠٣م كان أمير شمر مازال يسيطر على الزلفي في سدير ، ولكن في نهاية السنة كان (الوهابيون) قد إستردوا المدينة[أ] وفي فبراير سنة ١٩٠٤ ـ وبعد هزيمة قوات شمر في وادي السر ـ كان (الوهابيون) قد إسترجعوا نجداً الجنوبية كلها .

*(أ) المراد بالمدينة هنا مدينة الزلفي .

(الوهابيون) يستعيدون القصيم ١٩٠٤م/ ١٣٢٢هـ :

وواصل (الوهابيون) إنتصاراتهم بالتقدم مباشرة إلى القصيم ، وفي ٢٢ مارس سنة ١٩٠٤م حدثت معركة حاسمة خارج أسوار عنيزة هزمت فيها قوات شمر التي كان يقودها ماجد بن حمود . وتكبدت خسائر كثيرة من بينها عبيد بن حمود شقيق القائد . وبهذه الهزيمة ضاع القصيم كله من ابن رشيد .

هزيمة الأتراك وابن رشيد في القصيم ١٩٠٤ م/ ١٣٢٢ هـ :

وأرسل الأتراك بعدئذ قوات من العراق لمساعدة ابن رشيد في استعادة القصيم ، لكن القوات المتحالفة هزمت في موقعتين حاسمتين : الأولى في بكيرية بتاريخ ١٥ يوليو ، والثانية في قصر ابن عقيل في ٢٧ سبتمبر. وتراجع مابقي من القوات التركية إلى الكهفه .

الإحتلال التركي للقصيم والتمرد في الداخل على ابن رشيد .

١٩٠٥ - ١٩٠٦م / ١٣٢٣- ١٣٢٤هـ :

وفي إبريل سنة ١٩٠٥م ومن جرَاء التسوية التي عقدها الباب العالي مع ابن سعود ، قامت قوات تركية بعضها جاء من العراق وبعضها من الحجاز باحتلال القصيم دون مقاومة . وتمت المهزلة حين وضعت القصيم تحت إدارة إسمية تابعة لتركيا . وفي يونيو ١٩٠٥م تمرد سلطان بن حمود بن عبيد على سلطة قريبه أمير شمر ، وواضح أنه إستطاع الإستقلال بجوف الأمير في أقصى الشمال بموافقة أهلها وأهل القبائل المجاورة لها ، كما شكا من ابن رشيد إلى سلطان تركيا دون جدوى .

موت الأمير عبد العزيز بن متعب ١١ إبريل ١٩٠٦م / صفر ١٣٢٤هـ :

وبعد هدنة قصيرة ، بدأ (الوهابيون) ، بعد أن شجعهم ضعف الحامية التركية في القصيم ، يعدون عدتهم لمواصلة الهجوم على ابن رشيد . وكان أمير شمر في ذلك الوقت مرابطاً على حدود القصيم ربما ليحقق هدفاً مزدوجاً ليمنع

التحرك شمالاً ضد حائل ولكي يوقع بالعدو إذا لاحت له فرصة مواتية . وفي ديسمبر سنة ١٩٠٥م كان ابن رشيد في الكهفة ، وفي مارس ١٩٠٦م كان مخيماً في إقليم الباطنة ، وفي ١١ إبريل ١٩٠٦م باغته (الوهابيون) وقتلوه في الرويضة وهي مكان لايبعد عن الموقع التركي أكثر من ثلاثين ميلاً [أ] . وقبل مصرعه بزمن قليل كان الأمير عبد العزيز قد طلب وساطة شيخ الكويت والتمس منه أن يعتبره إبناً من أبنائه ، وأن يتوسط باسمه عند (الوهابيين) في طلب الصلح.

شخصية الأمير عبد العزيز بن متعب

إكتنف الغموض شخصية عبد العزيز الحقيقية ، ويعود بعض السبب في ذلك إلى العداء الذي كان قائماً بينه وبين شيخ الكويت ، مما أدى إلى عدم وصول أخبار صحيحة فيما بعد عن أحوال جبل شمر وأحداثه إلى السلطات السياسية البريطانية في الخليج . أما الإنطباع الأول الذي خرج به مسئولو بريطانيا السياسيون من لقائهم بالأمير فهو أنه كان متهوراً ومندفعاً وحاد الطباع ، ويفتقر إلى التبصر ورجاحة الرأي ، وكانت إدارته شديدة القسوة تشجع الناس على الخروج من طاعته والولاء له . لكن نتيجة التحريات التالية عدلت عن هذا الإعتقاد وكشفت عن أنه كان في النهاية ضحية سوء الحظ لا الحماقة . أما شجاعته وكفاءته العسكرية كقائد رغم قلة إنتصاراته في ساحات القتال ، فلم تكن قط موضع سؤال .

*[أ] ورد عند خير الدين الزركلي ـ الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز صـ٤٣ أن معركة روضة مهنا ومقتل ابن رشيد كان ليلة ١٨ صفر ١٣٢٤هـ الموافق ١٤ إبريل ١٩٠٦م.

علاقة عبد العزيز بن متعب بالحكومة البريطانية

١٨٩٧ـ١٩٠٦ / ١٣١٥ـ١٣٢٤هـ

محاولات أمير شمر الإتصال بالحكومة البريطانية ١٩٠١م / ١٣١٨هـ :

قام عبد العزيز بمبادرة للإتصال بالحكومة البريطانية في مايو سنة ١٩٠١م وذلك بعد غزو شيخ الكويت وابن سعود للقصيم وإثر إحساسه بخيبة الأمل لسلبية الأتراك وعدم قيامهم بدور فعال في مناصرته . واستهوته المزايا التي يتمتع بها شيخ الكويت في ظل الحماية البريطانية . وكانت المناسبة التي أتاحت له ذلك رسالة تلقاها من السلطات السياسية البريطانية تطلب فيها أن يعمل على تسوية خلافه مع الشيخ مبارك ، ورد الأمير على الرسالة بخطاب فيه بعض الغطرسة ، لكنه أبلغ وكيله في البصرة في الوقت نفسه بأن هذا الرد لايمثل رأيه تمثيلاً صحيحاً، وأنه يود أن يبلغ مستردانيسلوا القنصل البريطاني هناك رغبته في تنمية علاقة ودية مع الحكومة البريطانية ، واقترح أن تتولى الحكومة البريطانية إمداده بالأسلحة والذخائر على نفقته ، وأن تعزل عدوه شيخ الكويت وتجعل ابن شقيقه بدلاً منه . وسيتعهد الأمير من جانبه بعدم التدخل في أمور الكويت ويضمن أيضاً سلامة المنشآت البريطانية المتمثلة في الخط البريدي عبر جزيرة العرب .

أوامر حكومة صاحب الجلالة بالنسبة لهذا الموضوع ونتائجها :

وكانت حكومة الهند رغم اعتقادها بأن مطالب الأمير هذه لا يمكن إجابتها حريصة على الإبقاء على الصلات الودية معه . فاقترحت إرسال ضابط بريطاني إلى العقبة للإلتقاء بالأمير والتأكد بشكل خاص من آرائه وطبيعة شخصيته ، وكان من المرغوب فيه وقتذاك أن تقوم السلطات البريطانية مستقبلاً بتقييد شيخ الكويت عن مواصلة هجماته على أمير شمر . واستخدام وساطتها لمنع إعتداءات الأتراك على نجد . غير أن حكومة صاحبة الجلالة خشيت أن يؤدي إرسال هذا الضابط إلى إثارة مشكلات مع الحكومة التركية ، فإن أي شكل من أشكال الحماية لابد أن

يعني إلتزاماً باستخدام القوة ، وهذا شيء لم تكن السلطات البريطانية تود أن تلجأ إليه . وهكذا لم يتخذ أي عمل ، وبعدها بعدة شهور إزداد أمير شمر كما رأينا خضوعاً لمشيئة الأتراك بل انضم إليهم مهدداً بغزو الكويت ، وبعدها لم يتم أي إتصال بين الأمير عبد العزيز والحكومة البريطانية.

متعب بن عبد العزيز ١٩٠٦ – ١٩٠٧ / ١٣٢٤ – ١٣٢٥هـ

مكانة متعب عند توليه الإمارة إبريل ١٩٠٦ م / صفر ١٣٢٤هـ :

وخلف الأمير عبد العزيز أكبر أبناؤه متعب ، وكان شاباً في الثامنة عشرة من عمره ، لكن جراءته وكرمه وإلغائه الضريبة عن سنة كاملة ، وإعادة الرواتب التي كان أبوه قد قطعها، أو أنقصها ، كل هذه الأعمال حببت فيه رعاياه منذ أول عهده بالحكم ، لكن إمارة جبل شمر كانت قد أصبحت فقيرة فقراً أعجز الأمير الشاب عن أن يجد الجزية السنوية التي جرت العادة على تقديمها لسلطان تركيا وهي ثمانون حصاناً .

علاقته بابن سعود وشيخ الكويت :

وعقب موت عبد العزيز ، ظل (الوهابيون) يواصلون إنتصاراتهم على من خلفه ، وفي يونيو ١٩٠٦م وصل ابن سعود بقواته خارج أسوار حائل نفسها يطلب الجزية ، لكنه لم يستطع أن يستولي على العاصمة ، وأرغمته قلة المؤن على الإنسحاب من الإقليم كله . أما شيخ الكويت الذي كان قد وافق على أن يتوسط لدي الأمير (الوهابي) باسم أمير شمر الراحل عبد العزيز ، فقد إستجاب للرجاء الملح من جانب أمير شمر الجديد وقريبه المسن حمود وعدد كبير من رجالات العائلة نفسها ليواصل مسعاه ، وأخيراً وفي يوليو سنة ١٩٠٦م ، وبعد محادثات طويلة بين الأطراف المعنية أو وكلاؤهم في القصيم ، تم التوصل إلى إتفاقية دائمة للسلام على أن يحتفظ كل أمير بما في يده وقتذاك .

علاقته بالباب العالي :

كان الأتراك يعطفون على الأمير متعب حين توليه الإمارة ، لكن وضعهم في القصيم كان أضعف من أن يتيح لهم تقديم العون الفعال إليه ، واكتفى السلطان بتعزية الأمير الشاب بموت والده ، والإعتراف به خلفاً له ، ووعده بعقاب قتلة أبيه واستمرار دفع الراتب الذي كان مخصصاً له . وفي سبتمبر سنة ١٩٠٦م وصل طالب باشا أحد رجال السلطان إلى حائل ومعه حامية تركية إنسحبت من القصيم ، وانتهى وجود النفوذ التركي في نجد تماماً .

قتل متعب بن عبد العزيز يناير ١٩٠٧ م/ ١٣٢٥هـ :

وفي الأسبوع الأول من يناير سنة ١٩٠٧م أضيفت جريمة جديدة إلى السجل الدموي لعائلة آل رشيد . فقد عاد إلى حائل سلطان بن حمود الذي كان قد تراجع إلى جوف الأمير في سنة ١٩٠٥م ، واستطاع إقناع الأمير متعب بأن يشترك معه في رحلة صيد ، وخلال هذه الرحلة غدر به سلطان وأطلق عليه الرصاص بنفسه فأرداه قتيلاً . وفي نفس الوقت قام أخوا سلطان سعود وفيصل وابن عمه ضاري بقتل مشعل ومحمد أخوي الأمير وقتل طلال بن نايف إبن عم الأمير . ولدىعودتهم من هذا المعسكر ذكر القتله أن طلال قتل أبناء عبد العزيز وإنهم إنتقموا لهم . لكن أحداً لم يصدق روايتهم . كما قتل أيضاً طفل لطلال بن نايف وبهذه الجرائم لم يبق من خلف عبد الله بن علي أول محافظ لجبل شمر رجل على قيد الحياة إلا طفل لعبد العزيز بن متعب إستطاعت أمه أن تخرج به إلى المدينة للحج . كذلك فعلت بالإناث من عقب عبد الله ، فهاجرن جميعاً أو طردن إلى المدينة ، ولحق بهن أيضاً حمود بن عبيد أكبر أعضاء أسرة آل رشيد سناً فوصل المدينة في يوم ٧ إبريل . وكان حمود قد عاش متقاعداً في حائل طوال حياة عبد العزيز الذي لم يكن موافق على سياسته ، ولم يكن هو بدوره يلتمس مشورته، لكن إحدى بناته تزوجت بعبد العزيز وأنجبت الأمير متعباً وأخوته ، ويبدو أن الرجل المسن قد أثقل قلبه الحزن لمقتل أحفاده بأيدي أبنائه .

سلطان بن حمود إبتداء من ١٩٠٧ م / ١٣٢٥هـ :

كان موقف سلطان بعد توليه الإمارة متسماً بالخضوع لابن سعود الذي حاول غير مرة أن يقيم معه علاقات طيبة . ويبدو ان الحكومة التركية لم تعترف به خلفاً لمتعب ، لأنها قطعت الإعانة التي كانت تدفعها لأسلافه ، وقد قام سلطان بمحاولتين للإتصال بالحكومة البريطانية عن طريق شيخ الكويت لكن أحداً لم يعن بالرد عليه ١٩٠٧م .

الفصل الرابع

تاريخ القصيم

من

١٢٢٤ إلى ١٣٢٥هـ

١٨٠٩ إلى ١٩٠٧م

تاريخ مستقل لإقليم القصيم

التاريخ المبكر للقصيم

إن روايتنا للأحداث فى وسط الجزيرة فى فصل سابق والملحق الخاص به لا تترك إلا القليل فقط إلى جانب التفاصيل الداخلية فى العرض الحالى المستقل لتاريخ القصيم .

ويبدو أن القصيم كان من أوائل الاقاليم التى فتحتها الدولة (الوهابية) الناشئة فى نهاية القرن الثامن عشر ؛ لكننا لا نعرف تفاصيل الطريقة التى تم بها إحتلال هذا الإقليم أو ضمه إلى أملاك (الوهابيين) [أ] .

القوات المصرية تدخل القصيم

١٨١٥م / ١٢٣٠هـ

ثم تحتله

١٨١٧- ١٨٢٤م/ ١٢٣٣ - ١٢٤٠هـ

أشرنا من قبل في مكان آخر إلى دخول طوسون باشا وقواته المصرية إلى القصيم في سنة ١٨١٥م ، والصلح الذي عقد بعد ذلك بينها وبين (الوهابيين) كما ذكرنا بالتفصيل أيضاً إحتلال القوات المصرية لهذا الإقليم في سنة ١٨١٧م إلى سنة ١٨٢٤م . ويستدل من مظاهر التأييد التي قوبلت بها قوات طوسون باشا من قِبَل بعض وجهاء القصيم في سنة ١٨١٥م إلى أن جانباً من الأهالي كان ساخطاً على الحكم (الوهابي) آنذاك ، لكن حجيلان أقوى زعماء القصيم ظل مخلصاً لابن سعود ولم يكن على إتصال بالمصريين . وكانت أهم العمليات التي قامت بها حملة

---

*(أ) كانت بريده أولى بلدان القصيم إنضماماً للدوله السعوديه الأولى سنه ١١٨٢هـ ، لكن التنافس السعودي الخالدي على القصيم أستمر للعشرين سنة التالية حتى سلمت آخر بلدان القصيم وكانت عنيزه للسعوديين ١٢٠٢هـ ، أنظر عبدالله العثيمين ، تاريخ المملكه ص: ١٠٨- ١٠٩ .

إبراهيم باشا في القصيم هي حصارها الفاشل للرسَ ، واستيلائها على الخبراء وعنيزة واحتلال بريدة دون أن تقيم فيها . ويبدو أن معظم القوات المصرية قد انسحبت من القصيم في سنة ١٨١٩م ، وهي السنة التي مر فيها الكابتن سادلير بعنيزة والرسَ كمبعوث سياسي من حكومة الهند لمقابلة إبراهيم باشا . لكن بعض هذه القوات بقي كما يبدو حتى سنة ١٨٢٤م حين طردها الأمير (الوهابي) فيصل ابن تركي عقب توليه الإمارة [أ] .

(الوهابيون) يعيدون فتح القصيم عن طريق محافظ جبل شمر سنة ١٨٣٥م / ١٢٥٠هـ

لانعرف شيئاً عن الوضع في القصيم خلال السنوات التي أعقبت إنسحاب القوات المصرية منه مباشرة ، ولكن من المحتمل أن الإقليم كان مستقلاً تماماً آنذاك وحين جعل الأمير (الوهابي) فيصل عبد الله بن علي أول حاكم من آل رشيد في جبل شمر وعلى حكم القصيم ايضاً في سنة ١٨٣٥م ، كان أهل القصيم يناصرون بيت علي ، وهم خصومه الألداء الذين كانت لهم السيادة في الإمارة الشمالية حتى ذلك الحين . وكانت النتيجة النهائية لهذا الصراع هي إخضاع القصيم على يد عبد الله بن علي الذي سلمه لسيده أمير (الوهابيين) . ويبدو أنه خلال هذه الفترة خرجت تلك الحملة المشئومة من عنيزة لمهاجمة أمير حائل ، ومنيت بهزيمة قاسية على يد شقيقه عبيد .

---

*(أ) الذي قام بطرد تلك الحاميات ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م هو الإمام تركي بن عبد الله وليس إبنه فيصل الذي لم يصل من منفاه بمصر إلا سننة ١٨٢٧م / ١٢٤٥هـ حيث كان ضمن من رحل من أبناء الأسرة بعد تدمير الدرعية .

إحتلال القوات المصرية للقصيم

١٨٣٧ – ١٨٤٢ م / ١٢٥٢– ١٢٥٨هـ

لقد ذكرنا الإحتلال الثاني من جانب القوات المصرية للقصيم كما ذكرنا الإحتلال الأول ، في مكان آخر . وقد بدأ سنة ١٨٣٧م على وجه التقريب حين أرسل المصريون بعض قواتهم إلى نجد لمعاونة خالد بن سعود الذي أبرزوه كمطالب بإمارة (الوهابيين) منافساً لفيصل بن تركي . ومن القصيم بذل خالد محاولة فاشلة ـ بعد أن كان عبد الله بن ثنيان قد عزله هو أيضاً عن السلطة ـ لاستعادة نجد الجنوبية في سنة ١٨٤٢م . ومن القصيم أيضاً بدأ الأمير السابق فيصل بعد أن عاد من سجنه في مصر مسيرته الظافرة إلى الرياض سنة ١٨٤٣م . ولايمكننا أن نحدد على وجه الدقة تاريخاً مضبوطاً لانسحاب آخر حامية مصرية من القصيم ، ولكن لابد أن هذا قد حدث بعد ربيع سنة ١٨٤٢م لأن بعض الجنود المصريين كانوا موجودين برفقة الأمير خالد في الأحساء وقتذاك .

الفترة من ١٨٤٢ – ١٨٦٢م/ ١٢٥٨– ١٢٧٩هـ

وخلال السنوات القليلة التي أعقبت إنسحاب القوات المصرية ، يبدو أن أهل القصيم تعاونوا مع (الوهابيين) لإعادة النظام إلى نجد ، وكونوا منهم فرقاً عسكرية وواظبوا على دفع الجزية السنوية بانتظام لحكومة (الوهابيين) [أ] .

تمرد القصيم على (الوهابيين) ١٨٤٨م/ ١٢٦٥هـ ثم إخضاعه :

وفي ١٨٤٨م أقدم أهل القصيم الذين جبلوا على معارضة كل سلطة جديدة على تحويل ولائهم في أعقاب مفاوضات سرية من الرياض إلى حائل . وقد قبل الأمير (الوهابي) هذا التحول في البداية ، وتقبل التبرير الذي قدمه نائبه في حائل ، ولكن لم يمضي وقت طويل حتى عمد الأمير إلى سياسة الإخضاع بالقوة التي كان أهل القصيم قد ساعدوه على تنفيذها في نجد الجنوبية من قبل . وكانت بريدة وهي

---

*(أ) سبقت الإشارة إلى أن الجزية لاتوخذ على المسلم إذاً فالمراد هنا الزكاة الشرعية .

أصغر من عنيزة وأقل شأناً هي أول مكان تعرض للإخضاع . وبعد أن قطع (الوهابيون) طريق تجارتها تلهفت المدينة على الصلح ، عند ذاك دعا أمير (الوهابيين) بعض أعضاء الأسرة ذات السيادة فيها ـ وهي أسرة بني عليان ـ لمناقشة شروط الصلح في الرياض ، لكنه أمر بإعدامهم بمجرد وصولهم وأرسل إبنه عبد الله مباشرة بجيش إلى القصيم ، واستسلمت بريدة التي بوغتت بهذا العمل [أ] ، وتم تعيين رجل (وهابي) متعصب من الرياض يدعى مهنا حاكماً عليها[ب] .

نجاح ثورة عنيزة على (الوهابيين) ١٨٥٣ م/ ١٢٧٠هـ :

وليس في وسعنا تحديد تاريخ دقيق لهذه الأحداث أو ضم عنيزة التي كان يحكمها في سنة ١٨٥٢م جلوي شقيق الأمير ، ولكن في سنة ١٨٥٣م ثار أهل عنيزة على طغيان (الوهابيين) الذي لم يكن محتملاً ، وكان يقودهم يحيى الذي كان إبنه عبد الله شيخاً في ذلك الوقت ، وبهدوء تام , ودون إراقة الدماء نقل الثائرون جلوي إلى بريدة . وسار أمير (الوهابيين) مباشرة من الرياض إلى عنيزة ، ولحق به عند أسوارها محافظ جبل شمر لكن قواتهما المشتركة لم تستطع أن تنال شيئاً من المدينة العنيدة التي كانت قادره على الإكتفاء الذاتي بمحصول حقولها ونخيلها داخل أسوارها . وتقول إحدى الروايات إن شريف مكة إستطاع إقناع (الوهابيين) برفع حصارهم عنها ، فقد كانت مصالح الشريف تتفق مع بقاء عنيزة مستقلة عن نفوذ (الوهابيين) ، وكان شيخ عنيزة هو الذي طلب وساطته .

---

*(أ) مقتل عبد العزيز آل بوعليان وأولاده الثلاثة كان بالشقيقه غرب عنيزه حيث كلف عبدالله بن فيصل أخيه محمد باللحاق بهم أثناء هروبهم إلى مكة فقتلهم وثلاثة آخرون من مرافقيهم .

للمزيد من المعلومات أنظر – محمد السلمان – الأحوال السياسية ، ص: ٢٠١ .

*(ب) التعصب والطغيان كلمات ينعت بها هذا الكاتب وأمثاله رجال الدولة السعودية في مراحلها الثلاث ، وأما الوالي المعين فهو مهنا الصالح من أهالي منطقة القصيم وليس من الرياض .

إدارة (الوهابيين) للقصيم ١٨٥٢ - ١٨٦٢م/ ١٢٦٩ - ١٢٧٩هـ :

ولعدة سنوات بعد هذه الحملة الفاشلة إنشغل (الوهابيون) بمطاردة بدو قبائل حرب وعتيبة المناصرة لعنيزة ، وبمد حدود بريدة . قاعدتهم في القصيم وتوسيعها بهدف عزل عنيزة ومحاصرتها . وكان مهنا الحاكم (الوهابي) في بريدة طاغية قاسياً ، وكان يعمل على تدمير روح اهل القصيم بإرسالهم في حملات عسكرية عديدة لمصلحة (الوهابيين) . وقد هاجم سنة ١٨٥٦م قافلة حجاج إيرانيين هجوماً جعل الحج من إيران عبر الجزيرة يتوقف تماماً سنتين متواليتين . ونتيجة لأعماله هذه فر رجل من بريدة هو عبد الله بن عبد العزيز أحد أعضاء الأسرة الحاكمة في الماضي . وقد تلقى أهل عنيزة هذا اللاجيء إليهم بالترحاب لكن (الوهابيين) إستطاعوا قتله بعد ذلك في بعض أطراف الصحراء[أ] .

محاولة فاشلة (للوهابيين) لإخضاع عنيزة ١٨٦٢ م/ ١٢٧٩هـ :

وقد تكون الحرب التي اعلنها ابن سعود على عنيزة بعد ذلك نتيجة لهذه الحادثة ، لأن أهل عنيزة إعتبروا أن لهم ثأراً عند (الوهابيين) الذين قتلوا ضيفهم . ولكن قيل أيضاً إن الأمير أعلن الحرب لرفض شيخ عنيزة المثول أمامه بنفسه ورفضه دفع الجزية التي طلب إليه دفعها .

وكانت عنيزة في هذا الوقت تحت حكم زامل الذي رأيناه في شبابه يقود فرقة عنيزة في حملة (الوهابيين) على عمان . والذي سيشتهر إسمه كثيراً خلال الجزء اللاحق من تاريخ القصيم ، وقد خلف زامل ابن عمه عبد الله الذي كان شيخ عنيزة في سنة ١٨٥٣م لكن أباه أيضاً كان شيخاً لها في وقت من الأوقات . وبدأ (الوهابيون) عملياتهم على عنيزة بحصار مفكك نظمه مهنا من مدينة بريدة

*(أ) لعل المراد هنا عبد العزيز آل بوعليان الذي قتل هو وأبنائه الثلاثة في الشقيقة غرب عنيزة أما عبد الله بن عبد العزيز آل بوعليان فقد هرب ولكن قبض عليه وتوفى بسجنه بالقطيف. أنظر محمد عبد الله السلمان ــ الأحوال السياسية في القصيم ، ص: ٢٠٠ - ٢٠١.

المجاورة وانتقم أهل عنيزة لأنفسهم إنتقاماً رهيباً بتخريب الأراضي والبساتين في بريدة . وكان أهل القصيم جميعاً يتعاطفون سراً مع أهل عنيزة ، بل إن بريدة نفسها التي كان بينها وبين عنيزة عداوة دائمة أصبحت على وشك التمرد على (الوهابيين).وكان ابن رشيد وشريف مكة يرغبان في الوساطة ، لكنهما خشيا القطيعة مع ابن سعود وترك الجميع عنيزة وحدها [١].

وشيئاً فشيئاً ، تجمعت قوات كبيرة من (الوهابيين) في مواجهة عنيزة . يقودها قريب لأمير (الوهابيين) إستطاع جمع القوات من إقليم الأحساء ومن عمان البعيدة أيضاً . وانضم طلال أمير جبل شمر وعمه عبيد إلى معسكر (الوهابيين) الذي كان يضم ، فيمن يضم ، مهنا حاكم بريدة (ووهابيي) القصيم . وضرب حصار منتظم حول عنيزة ، لكن مدفعية (الوهابيين) لم تستطع أن تؤثر في أسوار المدينة بشيء ، وكان وسط الجيش من أهل القصيم يتمنى له الفشل ، والبدو الذين جاءوا من بعيد لايرون لهم مصلحة في نجاح هذا الحصار . وفي إحدى المرات إستطاع بعض المحاصرين أن يوقعوا الهزيمة بجانب من القوات المحاصرة وأن يستولوا على علم من أعلام (الوهابيين) . لكن زامل الذي كانت إنسانيته لاتقل عن شجاعته عرض نفسه للخطر حتى لاتحدث مذبحة بين اللاجئين . وفي هذا الوقت هبت عاصفة مطيرة أفسدت ذخيرة الفرسان من عنيزة ، فاجتاحهم (الوهابيون) وأوقعوا بهم أشد هزيمة عرفوها طوال الحصار [أ] . وبعدها لم يحدث غير إشتباكين صغيرين ثم تراجع (الوهابيون) وتركوا عنيزة كما جاءوا إليها مدينة حرة.

---

[١] في هذه الفترة إجتاز بالجريف ـ الذي يشك في إنه كان مبعوثاً من إمبرطور فرنسا إلى أمير (الوهابيين) كما أشرنا في تاريخ نجد ـ القصيم في طريقه من حائل إلى الرياض .

*[أ] كان جيش الدولة السعودية الثانية بقيادة محمد بن فيصل بن تركي وكان سلاح أهالي عنيزه من نوع الفتيل وعندما هطل المطر فسد سلاحهم رغم تفوقهم في بداية المعركة – محمد السلمان – الأحوال السياسية في القصيم، ص: ٢٠٧ .

الفترة من ١٨٦٢ – ١٨٩١م / ١٢٧٩– ١٣٠٩هـ

القصيم مستقل وبعيد عن الإضطرابات ١٨٦٢ ـ ١٨٨٩ م/ ١٢٧٩– ١٣٠٧هـ :

ويبدو أن القصيم ظل لمدة الثلاثين سنة التالية بعيداً عن الإضطرابات بعداً واضحاً باستثناء فترة تميزت بعدوان متبادل بين قبائل البدو ، وباستثناء الحملات التأديبية التي كان يقوم بها أهل المدن على البدو الذين يعكرون صفو السلم فيها . وفي ١٨٧٨م لحقت هزيمة مشهورة بقبيلة قحطان بالقرب من آبار دخنة على يد قبيلة مطير يعاونها بعض أهل مدينة عنيزة . وفي سنة ١٨٨٠م كانت بريدة عملياً قد أصبحت مدينة مستقلة ، ولم تعد تبالي بامير (الوهابيين) على الإطلاق ، لكنها ظلت على احترامها لأمير جبل شمر الذي كانت قوته آخذة في الإزدياد يوماً بعد يوم . وفي هذا الوقت تجول في القصيم رسام الخرائط الفرنسي المشهور " مستر س. هيوبر " وبصحبته الرحالة الإنجليزي المشهور وأعظم معاصريه مستر" تشارلز دوتي " . الذي يعتبر هو و" نيوبور " أبرز من عملوا في المجال العربي على الإطلاق .

ابن رشيد يفتح القصيم ١٨٨٠ – ١٨٩١ م / ١٢٩٨– ١٣٠٨هـ :

وبعدها بقليل عزز ابن رشيد مركزه في بريدة وما حولها لكن جهوده لإخضاع عنيزة لم تؤدي إلى أكثر مما أدت جهود (الوهابيين) . وفي سنة ١٨٨٥م إستطاع القائد (الوهابي) محمد بن سعود أن يوقع الهزيمة بقوات أمير شمر في القصيم وان يسترجع بريدة مؤقتاً ، وكان هذا آخر نجاح أحرزه (الوهابيون) في القصيم . وفي سنة ١٨٩٠م تكونت جبهة لمقاومة تقدم ابن رشيد تضم كل من القصيم ونجد الجنوبية إلى جانب قبائل البدو عتيبة ومطير ، لكنها هزمت هزيمة ساحقة في معركة بريدة أو المليداء التي دارت رحاها في مارس أو إبريل سنة ١٨٩١م . أما زامل شيخ عنيزة الذي كان على مايبدو محور هذا التحالف فقد كان

من بين القتلى وسقط معه ثاني أبنائه علي وقريباه خالد بن عبدالله وعبد العزيز بن إبراهيم ، كما أسر عدد من أعضاء أسرة السليم الحاكمة في بريدة [أ] .

القصيم إقليم تابع لإمارة جبل شمر

١٨٩١- ١٩٠٤م / ١٣٠٩ - ١٣٢٢هـ

ووضع أمير شمر على القصيم حاكماً من قبله ، وظل الوضع السياسي لهذا الإقليم عشر سنين على حاله . وفي سنة ١٩٠١م شجع غزو شيخ الكويت للقصيم باسم (الوهابيين) أهل البلاد على الخلاص من طغيان حكم أمير شمر ، لكن آمالهم خابت عندما إندحر الغزاة في معركة الصريف ، وأوقع عقاب شديد بالذين تجاسروا منهم وأظهروا تعاطفاً سابقاً لأوانه مع قضية ابن سعود . ومن بين الذين قتلوا في هذه المعركة صالح بن عبد الله ومحمد بن عبد الله ومحمد بن حسن وصالح بن عبد الله وعلي بن عبد الله ومحمد بن إبراهيم وجميعهم من أسرة أبو الخيل الحاكمة في بريدة ، كما نفى ابن رشيد أعضاء آخرين من نفس الأسرة إلى حائل أو أرغمهم على الفرار إلى المنفى طلباً للنجاة . وأخيراً في مارس سنة ١٩٠٤م ، فقد ابن رشيد القصيم كلها ، وضاعت منه على أثر معركة دارت بين قواته وقوات (الوهابيين) بالقرب من عنيزة .

غزو الأتراك للقصيم سنة ١٩٠٤م / ١٣٢٢هـ

واحتلالهم للإقليم ١٩٠٥- ١٩٠٦م / ١٣٢٣ - ١٣٢٤هـ

أما سير الأحداث تالياً في القصيم فقد ذكرناه تفصيلاً في الفصل السابق الخاص بتاريخ نجد ، وليس لدينا مانضيفه الآن إليه .

*(أ) خلال هذه الفترة كانت أسرة السليم تحكم عنيزه ولم يكونوا حكاماً لبريده .

وفي سنة ١٩٠٤م غزا الأتراك القصيم متحالفين مع ابن رشيد ، لكن هذه القوات المتحالفة لقيت هزيمتين خطيرتين على أيدي أهل القصيم وابن سعود وأجبرت على التراجع إلى قرية الكهفة في جبل شمر . وفي إبريل سنة ١٩٠٥ ـ وبتدبير من ابن سعود ـ إستطاعت القوات التركية أن تحتل القصيم إحتلالاً سلمياً إستمر حتى نوفمبر سنة ١٩٠٦ م ، لكنه لم يكن إحتلالاً عملياً على الإطلاق ، وقد عجزت القوات التركية عن الحيلولة بين ابن سعود والإشتباك مع ابن رشيد ثم قتله على حدود الإقليم وعجزت أيضاً عن الحصول من ابن سعود على أية ترضية لخطفه صالح بن حسن الأمير الذي عينوه قائمقاماً في بريدة . وفي سنة ١٩٠٧م لم يكن عدد القوات التركية الباقية في القصيم يتعدى ٥٠ جندياً . وعقب موت ابن رشيد أطلق سراح عدد من الأسرى الذين ينتمون إلى الأسر الحاكمة في عنيزة وبريدة والذين أسروا بعد معركة بريدة ١٨٩١م ، والصريف ١٩٠١م . وآخرون كانوا مقيمين بالخارج عادوا إلى ديارهم من المنفى .

المـراجـع

- ***إبراهيم بن صالح بن عيسى:*** تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد.
الطبعة الأولى – الرياض – ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

- ***إبراهيم بن صالح بن عيسى:*** كتاب عقد الدرر فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول القرن الرابع عشر.
ذيله بكتاب عنوان المجد في تاريخ نجد – عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل شيخ.

- ***إبراهيم جمعة:*** الأطلس التاريخي للدولة السعودية.
مطبوعات دارة الملك عبد العزيز – الرياض.

- ***أمين الريحاني:*** تاريخ نجد الحديث، دار الجيل – بيروت.

- ***أمين الريحاني:*** ملوك العرب، دار الجيل – بيروت.

- ***جمال زكريا قاسم:*** الخليج العربي، دراسة لتاريخ الإمارات العربية في عصر التوسع الأوروبي الأول، دار الفكر العربي – القاهرة.

- ***جوهان لودفيج بوركهارت:*** مواد لتاريخ الوهابيين، ترجمة الدكتور / عبد الله العثيمين، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ/١٩٩١م.

- ***حسين بن غنام:*** تاريخ نجد – حرره وحققه ناصر الدين الأسد، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٥م.

- ***حسين خلف الشيخ خزعل:*** تاريخ الجزيرة العربية في عصر الشيخ محمد ابن عبد الوهاب – دار الهلال بيروت.

- ***حياة محمد البسام:*** أعمال رحمة بن جابر البحرية في الخليج العربي بين القرصنة والانتقام. ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.
- ***خير الدين الزركلي:*** الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز. بيروت – ١٩٨٤م.
- ***ضارى بن فهيد الرشيد:*** نبذة تاريخية عن نجد. أملاها علي وديع البستاني، منشورات دار اليمامة – الرياض.
- ***عبد العزيز عبد الغني إبراهيم:*** علاقة ساحل عمان ببريطانيا – الرياض – ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ***عبد العزيز عبد الغني إبراهيم:*** صراع الأمراء (علاقة نجد بالقوى السياسية في الخليج العربي ١٨٠٠–١٨٧٠م) دار الساقي – لندن، ١٩٩٠م.
- ***عبد الفتاح حسن أبو علية:*** تاريخ الدولة السعودية الثانية.١٢٥٦–١٣٠٩هـ/ ١٨٤٠–١٨٩١م، الطبعة الرابعة – الرياض ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ***عبد الفتاح حسن أبو علية:*** دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر – الرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
- ***عبد الكريم بن عبد الله الوهبي:*** بنو خالد وعلاقتهم بنجد، ١٠٨٠ – ١٢٠٨هـ/ ١٦٦٩ – ١٧٩٤م، الرياض ١٤١٠هـ ١٩٨٩م.
- ***عبد الله صالح العثيمين:*** تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الأول – الطبعة الثانية – ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- ***عبد الله صالح العثيمين:*** العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وبين الكويت– الرياض ١٤١١هـ.
- ***عبد الله صالح العثيمين:*** نشأة إمارة آل رشيد ١٤١١هـ/١٩٩١م.
- ***عبد الله صالح المطوع:*** عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان (مخطوط).

- ***عثمان بن عبد الله بن بشر:*** عنوان المجد في تاريخ نجد، الجزء الأول والثاني، حققه وعلق عليه عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ - طبعة وزارة المعارف الثالثة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- ***علي صالح:*** السلوك الزهرني، الموروثات الشعبية لغامد وزهران.

الكتاب الثاني، الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- ***فؤاد سعيد العابد:*** سياسة بريطانيا في الخليج العربي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر - ذات السلاسل - الكويت.
- ***محمد ابن الشيخ خليفة بن حمد النبهاني:*** التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية - بيروت - ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ***محمد جلال كشك:*** السعوديون والحل الإسلامي - الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ***محمد عبد الله آل عبد القادر:*** تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الطبعة الثانية - الرياض - ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ***محمد عبد الله السلمان:*** الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثانية.

الطبعة الأولى - عنيزة - ١٤٠٧ - ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧ - ١٩٨٨م.
- ***محمد عرابي نخلة:*** تاريخ الأحساء السياسي ١٨١٨م/١٩١٣م، ذات السلاسل الكويت.
- ***منير العجلاني:*** الإمام تركي بن عبد الله بطل نجد ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية - الرياض ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.